دار الثقافة

التفسير الحديث للكتاب المقدس

العهد الجديد

الرسالة إلى

رومية

التفسير الحديث للكتاب المقدس

العهد الجديد

الرسالة إلى رومية

بقلم

ق . بروس

نقله إلى العربية

نجيب إلياس

المحرر المسئول

جوزيف صابر



Romans:

An Introduction and Commentary

By: **F.F. Bruce**

This book was first published in England by Inter-Varsity Press.

Translated by permission and published in Arabic 1994.

طبعة أولى

رسالة رومية

صدر عن دار الثقافة - ص. ب. ١٢٩٨ - القاهرة

١ / ٥٧٧ ط١ / ٢ - ٢ / ٩٤

رقم الايداع بدار الكتب : ٣٣١٨ / ٩٤

دولى: ٤ - ٣٠٤ - ٢١٣ - ٩٧٧

طبع بمطبعة سجل العرب - القاهرة

مجلس التحرير

محتويات الكتاب

مقدمة الدار

تحرص دار الثقافة على تقديم كلمة الله مشروحة للقاريء العربي . فإن العالم العربي لا يوجد فيه تفسير واحد كامل حتى الآن للكتاب المقدس كله . إن الموجود حالياً هو أجزاء غير كاملة . وقد رأت دار الثقافة أن توفر للقاريء العربي مرجعاً كاملاً للكلمة المقدسة .

وقد اختارت دار الثقافة Tyndale Commentaries وهي تشمل العهدين القديم والجديد . ودار الثقافة تقدم المجموعة كلها بالاتفاق مع الناشر الأصلي وهو Inter - Varsity Press وكان سبب الاختيار إنها مختصرة ومركزة ، محافظة لاهوتياً ، متمسكة بالأسس الكتابية الهامة ، تهتم بالنص الذي يعاون الدارس على الدراسة، كما يعاون الواعظ على اكتشاف الأفكار الوعظية.

قد جاء هذا التفسير ، رغم اهتمامه بتفسير النص ، والرجوع إلى اللغات الأصلية التي صدر فيها الكتاب المقدس ، لكنه تفادى كثيراً من التعقيدات الدراسية . وقد اهتم هذا التفسير بإلقاء الضوء على المعاني ، ليكتشف القاريء ما هو المقصود بالمعنى .

قد اهتم هذا التفسير ، بأن يدرس الكتاب المقدس فقرات فقرات . ليوضح المعاني العامة المقصودة ، ثم شرح الآيات ، آية آية ، وفي حالة وجود مشكلات معينة حاول الإسهاب في شرحها .

كما اهتم التفسير ، بكتابة مقدمة كل سفر ، توضح الكاتب ، وتاريخ الكتابة ، وظروفها . إن مقدمة السفر ، تعاون الدارس أن يعرف الظروف المحيطة بالسفر ، والموضوعات الرئيسية فيه .

اشترك في كتابة التفسير مجموعة من العلماء المدققين ، الذين قدموا الدراسة ، بعمق وبأمانة. كما أشرف على تحرير العهد القديم. D. J. Wiseman والعهد الجديد R. V. G. Tasker & Leon Morris .

ودار الثقافة ترجو أن يجد القارىء في هذه السلسلة من الكتب مرجعاً مفيداً ، يعاونهم على التعمق في كلمة الله ، وإدراك المعاني العظيمة من خلالها ، فيعاونهم في التعمق في المعرفة والفهم الروحي .

دار الثقافة

مقدمة عامة

استهدفت تفسيرات « تندال » الأصلية للكتاب المقدس أن تقدم العون لقاريء الكتاب بصفة عامة ، وعلى ذلك فقد ركزت على توضيح معنى النص دون الدخول في مصطلحات فنية دقيقة ، هذا من ناحية ، وقد روعي من ناحية أخرى تجنب الإيجاز الذي قد يحول دون وضوح المعنى . وكل من استخدم تفسيرات تندال أقر بأنها حققت وإلى درجة كبيرة كل ما رمت إليه .

وقد روعى فى هذه السلسلة أن تكون تفسيرية لا وعظية . وهي وإن لم تتطرق إلى جميع المسائل الشائكة إلا أنها كتبت في ظل إدراك كامل بالموضوعات التي تشغل اهتمام دارسي العهد الجديد . وعندما كان يثور إحساس بأنه يجب مناقشة مثل هذه الموضوعات مناقشة منهجية ، فإن ذلك كان يتم في مقدمة الكتاب وأحياناً في حواشيه .

بيد أن النهج الرئيسي لهذه التفاسير ليس نقدياً . فما كتبت إلا بهدف مساعدة القاريء العادي على فهم الكتاب المقدس بطريقة أفضل . وإذا لم يكن من المفروض في القاريء أن يكون ملماً باللغة اليونانية ، إلا أن الكلمات اليونانية التي نوقشت كُتبت بحروفها الأصلية ، وكان النص اليوناني أمام المؤلفين وقد تمت تفاسيرهم وتعليقاتهم على أساس ما كُتب أصلاً باللغة اليونانية .

وقد أتيحت للمؤلفين فرصة اختيار أية ترجمة حديثة تروق لهم ، إلا أنه طُلب منهم أن يراعوا في نفس الوقت مختلف الترجمات الموجودة حالياً .

إن سلسلة كتب التفسير الحديث للكتاب المقدس المعروفة باسم « تندال » قد صدرت ، يحدوها الأمل بأن يستخدمها الرب بنعمته لمساعدة كل من يقرأها ـــ مهما كانت درجة ثقافته ـــ على فهم معاني الكتاب المقدس فهماً جيداً .

ليون موريس

مقدمة المؤلف

فى مستهل تفسير الرسالة إلى أهل رومية ، والتى نحن بصددها الآن ، رأيت أنه من المناسب أن نذكّر أنفسنا بما قاله وليم تندال نفسه عنها من ناحية أنها تعد عماد العهد الجديد ، وأكثر أجزائه روعة ، بل إنها السراج والمدخل للكتاب المقدس كله . وإنه ما من إنسان يستطيع أن يشبع من قراءتها أو دراستها جيداً ، ذلك أنه كلما درسها ، يكتشف أنها ازدادت سهولة ، وكلما تذوقها زادت حلاوتها ، وكلما بحثت بعمق أكثر ، زاد العثور على ما تضمنته من درر ، فياله من كنز روحى عميق ذاك الذى نجده مخفياً فيها .

وقراء رسائل بولس ومفسروها ـــ وخصوصاً رسالة رومية ـــ حين يجدون أنفسهم مشدودين بشخصيته القوية ، وحجته الدامغة ، يميلون عادة إلى محاولة التقليل من هذه السمات التى تتصف بها كتاباته ، والتى يعتقد البعض أنها لا تناسب النزعات الحديثة . ويمكن أن نتمشى مع بولس إلى هذا الحد ، ثم نحاول أن نذهب إلى أبعد من ذلك ، وهذا ليس من خلال تقبل المزيد من تعاليمه ، ولكن ـــ ودون أن ندرى ـــ بتعديل مفاهيمه وتخفيفها بحيث نجعلها أكثر تجانساً مع الفكر السائد . إلا أن شخصاً له مكانة بولس ومنزلته الرفيعة يجب أن يترك له المجال بأن يتكلم بحسب إمكاناته الرفيعة ، ويستخدم عباراته الخاصة . وأية محاولات ـــ مهما خلصت النوايا ـــ تستهدف جعل عباراته أكثر سلاسة مما عمله هو فى الواقع ، لا يمكن أن تؤدى إلا إلى أن تقلل من منزلته ، لا أن تدعمها .

ونحن القراء ـــ فى القرن العشرين ـــ سوف نستوعب رسالته بشكل أفضل ، إذا ما تركناه يوصلها لنا بلغته الخاصة ، أى لغة القرن الأول .

ولقد انتهزت هذه الفرصة التى أتاحها صدور هذه الطبعة المنقحة لأضمِّن التفسير النتائج التى برزت خلال عشرين سنة من الدراسة والتمحيص .

وإنى لمدين بالكثير للتفاسير الرائعة التى ظهرت بعد صدور طبعتى الأولى عام ١٩٦٣ ، والتى من بينها أعمال أرنست كيسيمان ، س . كرانفيلد والتى رأيت أنها تستحق الإشارة إليها وامتداحها .

طريقة دراسة هذا التفسير

إن السياق المنطقى لهذه الرسالة يجعل من غير الممكن أن توضح معانيها على أساس تناول كل آية منها على حدة . ولذلك فالنهج الذى اتّبع هو تقديم شرح للأقسام المتتابعة للرسالة على أن يعقب كل قسم منها شرح تفصيلى لكل آية على حدة من آيات القسم الذى سبق شرحة إجمالاً .

أما الدارس الذى يرغب فى الرجوع إلى شرح آية بعينها فيتعين عليه أن يقرأ التفسير الخاص بكل الفقرة التى وردت فيها هذه الآية وأى تعليق آخر ورد لشرح هذه الآية نفسها .

تقديم الرسالة

(١) مناسبة الرسالة

إن مناسبة كتابة هذه الرسالة أن بولس قضى السنوات العشر فيما بين سنة ٤٧ إلى ٥٧ ميلادية فى التبشير المكثف بالإنجيل فى الأقاليم المتاخمة لبحر إيجه . وخلال تلك السنوات ركّز على التوالى على الولايات الرومانية فى غلاطية ، ومقدونية ، وأخائية ، وآسيا . ولقد بشّر بالإنجيل على امتداد الطرق الرئيسية لهذه الولايات ، وفى مدنها الرئيسية غُرست الكنائس . وقد أخذ بولس مهمته كرسول للمسيح بين الأمم ، مأخذ الجد الكامل متأملاً بالشكر والحمد فى العمل الذى قام به ، ناسباً نجاحه فى أداء رسالته ليس إلى نفسه (كما كان يجب أن يقول) ، وإنما إلى ما عمله المسيح معه . ولقد انتهى الآن من حملته التبشيرية ، ويمكنه الآن أن يترك الكنائس التى غرسها فى إيقونية ، وفيلبى ، وتسالونيكى ، وكورنثوس ، أفسس ، وفى كثير من المدن الأخرى فى هذه الولايات الأربعة ، تحت رعاية قادتها الروحيين ، أو الشيوخ ، وتحت هيمنة ، وتوجيه الروح القدس . إلا أن عمل بولس لم ينته بأية حال من الأحوال عند هذا الحد ، ففى خلال شتاء عام ٥٦ — ٥٧ والذى أمضاه فى كورنثوس فى بيت صديقه غايس الذى آمن بالمسيح على يديه . تطلع بولس بلهفة ، وقد ساورته بعض الظنون إلى زياراته الوشيكة التى كان عليه أن يقوم بها إلى أورشليم ، إذ كان عليه أن يحضر تسليم شيوخ الكنيسة هناك العطية المالية التى ظل يجمعها طوال بضع سنوات مضت من مسيحيى الأمم ، وهى العطية التى آمل أن تؤدى إلى تقوية الروابط بين الكنيسة الأم فى اليهودية وكنائس الأمم .

ولكن ما أن أنجز بولس هذه المهمة حتى تطلع بأنظاره من جديد إلى البدء فى تنفيذ خطة كانت قد تبلورت فى ذهنه خلال السنوات القليلة السابقة . فما أن وصلت حملته التبشيرية فى أراضى منطقة بحر إيجه إلى ختامها ، حتى وجد لزاما عليه أن يبحث عن ميادين جديدة يربحها للمسيح . وفى اختياره للمجال الجديد لنشاطه التبشيرى ، عزم على أن يمضى فى طريقه كرائد ، وأن

عليه أن لا يستقر به المقام كرسول في أي مكان سبق أن وصلت إليه الكرازة بالإنجيل ، إن عليه أن لا يبنى على أساس لآخر (رو ١٥ : ٢٠) . ولقد وقع اختياره على إسبانيا ، أقدم الولايات الرومانية فى الغرب ، ومعقل الحضارة الرومانية فى تلك الأصقاع .

وقد توفر له رحلته لإسبانيا الفرصة لإشباع طموحه الذى طالما راوده ، لكى يرى روما . وعلى الرغم من كونه مواطناً رومانياً بحكم مولده ، إلا أنه لم تتح له الفرصة قط وهو المواطن الحر أن يزور هذه المدينة . فكم تكون رائعة زيارته لروما ، وقضاء بعض الوقت هناك خاصة وأنه توجد فى روما كنيسة مزدهرة يوجد فيها الكثير من الإخوة المسيحيين الذين سبق لبولس أن التقى بهم فى أماكن أخرى خلال رحلاته ، وهم الآن يقيمون فى روما وأعضاء فى كنيستها وحقيقة أن الإنجيل كان قد وصل إلى روما قبل بولس بمدة طويلة كانت السبب فى أنه لم يقصدها كمكان يمكن أن يستقر فيه ليقوم بعمله ، بل كمكان رائد فى عمله التبشيرى .

إلا أن بولس علم أنه سيمضى فى رحلته إلى إسبانيا بمزيد من المحبة والحماس لو استطاع أولا أن ينعش روحه بقضاء بضعة أيام أو أسابيع فى شركة مع المسيحيين فى روما .

وعلى هذا ففى خلال الأيام الأولى من سنة ٥٧ ميلادية ، أملى بولس على رفيقه ترتيوس (وهو كاتب مسيحى ربما وضعه مضيفه غايس فى خدمته) رسالة موجهة إلى مسيحيي روما .

وقد كانت هذه الرسالة تستهدف تهيئتهم لزيارته المرتقبة إلى مدينتهم ، ولتوضيح هدفه من هذه الزيارة . ولقد رأى بولس بثاقب فكره أنه من الحكمة ، وهو يكتب لهم هذه الرسالة أن يضع تحت أنظارهم الرسالة الكاملة للإنجيل على النحو الذى يفهمه وينادى به .

(٢) المسيحية فى روما

من الواضح من خلال العبارات التى يخاطب بها بولس المسيحيين فى روما أن كنيستها لم تكن حديثة النشأة . ولكننا فى محاولتنا للتأكد من بعض الأمور

فى ما يتصل بنشأتها والتاريخ المبكر للمسيحية فى روما لا نجد إلا أقل القليل من الشواهد التى تساعدنا .. ونجد أنه علينا أن نعيد بناء الموقف على قدر المستطاع من خلال العديد من الشواهد الأدبية والأثرية التى يتسنى لنا الحصول عليها من مصادرها المتنوعة . وبحسب ما جاء فى الأعمال (٢ : ١٠) نجد أن جماعة من الحجاج الذين كانوا متواجدين فى أورشليم فى احتفال عيد الخمسين من العام ٣٠ للميلاد ، وسمعوا بطرس يكرز بالإنجيل .

كان من بينهم جماعة من الزوار من روما من اليهود والدخلاء . ولم نعرف عما إذا كان من بينهم بعضا من الثلاثة الآلاف الذين آمنوا برسالة بطرس ، واعتمدوا .

وقد يكون من الأمور التى لها مغزاها أن هؤلاء الزوار الرومانيون هم الأوروبيون الوحيدون الذين تصادف وجودهم فى هذه اللحظة التاريخية ليحصلوا على الرسالة الخاصة مع غيرهم من الحجاج .

وعلى أية حال ، فإن كل الطرق تؤدى إلى روما ، فحالما استقر المقام للمسيحية فى فلسطين والأقاليم المتاخمة لها ، حتى كان حتما أن تحمل إلى روما . وفى خلال سنة أو سنتين ، إن لم يكن بحسب تفكير فوكس جاكسون (فى الخريف التالى للصلب) كان فى الإمكان النظر بعين الإجلال والإكرام إلى يسوع فى المجتمع اليهودى فى روما على النحو الذى كان له فى دمشق . ويقول لنا الأب اللاتينى فى القرن الرابع الميلادى والذى اعتدنا أن ندعوه (أمبروز ياستر) فى مقدمته لتفسيره للرسالة : إن الرومانيين [وقد اعتنقوا المسيحية] وإن يكن بحسب الطقوس اليهودية بدون أن يروا أيا من العجائب والآيات ، أو حتى أحداً من الرسل . ومن الواضح أن أعضاء من المسيحيين ذوى المكانة كانوا هم الذين حملوا الإنجيل إلى روما ، وغرسوه هناك ، ومن المحتمل أن يكونوا من بين أفراد المجتمع اليهودى فى العاصمة .

كان هناك مجتمع يهودى فى روما يرجع بتاريخه إلى القرن الثانى قبل الميلاد . وقد تزايد عددهم بدرجة كبيرة بعد استيلاء (بومبى) على اليهودية سنة ٦٣ ق . م ، وانتصاره الذى أحرزه فى روما بعد ذلك بعامين ، حيث رحب العديد من أسرى الحرب اليهود بموكبه الانتصارى ، والذى أعقبه حصولهم على حريتهم . ولقد أشار شيشرون فى عام ٥٩ ق . م إلى حجم ونفوذ

المستعمرة اليهودية فى روما . وفى عام ١٩ للميلاد طُرد اليهود من روما بمقتضى المرسوم الذى أصدره الإمبراطور طيبريوس ، إلا أنهم ما لبثوا أن عادوا بعد سنوات قليلة بأعداد تفوق أعدادهم السابقة ، ولم يكد يمر وقت طويل على عودتهم ، حتى جاءت الأنباء عن طردهم الجماعى مرة أخرى من روما ، وذلك فى عهد الإمبراطور كلوديوس (٤١ — ٥٤ . م) . وقد أشار سفر أعمال الرسل بصورة موجزة إلى طردهم هذا (أعمال ١٨ : ٢) ، حيث نجد بولس عند وصوله إلى كورنثوس (ومن المحتمل أن يكون ذلك فى أواخر صيف عام ٥٠ . م) قد قيل عنه إنه التقى بيهودى اسمه أكيلا ... كان قد جاء حديثا من إيطاليا .. وبريسكلا امرأته ، لأن كلوديوس كان قد أمر أن يمضى جميع اليهود من رومية . ولسنا متأكدين من تاريخ مرسوم طرد اليهود ، على الرغم من أن أوروسيوس قد يكون على صواب فى تحديد تاريخ طردهم فى سنة ٤٩ . م . وطبقاً لما كتبه (ديوكاسيوس) فإن (كلوديوس) قد فرض حظراً على اليهود فى رومية فى بداية حكمه (إذ تزايد عدد اليهود مرة أخرى ، بحيث كان من الصعب طردهم من المدينة نظراً لكثرة عددهم ، فلم يطردهم منها فعلاً ، واكتفى بأن حظّر عليهم التجمع طبقاً لعادات أسلافهم) .

وتظهر بعض الشواهد الأخرى فى الأدب القديم ، ولعل أكثرها أهمية ملاحظة سيوتونيوس فى كتابه (حياة كلوديوس) حيث يقول : إن الإمبراطور طرد اليهود من روما بسبب شغبهم المستمر بتحريض كريستوس . وربما كان كريستوس هذا مهيجاً يهودياً ومثيراً للشغب ، تصور الرومان وجوده فى روما فى ذلك الوقت ، إلاّ أن الطريقة التى قدم سيوتونيوس اسمه تجعل من الممكن أن يكون هذا الشغب نتيجة دخول المسيحية إلى المجتمع اليهودى فى العاصمة . ويبدو أن سيوتونيوس الذى كان يكتب بعد حوالى سبعين سنة كان قد عرف شيئاً عن الرواية المعاصرة لأمر طرد اليهود من العاصمة ، والتى جاء فيها أن كريستوس كان زعيما لإحدى الطوائف التى شملها الطرد ، وأشار إلى أنه كان موجوداً فى روما فى ذلك الوقت . وكان من الواجب عليه أن يعرف أن كريستوس chrestus (وهو تهجئة أممية مختلفة لاسم العلم christus) كان مؤسس المسيحيين ، والذين وصفهم فى موضع آخر بأنهم (طبقة ضارة ومميتة من الشعب) .

ويبدو من المعقول جداً أن تكون إشارة إلى أنه كان لكريستوس دور نشط

وفعّال فى إثارة أحداث الشغب فى روما .

ويبدو أن كلاً من أكيلا وبريسكلا كانا مسيحيين قبل التقائهم مع بولس ، ويحتمل أنهما كانا من جماعة المؤمنين الأصليين بالمسيح المقيمين فى روما . ولسنا نعرف متى وأين سمعا بالإنجيل لأول مرة كما أن بولس نفسه لم يقل قط أنهما كانا من أولاده فى الإيمان . ولكن لنا أن نكون على يقين من أن الجماعة الأصلية من المؤمنين فى روما كانت بأكملها تتكون من اليهود المسيحيين ، وأن أمر كلوديوس القاضى بطرد اليهود تضمنهم مما دفعهم إلى الرحيل والتشتت .

وأيا كانت تأثيرات أمر الطرد ، فإنها كانت قصيرة المدى ، ولم تدم طويلاً . فلم يمض سوى قليل من الوقت حتى عاد المجتمع اليهودى إلى الازدهار من جديد فى روما . وهكذا كان الحال بالنسبة للمجتمع المسيحى . ففى أقل من ثلاث سنوات بعد موت كلوديوس حتى كان فى مقدور بولس أن يكتب رسالته إلى المسيحيين فى روما متحدثاً عن إيمانهم على اعتباره موضوعا معروفاً للعامة (رو ١ : ٨) .

وربما انقضى العمل بمرسوم الطرد بموت كلوديوس (٥٤ .م) . وإن لم يكن قبله .

ولكننا نجد أنه فى سنة ٥٧ .م تكون المجتمع المسيحى فى روما من المسيحيين من الأمم بالإضافة إلى المسيحيين من اليهود ، وبالرغم من أن بولس يذكر للمسيحيين من الأمم أن اليهود هم أساس المجتمع ، وأنه يتحتم عليهم عدم الازدراء بهم حتى وإن كانوا هم أنفسهم (الأمم) يتفوقون عليهم عددياً (رومية ١١ : ١٨) .

والحق أن الخلفية اليهودية للمسيحية الرومانية لم تُنس سريعاً ، حتى إننا لنجد أنه إلى الزمن المتأخر الذى عاش فيه هيبوليتس (توفى ٢٣٥.م) بقيت بعض سمات الممارسة الدينية المسيحية فى روما تعلن عن أصلها اليهودى ، ذلك الأصل الذى ينتمى إلى اليهودية الطائفية المتعصبة أكثر من انتمائها إلى التيارات اليهودية العادية .

وإذا كانت التحيات التى نجدها فى رومية ١٦ : ٣ — ١٦ موجهة إلى روما ، وليس إلى أفسس (انظر من ص ٥٥١ إلى ص٥٧٨) . إننا سوف

نجد فيها المعلومات المثيرة عن المسيحيين الأعضاء فى كنيسة روما فى سنة ٥٧ .م ومن المفترض أن بعض هؤلاء المسيحيين كان قد تقابل معهم بولس فى أماكن أخرى خلال خدمته الرسولية ، وأنهم فى هذا الوقت كانوا مقيمين فى روما . ومن بين هؤلاء بعض المسيحيين الأوائل مثل (أندرونيكوس) ، (يونياس) اللذان كانا على حد قول بولس « فى المسيح » قبله هو نفسه وكانا معروفين فى الدوائر الرسولية ، وإن لم يكونا فعلاً من المعتبرين رسلاً (رومية ١٦ : ٧) . أما (روفوس) المذكور فى الآية ١٣ فيمكن أن يكون هو نفسه ابن سمعان القيروانى المذكور فى مرقس ١٥ : ٢١ ، وربما يكون بولس قد عرفه وأمه فى أنطاكية . أما أكيلا وبريسكلا اللذان أرغما على ترك روما منذ نحو ثمانى سنوات أو قبل ذلك ببضع سنين ، فلقد رجعا الآن إلى العاصمة ، وأصبح بيتهما أحد الأماكن التى يجتمع فيها أعضاء الكنيسة الرومانية هناك .

وإن فى احتفاظ الباسيليكا التى هى النموذج العادى لعمارة الكنيسة الأولى ــ بطابع البيت الرومانى يذكرنا بأن (كنيسة البيت) كانت هى النموذج العادى لمكان اجتماع المسيحيين فى تلك العصور البدائية .

حقا إن المسيحية أخذت فى ذلك الوقت تحدث أثرها فى الطبقات العليا فى المجتمع الرومانى . ففى سنة ٥٧.م وهى السنة التى كتب فيها بولس رسالته إلى رومية اعتنقت (بومبونيا جرايكينيا) المسيحية ، وهى زوجة (أولوس بلوتيوس) الذى ضم مقاطعة بريطانيا إلى الإمبراطورية الرومانية سنة ٤٣ . م ، وقد حوكمت أمام محكمة أهلية ، وأدينت بتهمة اعتناقها (خرافة أجنبية) ، والتى يمكن أن يكون المقصود بها المسيحية . ولقد كانت المسيحية فى نظر الغالبية من الرومانيين الذين لا يعرفون عنها شيئاً ، ليست أكثر من بدعة أو خرافة شرقية أخرى تثير الاشمئزاز والتقزز . وهو نفس الشيء الذى كان فى ذهن الشاعر الرومانى الهجّاء (جوفينال) ، بعد ستين سنة ، عندما جأر بالشكوى من تدفق مياه الصرف الصحى لنهر (أورنتيس) فى مجرى نهر التيبر . ولما كانت أنطاكية الواقعة على نهر (الأورنتيس) مركزا للمسيحية الأممية ، فربما انصرف ذهن جوفينال إلى النظر إلى المسيحية الأممية كأحد مقدمات ذلك الصرف الصحى .

وعندما تعرضت روما للدمار نتيجة حريق ضخم ــ بعد سبع سنوات من

كتابة بولس لرسالته ـــ وتطلع الإمبراطور نيرون حوله باحثاً عن كبش فداء يوجه إليه شكوك الرأى العام التى كانت قد حامت حوله هو شخصيا (ربما ظلما) ، وجد المسيحيين تحت يده ، وكان مسيحيو روما غير محبوبين ، إذ قيل عنهم إنهم أعداء الجنس البشرى ، ونسب إليهم الكثير من الشرور مثل (كشف عورة المحارم) و (أكل لحوم البشر) . عندئذ صارت أعداد كبيرة منهم ضحايا الحقد الإمبراطورى ، وهذا الاضطهاد تحت حكم نيرون هو الذى ينسب إليه التقليد استشهاد كل من الرسولين بولس وبطرس .

تحقق لبولس بعد مضى ثلاث سنوات على كتابة رسالة رومية ، أمله فى زيارة روما . وقد تحقق له ذلك بطريقة لم يكن يتوقعها عندما كتب رسالته ، فإن الهواجس التى ساورته حول استقباله فى أورشليم والتى عبر عنها فى رومية ١٥ : ٣١ ثبت أنها كانت فى محلها . فلم تمض بضعة أيام على وصوله إلى أورشليم حتى وجهت إليه التهمة أمام السلطات الرومانية فى اليهودية بتدنيس هيكل أورشليم . ولقد طالت محاكمته بدون أن تنتهى إلى نتيجة حاسمة . مما اضطر بولس إلى استخدام حقه كمواطن رومانى فى رفع دعواه إلى الإمبراطور فى روما . وانتهى به الأمر إلى أن ينقل أسيراً إلى روما . وفى خلال رحلته البحرية انكسرت بهم السفينة ، وأمضى الشتاء فى مالطة ، وأخيراً وصل إلى روما فى أوائل سنة ٦٠ م . وأثناء اقتياده صوب الشمال الشرق على امتداد طريق (أبيا) بحراسة القوة العسكرية التى أُسلم إليها سارع المسيحيون فى روما الذين سمعوا بقدومه إلى السير لملاقاته ، فالتقوا به على مسافة ما بين ٣٠ إلى ٤٠ ميلا إلى الجنوب من روما . وكان مرأى هؤلاء الأصدقاء مصدر تشجيع عظيم له . وبقى بولس السنتين التاليتين فى بيت استأجره لنفسه فى روما ، وأقام فيه تحت الحراسة ، مع التصريح له باستقبال الزائرين ، والتبشير لهم بالإنجيل فى قلب عاصمة الإمبراطورية الرومانية .

أما ما حدث فى نهاية السنتين ، فهو أمر متروك للحدس والتخمين . فمن غير المؤكد على الإطلاق ما إذا كان قد قام بتنفيذ خطته بزيارة إسبانيا ، والتبشير هناك بالإنجيل .

أما الأمر المؤكد تقريبا فهو أنه بعد بضع سنوات صدر ضده حكم بإعدامه فى روما باعتباره زعيما للمسيحيين ، وهناك اقتيد إلى خارج المدينة على امتداد

الطريق إلى ميناء (أوستيا) حيث قطعت رأسه بالسيف ، فى الموضع الذى يعرف حتى الآن (بكنيسة القديس بولس) خارج الأسوار . وأيا كان الأمر (على حد قول ترتليان) ، فإن دماء شهداء المسيحيين كانت بذاراً للإيمان . فلم يستطع الاضطهاد والاستشهاد أن يطفىء شعلة المسيحية فى روما ، بل أخذت الكنيسة تزدهر فى قوة متزايدة ، وتمتعت بتقدير المسيحيين فى كل العالم ، باعتبارها كنيسة جديرة بالله ، وتستحق الإكرام ، وأهل للتهنئة والثناء ، ومن حقها أن تحظى بالنجاح ، وأن تكون محلاً للطهر والحب الدائم ، إذ تسير مستظلة بناموس المسيح ، حاملة اسم الآب : (اغناطيوس) .

(٣) رسالة رومية بين مجموع الرسائل البولسية

يقترح ت . و . مانسون T-w-Manson أن هناك من الأسباب الوجيهة أن يطلق اسم (رسالة القديس بولس إلى أهل رومية .. وآخرين) على هذه الرسالة ، لأن هناك أسبابا قوية للاعتقاد بأنه بالإضافة إلى نسخة الرسالة التى أخذت إلى روما ، هناك كثير من النسخ التى أعدت منها ، قد أرسلت إلى كنائس أخرى ، وأحد المؤشرات على هذا هو الدليل الوارد فى نص الرسالة فى ختام الأصحاح ١٥ انظر (ص ٤٦) والذى يتضح منه أنه كانت هناك فى القِرم نسخة متداولة من هذه الرسالة ينقصها الأصحاح ١٦ والتى بمقتضى التحيات الشخصية التى تضمنتها يمكن أن تكون مناسبة لكنيسة واحدة فقط ، وربما يكون بولس نفسه هو المسئول شخصيا عن إرسال هذه النسخ إلى كنائس متنوعة ــ ليس فقط لأن الجزء الأكبر من فحوى هذه الرسالة له أهمية ووثيق الصلة بالمسيحية بوجه عام ، ولكنه أيضا (وربما يكون) بسبب الشكوك التى ساورته والمخاوف التى حدثه بها قلبه بما ينتظره فى رحلته إلى أورشليم (انظر رومية ١٥ : ٣١) هو الذى دفعه لأن يودع عرضه هذا لقضية الإنجيل فى الكنائس الأممية كنوع من العُهد[١] .

---

(١) وهناك فكرة بديلة ــ وإن كانت أقل احتمالاً ــ وهى أن الرسالة إلى أهل رومية كما نعرفها كانت امتدادا من رسالة عامة سابقة (كتبها القديس بولس فى وقت كتابة رسالة غلاطية إلى الكنائس المختلفة التى برزت حول أنطاكية .. وبعدها فى آسيا الصغرى) .

وقد حفظت النسخة التى حملت إلى روما فى حرز مكين فى كنيسة تلك المدينة ، وبقيت سليمة بعد اضطهاد سنة ٦٤ م . وحوالى سنة ٩٦ م ، أظهر كليمنت (وزير خارجية) الكنيسة الرومانية ، نفسه عارفا برسالة رومية ، مردداً صدى لغتها مرات ومرات فى رسالته باسم الكنيسة الرومانية والتى أرسلها فى تلك السنة إلى كنيسة كورنثوس (رسالة إكليمندس الرومانى) . ويوحى أسلوبه الذى يردد فيه صدى لغة رسالة رومية ، إلى أنه كان يحفظها عن ظهر قلب . ومن الممكن تماما أن تكون رسالة بولس تقرأ بصفة منتظمة فى الكنيسة الرومانية منذ الوقت الذى تسلمتها فيه فصاعداً . ويجب أن نضيف إلى ما أسلفنا القول إنه بينما كان كليمنت على معرفة وثيقة بلغة هذه الرسالة إلا أنه ربما لم يستطع أن يدرك على نحو دقيق معناها كما كان متوقعاً ، وهو لا يقف من هذه الناحية فريداً من بين القارئين لهذه الرسالة !

ومن الواضح من رسالة كليمنت أنه اعتباراً من سنة ٩٦م . بدأت بعض رسائل بولس فى التداول فى أرجاء أخرى غير تلك التى سبق إرسالها إليها لأول مرة[١] . فمثلاً نجد أن كليمنت كان على علم وقد اقتبس من رسالة كورنثوس الأولى . وبعد سنوات ليست بالكثيرة نجد أحد المسيحيين المجهولين من العصور التالية يقوم بنسخ ما لا يقل عن عشرة رسائل لبولس ويضعها فى مخطوطة واحدة نسخت عنها العديد من النسخ ، واستخدمت فى أرجاء عديدة من العالم المسيحى[٢] . ومنذ بداية القرن الثانى للميلاد صارت رسائل

---

(١) اتخذ بولس نفسه بعض الخطوات الأولية ليضمن بهذا توجيهاته فى كولوسى ٤ : ١٦ أن تتبادل كنيستى كولوسى واللاودكيين قراءة الرسائل التى يرسلها إليهما . كما أن رسالته إلى غلاطية كانت قد أرسلت إلى عدد من الكنائس (ومما جاء فى غلاطية ٦ : ١١ نفهم أن المخطوطة الأصلية للرسالة كانت تمرر من كنيسة لأخرى . وليس أن نسخا منها متعددة أرسلت إلى الكنائس . لكن بعض الكنائس كانت تنسخ لنفسها نسخا قبل أن ترسلها إلى غيرها ورسالة أفسس خططت على شكل منشور دورى ويحتمل أن تكون قد أرسلت أكثر من نسخة منها إلى الخارج .

(٢) قارن كتاب (ج زونتر) المسمى (نص الرسائل) حيث يعطى الكاتب أسبابا لاعتقاده أن الأجزاء الأساسية من الرسائل قد تم جمعها ونشرها فى الإسكندرية حيث أنها تعطى علامات على استنادها إلى مدرسة الإسكندرية فى الكتابة . وهناك وجهة نظر واسعة الانتشار هى أن الأجزاء الأساسية من الرسائل قد تم جمعها فى أفسس . وهناك حلية تضاف لهذا الرأى وهى نظرية (نوكس) التى تقول إن المحرك الأول لعملية تجميع الأجزاء الأساسية من الرسائل كان (أونسيموس) عبد (فليمون) سابقا ، وحاليا (سنة ١٠٠ م) أسقف أفسس .

بولس متداولة كمجموعة (مجموعة الرسائل البولسية) وليست بصورة منفردة.[1] . ومنذ القرن الثانى الميلادى صارت هذه المجموعة من الرسائل البولسية معروفة لدى الكتاب المسيحيين سواء ذوى الإيمان المستقيم أو غيرهم من الكتاب المبتدعين الهراطقة . ومن هؤلاء نجد الهرطوقى مرقيون ، وهو من أهالى بنطس فى آسيا الصغرى ، وقد جاء إلى روما حوالى سنة ١٤٠ م . وقام بعد سنوات قليلة بنشر لائحة أسفار الكتاب المقدس . ولقد رفض مرقيون سلطان العهد القديم ، وكان يرى فى بولس الرسول الوحيد الأمين ليسوع ، بينما أفسد غيره تعليم يسوع بمزيج مختلط من التهودية . وقد عكست لائحته لأسفار الكتاب المقدس آراءه التى كان يعتنقها . وتتكون هذه اللائحة من قسمين : الإنجيل ، وهى نسخة من إنجيل لوقا ، والتى بدأت بهذه الكلمات : (فى السنة الخامسة عشر لطيباريوس قيصر نزل يسوع إلى كفرناحوم) (قارن إنجيل لوقا الأصحاح ٣ : ١ و٤ و٣١) ، ثم الرسائل ، وتتألف من عشرة رسائل لبولس (لم تتضمن الرسائل إلى تيموثاوس وتيطس) .

وقد جاءت الرسالة إلى غلاطية على رأس قائمة رسائل مرقيون بسبب تأكيدها على الاتجاه المتضاد مع التهودية ، وأيضا ميل مرقيون الطبيعى إليها وولعه بها . أما الرسائل الأخرى فقد توالت حسب الترتيب التنازلى من حيث طول الرسالة ، وأيضا الرسائل المزدوجة (أى الرسالتان إلى كورنثوس والرسالتان إلى تسالونيكى) والتى اعتبر كلاً منها كرسالة واحدة . ولقد جاءت رسالة رومية تالية فى ترتيبها لرسالة الكورنثيين مُقَدِّما كل رسالة بتصدير ألحقه بها . وقد جاء تصديره لرسالة رومية على النحو التالى : « يوجد الرومان فى إقليم إيطاليا . ولقد سبق أن زار هذا الإقليم رسل كذبة مضلون أزاغوا أهلها عن السلطان المعترف به للناموس والأنبياء ، بزعمهم أنهم يعملون باسم ربنا يسوع المسيح . والرسول يدعوهم للرجوع إلى الإيمان السليم بالإنجيل كاتباً إليهم رسالته من أثينا) .

---

(١) ربما كانت هناك مجموعات إقليمية أقدم مثل مجموعة الرسائل المرسلة إلى كنائس مقاطعة آسيا (أفسس وكولوسى وفليمون) . أو تلك المرسلة إلى (مقدونيا) ، وهى تسالونيكى الأولى والثانية وفيلبى .

وليس هذا بالاستدلال الطبيعى الذى يمكن للفرد أن يخرج به من محاجة بولس ، ولكن فهْم مرقيون لموضوع الرسائل بسبعة افتراضات يؤمن بها بقوة ، ولهذا فإنه حيثما وجد تعبيرات فى الرسائل مضادة لافتراضاته المسبقة ، فإنه سرعان ما يقرر أن النص الرسولى قد امتدت إليه يد العبث بواسطة الكتبة التهوديين ، ويتولى على الفور تصحيحه . وقد بلغ من قوة تأثير لائحة مرقيون أنه لم يقتصر على مجرد اتباعه ، بل إن العديد من المخطوطات التى نسخها الكتبة من ذوى الإيمان المستقيم لرسائل بولس ، تضمنت تصديرات مرقيون . ويرجع تاريخ أقدم مخطوطة لرسائل بولس الرسول والتى ما تزال باقية ، إلى القرن الثانى الميلادى ، وتضم المجموعة الأقصر من مجموعة رسائل بولس عشر رسائل من بينها الرسالة إلى العبرانيين . وهذه المخطوطة (بردية ٤٦ من مجموعة تشتربيتى الكتابية المكتوبة على لفائف البردى) ، وقد جاءتنا من مصر حيث اعتبرت الرسالة إلى العبرانيين من بين الرسائل البولسية فى وقت مبكر منذ سنة ١٨٠ ميلادية (بخلاف الحال فى روما) . وتجىء رسالة بولس إلى رومية أولا فى المخطوطة البردية ٤٦ (وهو الاسم الذى سوف تعرف به من الآن P46) .

وتجىء رسالة رومية فى مؤخرة الرسائل البولسية المرسلة إلى الكنائس فى وثيقة أخرى ترجع بتاريخها إلى السنوات الأخيرة من القرن الثانى للميلاد ، وهى المعروفة باللائحة الموراتورية ، أو قائمة الأسفار القانونية للعهد الجديد فى روما . وتعترف القائمة الموراتورية بمجموعة الرسائل البولسية الأطول والمكونة من ١٣ رسالة حيث تضيف رسائل الأفراد بعد رسائل الكنائس ، وليس فقط رسالة فليمون ، بل أيضا تيموثاوس وتيطس .

أما فى الترتيب الأخير للرسائل ، فإن رسالة رومية صار لها الفخر بأن تجىء فى محل الصدارة من مجموعة الرسائل البولسية . ويرجع ذلك تاريخيا ليس فقط لأنها أطول ، بل لأنها فى صلبها تتناسب مع المكانة الرفيعة لهذه الرسالة التى تستحق — فوق الرسائل الأخرى كلها — أن تسمى (الإنجيل بحسب بولس) .

(٤) نص رسالة بولس

أولا : النص البولسى المبكر :

ليس هناك من سبيل إلى معرفة عدد النسخ التى كانت متداولة لرسالة رومية فيما بين سنة ٥٧ م ونهاية القرن الأول الميلادى ، إلا أنه منذ الزمن الذى تم فيه تجميع الرسائل فى مجموعة الرسائل البولسية حوالى سنة ١٠٠ ميلادية ، فإن رسالة رومية ، مثلها فى ذلك مثل غيرها من الرسائل البولسية ، لم تعد تتداول منفردة ، بل كجزء مكون لمجموعة الرسائل البولسية .

والسؤال الذى يطرح نفسه بطبيعة الحال هو : ألم يتبق (فى التقليد الخاص بنصوص الرسائل) أى دليل يعود تاريخه إلى ما قبل مجموعة الرسائل البولسية ؟

من المحتمل أن تكون الاقتباسات فى الرسالة الأولى لأكليمندس (حوالى ٩٦ م) تمثل النص السابق للتجميع . ولكن العناصر الأخرى الموجودة فى النص التقليدى الموجود لدينا هى تقريبا مستمدة من نص المجموعة ، وتُظهر لنا إحصائيات سيرفردريك كينون مقدار الاتفاقات والاختلافات بين بردية ٤٦ وغيرها من المخطوطات الرئيسية ، ومنها يتبين لنا اختلافات لها مغزاها من هذه الناحية بين رسالة وأخرى ، وتقف رسالة رومية على وجه الخصوص بعيداً عن غيرها من الرسائل ، وهو الأمر الذى جعل كينون يعتقد أن أحسن تفسير له يكون فى حالة ما لو كان النص التقليدى للرسائل متداولاً بصفة انفرادية للرسائل . ويذكر دكتور (ج . زنطس) أمثلة قليلة للإفساد القديم للنصوص والتحشيات الهامشية (والتى قد تكون من عمل بولس أو أى شخص آخر) والتى ربما وجدها الذى جمّع المجموعة فى واحدة أو أكثر من المخطوطات التى استخدمها فنقلها إلى النسخة التى جمعها ، إلا أن دكتور زنطس كان على حق فى قوله بأن المجموعة البولسية التى ترقى بتاريخها إلى حوالى سنة ١٠٠ م . هى النموذج الأصلى الذى يجب على نقاد النصوص السعى لاكتشافه ، والذى استمد منه النموذج الأصلى للنصوص العامة التى تعود بتاريخها إلى القرن الثانى الميلادى والنماذج النصية الأخرى التى ترجع إلى القرون التالية . وهو يقدم لنا تعليلا كاملا لاعتقاده بأن المجموعة كانت فى أول الأمر نسخة نقدية للرسائل أخذت فى اعتبارها القراءات المتنوعة بحسب الأساليب الفنية التى تميزت بها

دراسات علماء مدرسة الإسكندرية .

ونستطيع أن نميز (من نهاية القرن الثانى فصاعدا) بين نوعين رئيسيين للنماذج النصية للرسائل البولسية ـــ النموذج الشرقى والنموذج الغربى . وبالإضافة إلى البردية ٤٦ ، وهى أقدم شاهد لنا ، فإن أقدم الشهود للنموذج النصى الغربى هو B (المجموعة الفاتيكانية) والتى تعود إلى القرن الرابع الميلادى ، والنموذج Aleph (المجموعة السينائية) ، والتى ترجع بتاريخها إلى القرن الرابع الميلادى . ومجموعة سنة ١٧٣٩ (مخطوطة أثوس بالخط الصغير Athos mincule والتى تعود بتاريخها إلى القرن العاشر الميلادى) . أو على الأصح المخطوطة القديمة جدا والعظيمة (والتى لا وجود لها الآن) والتى نقل عن نصها نصوص رسائل بولس الثلاثة عشر[١] والعبرانيين ، واستشهادات من إكليمندس الإسكندرى (حوالى ١٨٠ م) ، وأوريجينوس (توفى سنة ٢٥٤ م) ، والترجمتين القبطيتين الرئيسيتين (الصعيدية والبحيرية)[٢] . وقد تبرهنت صحة النص العربى للرسائل البولسية بصفة رئيسية من استشهادات ترتليان (١٨٠ م) ، وإلى غير ذلك من التراجم اللاتينية القديمة (كتابات أخرى للآباء من النص d) والتى مصدرها العام المجموعة D والتى تعود إلى القرن السادس الميلادى والمعروفة بجموعة كارومنتانوس ، وهو نص لاتينى ثنائى اللغة ، ومستقل بذاته عن النص اليونانى المصاحب له . والمجموعتان G,F وهما أيضا مجموعتان باللاتينية واليونانية ، وهما تعودان بتاريخهما إلى القرن التاسع أيضا مثل المجموعة D ، ومن المحتمل أن هذه النصوص من نفس المصدر اللاتينى G.F ، وهما على العكس من النص D ليس لهما قيمة مستقلة . وهذا النص الغربى للرسائل يعود إلى النص الشائع المشوه بعض الشيء ، والذى يعود بتاريخه إلى القرن الثانى الميلادى ، فى حين أن نقاء النص الشرقى نسبياً يرجع إلى التطبيق المستمر لقواعد التحرير الفنية التى كان يستخدمها علماء الكتاب المقدس فى مدرسة الإسكندرية .

---

(١) ونص هذا المخطوط القديم (الجد الأعلى لمخطوطة ١٧٣٩) ، يتفق مع النص الذى عرفه أوريجين والذى يظن أنه ينتمى إلى مكتبة (بامفيلوس) العظيمة فى قيصرية فلسطين .

(٢) من الجدير بالملاحظة أن كل هذه الشواهد تقريبا (بما فيها البردية رقم ٤٣) ذات أصل مصرى .

ثانيا : العودة إلى الأصول القديمة للرسالة :

ج : الدراسات النقدية القديمة لتنقيح نص رسالة رومية Early recemiens هناك العديد من الدلائل من تاريخ نص رسالة رومية على أنها تداولت ليس فقط فى الصورة التى نعرفها ، بل وأيضاً فى واحدة أو اثنتين من النسخ الأقصر . وتظهر هذه الدلائل بصفة أساسية فى اتجاه ختام الرسالة ، ومع ذلك فهناك قطعتان من الممكن أن يكون لهما مغزاهما فى البداية :

١ ــ فى بداية الرسالة : (أ) رومية ١ : ٧ عبارة (فى رومية) فى النص الذى اعتمد عليه أوريجينوس فى تعليقه وشرحه للرسالة ، ومن المحتمل أيضا من النص الذى اعتمد عليه امبروز باستر (على الرغم من تقليد المخطوطة فى كلا التعليقين ، نجد النص الأساسى متوافق مع النص الذى كان فى مجال الاستعمال العام) . وتعلن الهوامش التى فى نصوص ١٧٣٩ و ١٩٠٨ عن صحة الكلمات المحذوفة فى نص أوريجينوس وتعليقاته .

وفى النص اليونانى اللاتينى (G) ، وهو أحد الشواهد الغربية لنص رسالة بولس إلى رومية ، تحذف أيضا الإشارة إلى (رومية) فى هذه الآية . وتأتى القراءة فيها : [إلى كل الذين يحبون الله] فى حين أنها تجىء فى النص الشائع : [إلى جميع الموجودين فى رومية أحباء الله] . وهناك شواهد أخرى غربية جميعها باللاتينية ، تأتى فيها القراءة الأقصر للنص (G) متوافقة مع النص العادى بإضافة الكلمتين (من رومية) ، ولهذا تجىء القراءة : إلى جميع الموجودين فى رومية أحبّاء الله (وهكذا الحال فى النص العربى ، وفى نصوص أخرى قديمة متعددة) .

(ب) رومية ١ : ١٥ ، وقد حذف منها فى النص (G) الكلمات « الذين فى رومية » ، فى حين تظهر فى بعض النصوص المرافقة لهذا النص محاولات لتكييف هذا النص الأقصر مع النص العام للرسالة .

ويبدو لنا كما لو أن النصوص السابقة للنصوص «D» ، «FG» (والتى يطلق عليها ب . كورسين اسم النص «Z» ، قد حُذفت منها الكلمتان [فى رومية] فى الآيتين ١ : ٧ ، ١ : ١٥ على السواء . ويبدو أيضا أن الحذف لم يكن فحسب عاما وقاصرا على النص الغربى ، وإنما أيضا فى نص أوريجينوس

الذى تنقص منه الكلمتان [فى رومية] فى الآية ١ : ٧ .

٢ ــ فى نهاية الرسالة : توحى بعض الظواهر نحو نهاية الرسالة بأنه قد حدثت تنقيحات متنوعة وَصلت بها إلى ختامها فى نقاط مختلفة ، وكان يمكن أن نصل إلى ختام مناسب بعد أى دعاء بالبركة أو ما شابهها مثل التى نجدها فى ١٥ : ٥ و٦ ، ١٥ : ١٣ ، ١٥ : ٣٣ ، ١٦ : ٢٠ ب (والتى تكررها الترجمة العربية فى ١٦ : ٢٤) .

ولكن الظاهرة الأعظم أهمية والتى تستحق الدراسة هى تلك التى نجدها فى ختام الرسالة والمتعلقة بتسبيحة الشكر الختامية لله (والتى تظهر فى الترجمات الإنجليزية والعربية المختلفة فى الأصحاح ١٦ : ٢٥ ــ ٢٧) .

(أ) نجد فى مخطوطة الفولجاتا الأمياتينية ، وفى عدد قليل آخر من المخطوطات أصحاحات مختزلة للرسائل البولسية مأخوذة من الترجمة اللاتينية السابقة للفولجاتا ، وفيها تقّسم رسالة رومية إلى (٥١) أصحاحا أو قسما : وتجىء اثنتان من هذه الأصحاحات المختزلة الأخيرة على النحو التالى :

[٥٠ فيما يتعلق بخطر إحزان أحد الإخوة بطعامنا ، وإظهار أن ملكوت الله ليس أكلا وشربا بل هو برّ وفرح فى الروح القدس].

[٥١ ويتعلق بسّر الله الذى ظل سرًّا مكتوماً فى الخفاء إلى ما قبل آلام المسيح ، ثم أُعلن بعد آلامه] .

إن خلاصة الأصحاح ٥٠ على علاقة بمادة الأصحاح ١٤ : ١ ــ ٢٣ ، فى حين أن خلاصة الأصحاح ٥١ على علاقة بتسبيحة الشكر لله فى الأصحاح ١٦ : ٢٥ ــ ٢٧ ، وهذا يوحى بأنه كانت هناك نسخة أقصر للرسالة متضمنة تسبيحة الشكر لله والتى تجىء مباشرة بعد ١٤ : ٢٣ . وهناك دليل أخرى على أنه كانت هناك نسخة أقصر للرسالة معروفة ومستخدمة .

(ب) إن كتاب الشهادات المنسوب إلى كيريانوس (حوالى ٢٥٠ م) يتضمن مجموعة من الفقرات الكتابية والتى تأمر بضرورة الإعراض عن الهرطقات والبدع ، وهذه المجموعة لا تضم (رومية ١٦ : ١٧) ، والتى

يعتقد أنها أنسب فترة لهذه الغاية . ولعل دليل الصمت هذا كان يمكن أن يكون قليل الأهمية لو أنه لم يُضم إلى بعض الدلائل الأخرى .

(ج) على الرغم من تضمين رومية ١٥ ، ١٦ الكثير من التحذيرات ضد المرقيونية ، إلا أن ترتليان يقتبس من هذه الأصحاحات فى كتبه الخمسة (ضد مرقيون) .

ومهما يكن الأمر ، فإنه فى الكتاب الخامس من هذا البحث (الفصل ١٣) يقتبس رومية ١٤ : ١٠ ويقول إنها تجىء فى القسم الختامى من الرسالة .

(د) يقول روفينوس (حوالى ٤٠٠ م) فى ترجمته اللاتينية لتعليقات أوريجينوس على رسالة رومية ، يقول عن رومية ١٦ : ٢٥ — ٢٧ ، إن (مرقيون) الذى أقحم تحريفات فى الكتب المقدسة الإنجيلية والرسولية ، حذف هذا القسم بالكامل من هذه الرسالة ، وهو لم يقتصر على ذلك بل إنه استأصل كل شيء من هذا الموضع الذى كتب فيه وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية (الآية ١٤ : ٣) ، ومضى فى ذلك إلى النهاية . وليس هناك من شك فى أن روفينوس قد نقل إلينا ترجمة مباشرة صريحة لنفس كلمات أوريجينوس .

(هـ) تأتى تسبيحة الشكر لله الواردة فى رومية ١٦ : ٢٥ — ٢٧ بعد الآية ١٤ : ٢٣ وقبل الآية ١٥ : ١ وذلك فى تقليد النص البيزنطى ، كان أوريجينوس على علم بالمخطوطات التى تضع تسبيحة الشكر لله فى هذا الموضع ، ولكنه كان على علم أيضا بغيرها من المخطوطات التى تضعها بعد الآية ١٦ : ٢٤ . وقد اعتقد (وهذا أمر طبيعى) أن الموضع الأخير هو الموضع الصحيح لها . ولكن من المحتمل أن تلك المخطوطات التى تضع تسبيحة الشكر لله بين الأصحاحين ١٤ ، ١٥ ، تكون شاهداً على وجود نسخة من الرسالة تختتم بالآية ١٤ : ٢٣ وتأتى بعدها تسبيحة الشكر لله .

(و) أما المخطوطة (G) (مع بعض المخطوطات الأخرى التى عرفها جيروم Jerome) فلا تأتى فيه إطلاقا تسبيحة الشكر لله . ومن المحتمل أيضا أن المخطوطات السابقة على المخطوطات (D) ، (FG) (وهى المعروفة باسم «Z» عند كروسين) لم تكن تحتوى بدورها على تسبيحة الشكر لله . وأكثر من هذا ، فإنه بالنظر إلى أن هذه المخطوطة السابقة يظهر أنها من نص غربى فى

الأصحاحات ١ — ١٤ ، ولكن هذا النص له عدة قراءات غريبة فى الأصحاحين ١٥ ، ١٦ . ومن هنا يستنتج كروسين Crossen أن وراء ذلك نص يختتم بالآية ١٤ : ٢٣ (حاذفا تسبيحة الشكر لله) . ومن هنا فإن الأمر أكثر من مجرد تزامن للختام الذى قيل إن مرقيون أنهى به هذه الرسالة .

(ز) هناك شواهد قليلة (مخطوطة AP) (٥ ر٣٣) وبعض المخطوطات الأرمنية تأتى فيها تسبيحة الشكر لله بعد الآية ١٤ : ٢٣ وأيضا بعد الآية ١٦ : ٢٤ .

(ح) فى المخطوطة P46 تأتى تسبيحة الشكر لله بين الأصحاحين ١٥ ، ١٦ .

وقد اعتبر هذا الأمر بمثابة دليل على وجود نسخة من رسالة رومية تختتم عند الآية ١٥ : ٣٣ وتليها تسبيحة الشكر لله .

وهكذا يبدو أن لدينا دليل على وجود نسختين أقصر من الرسالة ، إحداهما تنتهى عند الآية ١٥ : ٣٣ والأخرى تنتهى عند الآية ١٤ : ٢٣ (مع أو بدون تسبيحة الشكر لله) . ولدينا أيضا الدليل على وجود نسخة لا توجد فيها الكلمتان « فى رومية » فى الآيتين : ١ : ٧ و ١٥ ، وربما تكون هذه النسخة متماثلة مع نسخة أخرى أو أكثر من النسخ الأقصر التى أسلفنا ذكرها .

وليست هناك أدنى صعوبة فى فهمنا بسبب تداول نسخة من الرسالة لا يوجد فيها الأصحاح ١٦ . فإذا كانت قد أرسلت عدة نسخ من الرسالة إلى عدد من الكنائس ، بسبب الأهمية العامة للرسالة ومناسبة مضمونها للكنائس على تنوعها يكون حذف الأصحاح ١٦ من كل نسخة ما عدا واحدة منها ، أمرا طبيعيا ، ذلك أن التحيات الشخصية التى تتضمنها تخص كنيسة واحدة دون غيرها من الكنائس . وسوف نناقش فيما بعد ما إذا كانت هذه الكنيسة هى روما أو أفسس .

ولكن لماذا تتداول نسخة من الرسالة بدون الأصحاح (١٥) ؟ إن المحاجة التى تبدأ فى الأصحاح ١٤ : ١ تستمر فى الأصحاح ١٥ وتصل بصورة طبيعية إلى التعبير الخاص ببولس فى ١٥ : ١٥ وما يليها . وأيا كان الأمر فإن لدينا تعبير أوريجينوس الذى يقول فيه إن مرقيون قد اقتطع من الرسالة كل شيء

بعد الآية ١٤ : ٢٣ وإنه اختتمها عند هذه النقطة .

أما لماذا فعل مرقيون ذلك ، فيظهر لكل من ينظر إلى سلسلة الاقتباسات من العهد القديم فى الآيات (١٥ : ٣ ـــ ١٢) ، أو إلى التعبير الوارد فى الآية (١٥ : ٤) لأن كل ما سبق وكتب قد كتب لأجل تعليمنا ، أو إلى وصف المسيح فى الآية (١٥ : ٨) (إن يسوع المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يُثبِّت مواعيد الآباء) .

إن التركيز على مثل هذه الأساسيات المتضادة مع رأى مرقيون ، نادراً ما يجد ما يماثلها فى مجموعة الرسائل البولسية . وعليه فإننا نعزو إلى مرقيون النسخة التى تنتهى بالآية ١٤ : ٢٣ . وإلى هذا الحد كان تأثير نسخة مرقيون ، حتى أن نصها ومقدماتها عادت إلى الظهور بدرجة كبيرة أو قليلة بوسائل النقل الإيمانية المستقيمة وبصفة خاصة فى الكتابات الغربية ، وعلى الأخص فى النسخ اللاتينية . والآن ما الذى يمكن أن نقوله فى شأن حذف الإشارات إلى (رومية) فى ١ : ٧ و ١٥ ؟ هناك رأى يقول إن هذا الحذف يمكن أن يعزى بصورة طبيعية إلى النسخة التى انتشرت على نطاق عام للرسالة والتى ينقصها الأصحاح ١٥ . ويمكننا أن نرى فى الرسالة إلى أفسس حالة مماثلة . وكما هو معروف جيداً فهناك دليل قديم قوى على وجود نص لرسالة أفسس يخلو من الكلمتين « إلى أفسس » فى الآية ١ : ١١ (المخطوطة Aleph P46 B إلخ) . ومن المعلوم أن الرسالة إلى أفسس كان المقصود منها من البداية أن تكون بمثابة رسالة دورية ، تركت فيها مساحة خالية فى التحية الافتتاحية يمكن أن تملأ باسم أى مكان مناسب يمكن توجيه الرسالة إليه . ويظهر أن مرقيون على معرفة بوجود رسالة معنونة (فى لاودكية) بدلاً من (فى أفسس) . ولقد كان من الضرورى وجود اسم مكان يسبقه حرف الجر « فى » حيث أن البنية اللغوية للجملة ليست يونانية . وبمزيد من التأمل نجد أن شرح سبب حذف اسم المكان (فى رومية) فى ١ : ٧ و ١٥ غير مقنع . إن الحالات فى كل من رسالة رومية ورسالة أفسس ليست على درجة من التماثل . ذلك أنه من الممكن أن يحل اسم أى مكان فى الإقليم الذى زاره بولس فى رحلته التبشيرية محل أفسس فى الرسالة إلى أهل أفسس ، فى افتتاحية رسالته إليها الآية ١ : ١ ، ويكون الأمر متمشيا مع سياق الكلام . ولكن لا يمكن أن يحل اسم آخر محل (رومية) فى الآيتين ١ : ٧ و ١٥ ، ذلك لأن سياق

الكلام (رومية ١ : ٨ ـــ ١٥) يشير إلى روما ، وروما فقط . وحتى ولو كانت (رومية) قد انتزعت من الآيتين ١ : ٧ و ١٥ بدون إحلال اسم مدينة أخرى محلها ، فإن هذا الأمر يجعل الشواهد المحلية إليها فى الآيات ٨ ـــ ١٥ (وأيضا فى ١٥ : ٢٢ ـــ ٣٢) غير مفهومة ، أو على الأقل تكون فى حاجة إلى توضيحها بإشارة أخرى تساعدنا على فهمها .

والآن ماذا يمكن أن يقال بخصوص إمكانة نسبة النسخة التى حذف منها (فى رومية) من الآيتين ١ : ٧ و ١٥ ، إلى النسخة التى ختمت بنهاية الآية ١٤ : ٢٣ ، وهى نسخة (مرقيون) فى كل الاحتمالات ؟ إن كل ما نستطيعه هنا هو التخمين حيث أنه ليس لدينا أى دليل عن نص مرقيون للآيتين ١ : ٧ و ١٥ ، كما هو الحال بالنسبة لحذف الأصحاحين ١٥ ، ١٦ ، وعلى أى حال ، لماذا كان يجب على مرقيون أن يستأصل الإشارات الواضحة إلى رومية من نص رسالته ؟ قد يرجع ذلك إلى أنه عندما رفضت روما مرقيون وأنكرت تعاليمه ، فقد حكم عليها أنها لا تستحق أن تذكر فى نص رسالته .

إن هذا مجرد حدس أو تخمين ، ويمكن أن تقابله حقيقة إبقائه على عنوان الرسالة (إلى أهل رومية) فى قائمة الرسائل القانونية .

(٥) رسالة رومية وإنجيل بولس

كانت رسالة رومية آخر رسالة كتبها بولس قبل فترة سجنه الطويلة ، والتى ابتدأت أولا فى قيصرية ، وبعد ذلك فى رومية . وهى على هذا متأخرة عن رسائله إلى التسالونيكيين والكورنثيين والغلاطيين (ومن المحتمل أيضا عن الرسالة إلى أهل فيلبى) . وتسبق رسائله إلى الكولوسيين والأفسسيين (ونحن هنا لا نتحدث عن رسائله الرعوية) . وهذه هى النتيجة التى نصل إليها ليس من واقع الشواهد الداخلية ودلائل تأريخ الأحداث فى الرسائل فقط ، ولكن أيضا عن طريق دراسة موضوع الرسالة وأساسياتها . إن بعض موضوعات رسالتى بولس إلى الكورنثيين تتكرر فى رسالته إلى رومية ، ويمكننا أن نقارن بعض ما قيل عن موضوع الطعام فى كورنثوس الأولى ٨ و ١٠ بما قيل فى رومية ١٤ : ١ وما يليه ، كما يمكننا أن نقارن ما قيل عن أعضاء الجسد ووظائفها فى كورنثوس الأولى ١٢ بما قيل عنها فى رومية ٧ : ٣ وما يليه ،

كما يمكن أيضا مقارنة التضاد ما بين آدم والمسيح فى كورنثوس الأولى ١٥ : ١ وما يليه ، ٤٥ وما يليه بما جاء فى رومية ٥ : ١٢ وما يليه ، وكذلك المقارنة بين شواهد جمع الأموال من أجل أورشليم فى كورنثوس الأولى ١٦ : ١ وما يليه ، وما جاء فى كورنثوس الثانية ٨ و٩ بما جاء فى رومية ١٥ : ٢٥ وما يليه . وفى بعض هذه الأمثلة نجد أن الفقرة التى جاءت فى رومية تحمل فى ذاتها الدليل على أنها متأخرة عن مثيلاتها فى كورنثوس الأولى والثانية . علاوة على هذا فإن رومية تقدم لنا الكثير من المحاجة الواردة فى كورنثوس الثانية ٣ : ١٧ ــ ٥ : ١٠ وعلى اتصال بجزء من المحاجة فى غلاطية ٤ ، ٥ بأسلوب وصف على أنه خلق صريح فى مناسبتين منفصلتين .. للغطاء اللفظى للأشكال المنطقية المألوفة .

وأيا كان الأمر بالنسبة لكل الرسائل البولسية ، فإن الرسالة الوحيدة التى على صلة وثيقة برسالة رومية هى رسالة غلاطية . والمقارنة بين الرسالتين لاشك توضح أن غلاطية هى الأقدم كما أن المناقشات التى فرضت على كنائس غلاطية بطريقة متعجلة كأمر واقع طرحت بصورة أكثر توضيحا وبأسلوب تنظيمي فى رسالة رومية ، ومن ثم فإن العلاقة بين رسالة غلاطية ورسالة رومية هى على مثال العلاقة بين النموذج التحضيرى (البروفة) والتمثال الذى انتهى من صنعه ، وقد كتبت رسالة غلاطية إلى كنائس ولاية غلاطية الرومانية (وتشير كل الاحتمالات إلى أنها موجهة إلى كنائس غلاطية الجنوبية والتى أسسها بولس وبرنابا حوالى سنة ٤٧ ميلادية حسب ما ذكر فى أعمال ٨ : ١٤ ــ ١٤ : ٢٣ لتحذيرهم من الارتداد عن إنجيل النعمة الحرة المجانية بتحريض من اولئك الذين يعلّمونهم بأن إخلاصهم يعتمد على اختتانهم ومراعاة بعض المتطلبات الخاصة فى الناموس اليهودى[1] ولاشك أن هؤلاء المعلمين قد صوّروا هذه المتطلبات على أنها متطلبات تضاف إلى الحاجة الوحيدة المتمثلة فى الإيمان بيسوع كربّ ، وهي الحاجة الوحيدة التى يصر عليها إنجيل بولس ، ولكن بولس يرى فى هذه المتطلبات الناموسية أنها ليست مجرد إضافة إلى الإنجيل ، وإنما هى فى نظره انحراف عن الإنجيل . إن تعليم هؤلاء المعلمين يلغى

---

(١) طبقا لما يقوله (ج . هـ . روبس) إن رسالة غلاطية تتعامل أيضا مع جماعة مضادة تنكر سلطان بولس الرسولى ، ولكن حتى لو كان الأمر كذلك فإن هذا الجانب من المناقشة لا يتعلق بما جاء فى رسالة رومية .

المبدأ الأساسي وهو أن الخلاص يوهب بالنعمة ويُقبل بالإيمان ، وهذه التعاليم الإضافية تجعل للناس نصيبا فى مجد الخلاص الذى يخص الله وحده حسب الإنجيل . إن المخطط الكامل الذى يقترحه هؤلاء المعلمون هو إنجيل مختلف عن الإنجيل الذى بشّر به بولس ورفاقه[1] ، بل إنه فى الحقيقة لم يكن إنجيلاً على الإطلاق . وفى محاولة بولس عرض حقيقة هذا الأمر على أصدقائه أهل غلاطية ، فإنه يطرح أمامهم الموضوع الأساسي لتبرير الإنسان فى نظر الله . كانت العقيدة اليهودية العامة هى أن الله هو الديّان الأعظم للعالم ، تماما كما كان الاعتقاد بأن يوما سوف يأتى فيه يعلن الله دينونته النهائية على كل البشرية . وأيا كان الأمر فإن بولس كان قد علّمهم ، بأنه بفضل عمل المسيح ، فإنه يمكننا عن طريق توقعنا أن نتعرف على حكم ذلك اليوم وأن نتقبله فى الوقت الحاضر وأن هؤلاء الأنقياء القلب سيضمنون تبرئتهم عندما يقفون أمام محكمته هنا ، والآن . ولكن كيف يستطيع بنو البشر فى حقيقة الأمر أن يعرفوا أنهم على طريق الحق فيما يتعلق بمتطلبات الله منهم ؟ فلو كان من الممكن تبريرنا أمام الله بمراعاة مطالب الناموس اليهودي على النحو الذى تعلّمه الغلاطيون الآن ، فإذاً ما هو الموقف بالنسبة لموت المسيح ، وهو الموضوع المركزى فى الإنجيل ، وبحسب الإنجيل فإن موت المسيح كفل لشعبه الفداء وصحح موقفهم مع الله ، فى حين أنه لم تكن هناك ضرورة لموته ، لو كان الناموس كفيلاً بأن يحقق لهم هذا الأمر ، ولكننا نعلم ، كما يقول بولس إن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح ، ولقد تحقق الذين آمنوا به من خلال خبرتهم الخاصة من هذا الأمر ويتابع بولس كلامه قائلاً : بل نحن أيضاً آمنا بيسوع المسيح ، لنتبرر بإيماننا بالمسيح لا بأعمال الناموس ، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما (غل ٢ : ١٦) .

الإيمان ، لا الأعمال : تلك واحدة من المتناقضات التى يؤكد عليها بولس فى رسالة غلاطية . وهناك تناقض آخر مرافق لها فى محاجته وهو (الروح لا الجسد) . إن الحياة الجديدة التى تقبلوها عندما آمنوا بالإنجيل هى حياة يمنحها ويحافظ عليها الروح القدس ، ولا يمكن أن نفكر فى أن عمل الروح والذى ينتمى إلى نظام جديد ، يمكن أن يكون فى حاجة إلى أن يدعَّم بالفرائض التى

(١) عن شهادة بولس أنه والاثنى عشر رسولا بشروا بنفس الرسالة الأساسية يمكن الرجوع إلى ١ كو ١٥ : ١١ .

ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظام القديم للجسد مثل الختان ، وكل ما يتمشى معه . إن محاولة أن نعيش جزئياً « حسب الروح » وجزئياً « حسب الجسد » مصيرها الحتمى إلى الفشل ، وذلك للتضاد الحاد بين النظامين ، لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد (غل ٥ : ١٧) . إن كلاً من هذين الضدين . الأعمال والإيمان .. الجسد والروح يجيئان أيضا فى سياقهما المنطقى فى رسالة رومية ، ويجيء التضاد الأول فى الأصحاحين ٣ ، ٤ حيث يناقش فيهما طريق البّر ، ويجيء الأخير فى الأصحاحين ٧ ، ٨ حيث طريق القداسة هو موضوع المناقشة . وهناك فكرة رئيسية أخرى فى رسالة غلاطية تظهر أيضا فى رسالة رومية وهى دعوى علوّ مرتبة إبراهيم وحقّه فى التصدر والتقدم على الآخرين ، وحيث أن فريضة الختان اليهودية تقوم فى الأساس على العهد الذى قطعه الله مع إبراهيم (تك ١٧ : ١٠ — ١٤) فإن اولئك الذين يصرون على حتمية اختتان المؤمنين بالمسيحية من الأمم ، يقيمون دعواهم على أن هؤلاء لن تكون لهم البركة الموعودة لإبراهيم ونسله إن لم يختتنوا ، وعلى هؤلاء يرد بولس بقوله : إن أساس قبول الله لإبراهيم لم يقم على أساس الختان أو غيره من العمل الشرعى المماثل له ، وإنما قام على أساس الإيمان . آمن إبراهيم بالله فحسب له برّاً (غل ٣ : ٦مقتبسة من تك ١٥ : ٦) . وعلى هذا فإن أبناء إبراهيم الذين يرثون البركات الموعودة لإبراهيم ، هم أولئك الذين على مثاله يؤمنون بالله ، وعلى ذلك فهم مبررون بنعمته . وبالاختصار ، فإن الإنجيل هو إتمام للعهود التى عملها الله مع إبراهيم ونسله — وهى الوعود التى لم ينسخها أو يغيرها أى شيء ، شأنها فى ذلك شأن ناموس موسى الذى صدر منذ كانت هذه العهود .

وأكثر من ذلك ، فإن بولس يؤكد للمسيحيين الغلاطيين الذين يخضعون للختان كالتزام شرعى أنهم فى هذه الحالة يضعون أنفسهم تحت التزام مراعاة ناموس موسى بالكامل ، وبذلك يعرضون أنفسهم للوقوع تحت طائلة اللعنة الإلهية المعلقة على أولئك الذين يفشلون فى الحفاظ على ناموس موسى بأكمله[1] . ولكن الرسالة المحررة للإنجيل تقول لنا إن المسيح افتدانا من لعنة

---

(١) نرجو الرجوع إلى تثنية ٢٧ : ٢٦ المقتبسة فى غل ٣ : ١٠ .

الناموس ... لتصير بركة إبراهيم للأمم فى المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح (غل ٣ : ١٣ و ١٤) .

إن مبدأ البر بالحفاظ على الناموس ينتمى إلى مرحلة عدم النضج الروحى . ولكن الآن وقد جاء الإنجيل ، فإن الذين يطيعونه ويؤمنون بيسوع يحصلون على نضوجهم الروحى كأبناء راشدين لله . إن روح الله الذى سكن فى قلوب المؤمنين هو نفسه روح ابنه ، ومن خلال حقه لهم أن يخاطبو الله بتلقائية كأبيهم تماما كما عمل المسيح نفسه .

والإنجيل هو أيضاً رسالة للحرية بديلاً عن نير العبودية الذى يحمله اولئك الذين يعتمدون على الناموس لضمان قبول الله لهم . فلماذا يتخلى أولئك الذين حرّرهم المسيح عن حريتهم ، ويخضعون للعبودية من جديد ؟ ومن الناحية الأخرى فإن الحرية التى جاء بها الإنجيل هى حرية لا صلة لها بفوضى الإباحية . إن الإيمان الذى يتحدث عنه الإنجيل هو الإيمان الذى يظهر نفسه فى حياة المحبة ، وهكذا يكمل ناموس المسيح (غل ٥ : ٦ ، ٦ : ٢) [قارن رو ١٢ : ٩ ، ١٣ : ٨ — ١٠] .

وهكذا يقنع بولس بالحجة والمنطق كنائس غلاطية من الناحية الإنسانية ، كذلك من ناحية الأمر الواقع . ولقد قيل إن التبرير بالإيمان ، وإن لم يكن بالضرورة مبدأ متعارضاً مع عقيدة بولس فى الأيام الأولى لعمله التبشيرى ، إلا أنه الآن قد صاغه وعبرّ عنه لأول مرة عندما وجد الضرورة تحتم عليه أن يجيب على محاولات التهوديين فى غلاطية ، ويبدو محتملاً أن مصطلح (التبرير) والذى صار له هذا التمنى البولسى الخاص والأهمية فى رسالتى غلاطية ورومية فقط قد استمد أهميته وبعض معناه على الأقل ليس من معجم بولس اللاهوتى بل من كلمات معارضيه .[1]

إلا أن الإنجيل الذى يُحَاج به بولس المسيحيين الغلاطيين فى رسالته كان

---

(١) يقول (هـ . باك) إن هذه النتيجة لا مفر منها بعد مقارنة بين ٢ كو ١ — ٩ حيث يظهر فقط المقابلة بين الجسد والروح ، وبين رسالة غلاطية حيث يستخدم بولس هذه المقابلة بالإضافة إلى الأخرى من (الأعمال والإيمان) .. ولما كانت رسالة غلاطية أقدم من (٢ كو ١ — ٩) لأنه لو =

هو الإنجيل الذى جاء به إليهم عندما زار أولا مدنهم وكرز لهم برسالة الصليب بصورة حية كما لو أن يسوع المسيح قد رُسم بينهم مصلوباً . وأكثر من ذلك فهو الإنجيل الذى أحدث ثورة فى حياة بولس الخاصة . إن بولس ، كما نعلم ، قد اهتدى فجأة إلى خدمة المسيح من حياة كان الناموس فيها هو المركز الذى يدور وينتظم حوله كل شيء . ولم يكن فى أسلوب تفكيره وممارسته أى موضع لقبول ما يدعو إليه تلاميذ المسيح واعتبار دعواهم عن يسوع أمراً حقيقياً . وكان من الممكن أن يسلم معلمه غمالائيل بدعوى هؤلاء التلاميذ من باب المجادلة ، إلا أن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لبولس . وفى نظره كانت هناك حقيقة واحدة كافية لدحض إدعاء التلاميذ أن يسوع هو المسيا ، وهذه الحقيقة هى صلبة . وكان موضوع استحقاقه للموت من عدمه موضوعاً قليل الأهمية بالنسبة له ، وإنما الأمر المهم حقيقة هو تلك الحقيقة التى يؤكدها الناموس : المعلَّق ملعون من الله (تث ٢١ : ٢٣) .

ومن هنا فإن القول بأن الذى مات ملعوناً من الله يمكن أن يكون المسيا فهو تجديف وخزى . وعندما اضطر بولس فى منتصف عمله كمضطهد للكنيسة إلى الاعتراف بأن المسيح المصلوب قد قام من بين الأموات ، وبكل دعاوى التلاميذ عن يسوع بأنه المسيا ، والرب ، وابن الله ، فإن كل نظام تفكيره وحياته ، والذى تركز سابقاً حول الناموس كان لابد وأن يهتز من الأعماق ويتلاشى إلى فتات . فقد تبين له أن حكم الواثق الذى كان قد أصدره على يسوع بحسب هذا الظام خاطىء من أساسه . إلاّ أن الشظايا التى تحطّم

= كان بولس قد كوّن فعلاً نظريته عن (الإيمان مقابل الأعمال) فى ذهنه قبل أن يكتب هذه الأصحاحات فما كان يمكن أن يتفادى استخدامها ولو مرة واحدة على الأقل من وجهة نظر (الوضع غير القانونى الصعب) الذى مارسه هناك . إن الموقف الذى يتعامل معه فى (٢ كو ١ — ٩) على أى حال ليس له نفس الأرضية التى للموقف الذى يتعامل معه فى رسالة غلاطية — ولا يستدعى استخدام المقارنة بين (الإيمان والأعمال) بنفس الطريقة وإننى أؤرخ رسالة غلاطية على أنها كتبت فى مرحلة مبكرة من خدمة بولس ، وقد سبق أن استخدم (د . هيتمولر) نفس وجهة نظر (باك) حيث قال إن (تعليم بولس الرسول عن التبرير كان بالنسبة له تعليما حوليا دفاعيا — قد نما أولا من إرسالية بولس على مدى خدمته ، واستخدمت للدفاع عن كرازته بناموس الحرية للأمم فى مقابل هجوم المسيحيين من أصل يهودى وتحفظاتهم .. ويعود (هول) بوجهة النظر هذه إلى أيام (بفايدر وفون فيزاكر) و (و . ورد) .

إليها نظامه الفكرى ما لبثت أن أخذت تتجمع وفق أسلوب مختلف تماما ، وحول مركز جديد . هو يسوع المصلوب والمقام . ومن ثم أصبحت الحياة بالنسبة لبولس هى المسيح . ولكن ماذا عن المحاجة القديمة ، وهى أن المصلوب قد مات تحت اللعنة الإلهية ؟

هل ما تزال هذه المقولة سارية صحيحة ؟ إنها ما تزال لها شرعيتها وصحتها ، إلا أنها الآن صار لها معنًى جديداً . ذلك أن الله قد قلب تلك اللعنة بإقامته يسوع من بين الأموات . ولكن لماذا كان يجب أصلاً أن يتحمل يسوع تلك اللعنة الإلهية ؟ لقد كان على بولس الآن وليس فى ما بعد أن يصل إلى هذا الاستنتاج الذى أعلنه فى غلاطية ٣ : ١٠ ــ ١٣ ، أن يسوع خضع لموت الصليب لكى يأخذ على عاتقه هو نفسه اللعنة التى أعلنها الناموس على كل الذين فشلوا فى حفظ الناموس كاملا (تث ٢٧ : ٢٦) . ولقد كانت صيغة هذه المحاجة هى بذاتها الصيغة التى ألفها بولس تماما فى المدارس الرابينية ، إلا أن أحداً من الربيين لم يصُغ على الإطلاق جوهر تلك المحاجة الجسورة فى كلمات أن المسيا يتحتم عليه أن يحمل هو على عاتقه طوعا اللعنة التى تنصب على الذين يكسرون ناموس الله من أجل تحريرهم من تلك اللعنة .

ولكن عن هذا الطريق فإن عقيدة المسيا المصلوب ، والتى كانت يوما حجر عثرة لبولس أصبحت الآن حجر الزاوية لإيمانه وكرازته (انظر رو ٩ : ٣٢ وما بعده) .

ونحن لا نستطيع أن نقول متى تبلورت هذه العقيدة فى هذا الشكل الجديد فى عقل بولس[1] ؟ ولربما ساعده فى الوصول إلى هذا التفسير فى مرحلة مبكرة هذه الصورة التى رسمها إشعياء للعبد المتألم (إش ٥٣ : ١٠ ــ ١٢) ، ذلك العبد الذى أسلم ذاته كذبيحة إثم من أجل الآخرين ، والذى حمل خطية الكثيرين ، وبذلك حصل لهم على البّر . ولكن ليس فى مقدورنا

---

(١) وقد أصاب (ج . ويسى) إذ فكر فى فترة نشاط بولس فى سوريا وكيليكيا (غل ١ : ٢١) قبل ذهابه إلى أنطاكية (أع ١١ : ٢٦) أن تكون هذه فترة التكوين المشار إليها فيقول (لا يمكن الإصرار على أن تطور بولس الحقيقى كمسيحى وكلاهوتى قد اكتمل فى خلال هذه الفترة ــ وهى فترة غامضة بالنسبة لنا ــ على أن الرسائل التى نحن بصددها تتعلق بالرجل الكامل النضج ــ وأن التطور ــ الذى يعتقد البعض أنه يمكن تمييزه فى فترة كتابة الرسائل ــ وهى على الأكثر عشر سنوات لا تستحق الذكر على الإطلاق . وهذا القول الأخير هو حكم شديد التسرع إلا أنه يصلح كعلاج ناجع للتخمينات الزائدة حول تطور بولس الداخلى .

التأكيد فى قوة على أن لاهوت بولس لم يتم فى بادىء الأمر على أساس من دراسته وتفكيره المتمعن . لقد استند لاهوته مبدئيا على خبرته الذاتية فى الله الذى أعلن ابنه فيه (غل ١ : ١٦) وسكب محبته فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا (رومية ٥ : ٥) . إن كل الذى سعى إليه بولس جاهدا على مدى طويل من حفظه للناموس قد تحقق له الآن بعطية الله ، بكل ما سعى من أجله وأكثر مما تمناه . إنه الآن يستطيع أن يحقق إرادة الله بتلقائية حرة لم يعهدها من قبل تحت الناموس ، لقد عرف الآن أنه أصبح مقبولاً من الله ، وأنه قد تبرر بنعمته ، وبورك ببركة جديدة فى داخله ، ودعى للخدمة التى ملأته الآن وإلى الأبد بالحمية وأعطت معنى وهدفاً لحياته .

إن البار بالإيمان يحيا — أو كما بسطها بولس « إن الذى تبّرر بالإيمان هو الذى سيحيا »[1] — وهذا المبدأ ليس فقط جوهر رسالة غلاطية ، ولب نص الرسالة لرومية ، بل كان المبدأ الأساسى الذى أرسى بولس حياته عليه . وكان بولس يعود إلى هذا المبدأ من وقت لآخر ، ولم يكن هذا فى هاتين الرسالتين فقط ، فعندما يذكّر بولس الكورنثيين كيف أن المسيح « جُعل ... خطية لأجلنا (أى ذبيحة خطية) لنصير نحن بر الله فيه » ، ويقول لأهل فيلبى إنه يتطلع إلى أن « أربح المسيح وأوجد فيه وليس لى برى الذى من الناموس بل الذى بإيمان المسيح البر الذى من الله بالإيمان » (فى ٣ : ٨ و ٩) فهو هنا يرينا بوضوح الأساس الذى يستند عليه رجاؤه والقوة الدافعة التى تقف وراء خدمته الرسولية وتساندها . إن مجرد المقابلة بين نشاطه السابق كمضطهد للكنيسة وحياته الآن كعبد خاضع ليسوع المسيح تمجد نعمه الله التي أفيضت عليه بسخاء ، والتى مسحت سجل أعماله وأحداثه السابقة وصيرته سجلاً نقياً ناصع البياض ، وجعلت منه الشخص الذى أصبح عليه الآن .

وعلى هذا فإن طريق البر الذى يوضح معالمه الآن لأهل رومية ، هو طريق قد عرفه منذ اللحظة التى ثبّت فيها أقدامه عليه خارج أسوار دمشق ، وهنا نجد فى هذه الرسالة الشىء الكثير من سيرته الذاتية أكثر مما يمكن أن يقع عليه نظرنا — السيرة الذاتية لشخص قد تبرر بالإيمان[2] . إن التبرير بالإيمان يعنى

---

(١) حبقوق ٢ : ٤ مقتبسة فى غل ٣ : ١١، رو ١ : ١٧

(٢) انظر كتاب (عقيدة التبرير) للكاتب (ج . بوكانان) حيث يقول: آمن بولس من كل قلبه ، بإمكان غرس شخصية بارة ، ولكن كشىء لاحق ، ومتميز عن خلق وضع بار جديد — وعادة ما =

أن الخلاص لا يعتمد على الأسرار المقدسة أو الشعائر الطقسية ، ولا على ما يفعله أو لا يفعله أى كاهن أو شيخ أو قسيس ، بل على استجابة القلب المؤمن بكلمة الله فى يسوع المسيح . وإن علينا أن نعى جيداً ما تعنيه هذه المقولة ، إنها ليست مجرد مقولة لاهوتية مختلفة . إنما بضربة واحدة قد اجتثت جذور ذلك النظام القائم على الكهنوت بأكمله ، وما يتصل به من عقيدة الأعمال — والكفارة ، والحج ، والصوم ، والتطهير ، وإلى ما غير ذلك . إن الكنيسة لم تعد هيئة كهنوت منظمة فى مراتب متسلسلة تمارس شعائر أساسية ولا غنى عنها لأعضائها ، كما أنها لم تعد طبقة منغلقة أو متحجرة من الكهنة ذات سلطان مكتنف بالأسرار ، ولا أقول سلطاناً سحرياً . بكلمة من الأسقف ، بل هى كهنوت جميع المؤمنين ، وخدمة مفوضة بدعوة من الروح القدس ، المستند إلى الفحص الدقيق لأسلوب حياة الشخص وعقيدته ، وبموافقة الشعب الذى يقوم على رعايته .. فما أن تقبل عقيدة التبرير بالإيمان حتى يصبح الرجل العلمانى ، الرجل العادى قادراً على أن يصير فى قلب الجماعة بخطوة واحدة . ذلك أن مثل هذا التعليم يضع الإنسان وجها لوجه أمام الله ، وإذا اتضع وندم فى التراب والرماد أمام الله ، فإن الله هو الذى يرفعه ويقيمه على قدميه .

= كان الفكر اللاهوتى المصلح يميز بين الأمرين بتسمية الأمر الأول (التقديس) وهو موضوع (رو ١ : ٦ — ٨ — والثانى — التبرير وهو موضوع (رو ١ : ١٧ ، ٣ : ١٩ — ٥ : ٢١) والفشل فى ملاحظة هذا التمييز يؤدى إلى الارتباك فى تفسير فكر بولس — وبينما نحن نفكر فى التمييز بين التبرير بالإيمان كالعمل المبدئ لنعمة الله — والتقديس والعمل التالى والمستمر لنعمته — وتبعا للعقيدة اللوثرية والمصلحة هناك دليل كافٍ على أن التبرير بالإيمان فقط كان ساريا فى النصف الأول من القرن السادس عشر لدى عدد من اللاهوتيين فى المعسكر البابوى وخاصة فى إيطاليا — بما فيهم الكاردينال الإنجليزى (ريجنالدبول) .. وعندما كتب (ج — كونتاريني) بحثا عن التبرير بالإيمان فقط — هنأه بول على أنه كان أول من أبرز إلى النور (هذه الحقيقة المقدسة المثمرة التى لا مفر منها) .

والحق أن العقيدة المصلحة عن التبرير بالإيمان كانت مسبوقة فى كل نقاطها تقريبا بواسطة (جوليانا ملكة النرويج) منذ أكثر من ١٠٠ سنة سابقة . وكان (مجمع ترنت) هو الذى أوقف هذا الاتجاه فى الجانب البابوى — وبالرغم من نصيحة (بول) ألا أن تُرفض الفكرة لمجرد أن لوثر مؤمن بها .. إلا أن المجمع عرّف (التبرير) بعبارات جعلت معناه ملتبساً مع (التقديس) وجعلته يعتمد على الأعمال كما على الإيمان ، وحرم كل من يؤمن بالعقيدة المصلحة — أو البولسية — على أن المجمع لم يدن العقيدة الكتابية فى التبرير بالإيمان فقط ، بل التفسيرات الخارجية التى أدخلها المصلحون على تلك العقيدة . وقد تمسك المحدثون بالقول إن الصيغة الثلاثية (المشروطة فى حالة بولس) قد اساء البروتستانت فهمها على أنها تعليم لاهوتى خلاصى معاون .

ومثل هذا الشخص الذى له مثل هذه التعاملات مع الله والذى أقامته قدوة الله العظيمة ونعمته على قدميه ، لا يمكن أن يُستعبد بروحه لأى شخص آخر . إن عقيدة التبرير بالإيمان تشكل الأساس للأنماط الديمقراطية التى ترسخت عمقا فى هذه البلدان ، متأثرة بحركة الإصلاح الدينى بحيث أصبحت معقل الحرية الصحيحة . لقد أتُهم لوثر بأنه يحرض على الثورة ، بأن وضع فى أذهان البسطاء الأصاغر قيمتهم وكرامتهم الهائلة فى نظر الله . فكيف يستطيع لوثر أن ينفى عن نفسه هذه التهمة ؟ إن الإنجيل كما تعلّمه من بولس قد فعل هذا الأمر بكل دقة .

ومع ذلك ، ومع كون عقيدة تبرير الخطاة بالإيمان هى عقيدة حاسمة بالنسبة للإنجيل البولسى ، إلا أنها لا تعالج الموضوع معالجة كاملة ، بل إن بولس يضع عقيدة التبرير مع عقائد أخرى فى سياق الخليقة الجديدة التى جاءت إلينا مع المسيح وفى المسيح ، ذلك أن التبرئة فى يوم الدينونة قد أعلنت هنا والآن بالنسبة لأولئك الذين وضعوا إيمانهم فى يسوع كجزء لا يتجزأ من الحقيقة وهى « أن الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً » (٢ كورنثوس ٥ : ١٧) وهى الحقيقة التى أصبحت أمراً واقعاً بمجىء الروح القدس وعمله .

(٦) (الجسد والروح) فى رسالة رومية

أ ـــ الجســـد :

يتقدم وليم تندال إلى قارىء هذه الرسالة بالنصيحة الحكيمة التالية : « يجب أول كل شىء أن نلاحظ بعناية طريقة كلام الرسول ، وأن نعرف فوق كل شىء ماذا يعنى بولس بهذه الكلمات : [الناموس ، الخطية ، النعمة ، الإيمان ، البر ، الجسد ، الروح وما يماثلها] ، وإلا فإنك إن لم تفعل ذلك فى أحوال كثيرة فسوف يذهب تعبك أدراج الرياح .

ومن بين هذه الكلمات هناك اثنتان منها على درجة كبيرة من الأهمية . هما الكلمتان المتضادتان (الجسد) و (الروح) ، واللذان يتعلق استخدام بولس المميز لهما على التعاقب بالنظام القديم الذى تجاوزه المسيح والنظام الجديد الذى دشنه . إن هناك حرباً مستعرة لا تتوقف بين الروح والجسد ، وكلاهما

يقاوم الآخر فى قلعة النفس البشرية . وهذه الحرب كما تصفها كتابات بولس ليست حرباً بين المادة والعقل ، أو حرباً بين العناصر المادية والعناصر العقلانية فى الإنسان ، والتى نقابلها فى الفلسفة اليونانية . إن الخلفية التى تقع وراء استخدام بولس لهذه المصطلحات نجدها فى العهد القديم ، وإن كان بولس قد مدّ استخدامها من خلال مجريات تفكيره وحقل نشاطه واهتماماته الخاصة . ففى العهد القديم نجد أن كلمة (لحم) تعنى المكون المادى لحياة الإنسان (والحيوان) . ولو تركنا جانباً تكرار ورود كلمة (جسد) بمعنى حياة الحيوان (مثل تك ٦ : ١٩) ، أو لحم الحيوان الذى يمكن أن يؤكل (مثل خر ١٢ : ٨) ، فإننا نلاحظ أن الناس (البشر) ، هم غير الآلهة الذين ليست سكناهم مع البشر (دان ٢ : ١١) . وعندما يعلن الله بأنه سوف يجعل حداً لحياة الإنسان فإنه يقول : « لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد هو بشر » (تك ٦ : ٣) . إن الإنسان فى حقيقته هو بشر حىّ : كل بشر all Flesh (مثل تك ٦ : ١٢ ، إش ٤٠ : ٥ ، يوئيل ٢ : ٢٨) فإن كلمة (بشر) تعنى كل البشرية ، هذا إذا لم تكن القرينة تدل على المعنى الواسع .. وهو كل الأحياء .

وقد تعنى كلمة (بشر) الطبيعة البشرية فى ضعفها وأخلاقياتها : ذكر أنهم بشر (مز ٧٨ : ٣٩) كما أنها يمكن استخدامها للدلالة على الجسم البشرى ، وذلك فى حالة إرشاد الإنسان إلى أن يرحض جسده بماء فيطهر (لا ١٤ : ٩) كما تطلق أيضا على الإنسان ذاته بالمعنى العام كما فى المزمور ٦٣ : ١ يشتاق إليك جسدى ، وهى فى ذاتها مرادفة لكلمة (نفسى) والواردة فى القسم السابق من الجملة : عطشت إليك نفسى . [هنا نجد أن كلا من (نفسى) و (جسدى) ليستا أكثر من الأسلوب البديل لاستخدام ضمير المتكلم (أنا)] .

وعلى هذا فإنه يجب علينا ، على ضوء خلفية العهد القديم هذه ، أن نفهم الاستخدام البولسى لهذا المصطلح فى ضوء الشواهد الأكثر تخصصا والمذكورة فى رسالة رومية .

(١) استخدام مصطلح (الجسد) بالمعنى العادى للحم البشرى فى رومية ٢ : ٢٨ . ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختانا (قارن التكوين ١٧ :

١١) وذلك بالمقابلة مع الختان الروحى للقلب .

(٢) استخدام مصطلح (الجسد) للدلالة على صلة القرابة والنسب الطبيعى بين البشر ، ومن هنا قيل عن المسيح فى رومية ١ : ٣ [من نسل داود من جهة الجسد] ، وما جاء أيضاً فى ٩ : ٥ [ومنهم المسيح حسب الجسد][١] . وكذلك قيل فى رومية ٤ : ١ عن إبراهيم : إن أبانا إبراهيم قد وُجد حسب الجسد (بمعنى أنه جد أولئك الذين هم يهود بحسب ميلادهم) . فى حين أنه دُعى من الناحية الروحية ليكون أبا لجميع الذين يؤمنون (رومية ٤ : ١١ و ١٢و١٦) ، أما نسله بطريق التوالد الجسدى فهم أولاد الجسد ، بالمقابلة مع أولاد الموعد (رومية ٩ : ٨) . إن الشعب اليهودى بحكم الميلاد هم أنسباء بولس حسب الجسد (رومية ٩ : ٣) ، أو هم ببساطة جسده (رو ١١ : ١٤) بحكم انتسابه بمولده إليهم[٢] .

(٣) استخدم مصطلح (الجسد) بمعنى البشرية بأكملها فى رومية ٣ : ٢٠ لأنه بأعمال الناموس كل ذى جسد لا يتبرر أمامه . إن هذا استعمال عبرانى عادى ، وأمثلته من العهد القديم فى : « ياسامع الصلاة إليك يأتى كل بشر » (مزمور ٦٥ : ٢) ، « وليس سلام لأحد من البشر » (إرميا ١٢ : ١٢) ، ويمكننا أن نقارن بكلمات ربنا : « ولو لم يقصِّر الرب تلك الأيام لم يخلص جسد » (مرقس ١٣ : ٢٠) .

ويبدو أن بولس كان مولعا بهذا الاستعمال على الرغم من أنه يقتبس فى رومية ٣ : ٢٠ ، من المزمور ١٤٣ : ٢ ، إلا أن كلمة (جسد) لا تظهر فى فقرة العهد القديم ، إلا أن بولس أدخلها فى اقتباسه هنا ، وأيضاً فى غلاطية ٢ : ١٦ (قارن ١ كورنثوس ١ : ٢٩ لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه) . وأحياناً يعبر عن نفس الفكرة بعبارة اللحم والدم (مثل غل ١ : ١٦) (لم أستشر لحما ودما) بمعنى أنه لم يستشر أى بشر .

(٤) يستخدم مصطلح (جسد) استخدامات متنوعة بمعنى الطبيعة

---

(١) فى هذين المكانين ، وخصوصاً فى الأول منهما ـــ يدل تعبير (الجسد) ليس فقط على صلة القرابة الطبيعية بل أيضا على حالة وجود المسيح قبل أن يتمجد .

(٢) تظهر كلمة (جسد) بهذا المعنى فى العهد القديم كما فى قول ابيمالك لأهل شكيم : « اذكروا إنى أنا عظمكم ولحمكم » (قض ٩ : ٢) .

البشرية ، وذلك على النحو التالى :

١ ــ **الطبيعة البشرية الضعيفة** : ففى رومية ٦ : ١٩ يشرح بولس وجهة نظره باستعمال التناظر من الحياة العامة : « أتكلم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم » . وهنا فإنه باستخدامه كلمة (جسد) يشير بصفة خاصة إلى ذكاء قرائه . وأيضاً فى رومية ٨ : ٣ يتكلم عن عجز الناموس فى تحقيق البر : « لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه فى ما كان ضعيفاً بالجسد » . بمعنى ضعف الطبيعة البشرية التى يعمل من خلالها ، وهناك مثال جيد لهذا المعنى لكلمة (جسد) ، نجده فى قول يسوع فى متى ٢٦ : ٤١ : « أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف » .

٢ ــ **الطبيعة البشرية للمسيح** : إن الطبيعة البشرية للمسيح هى الشيء الذى تشارك فيه مع جميع البشرية . إلا أن طبيعتنا البشرية خاطئة ، ذلك أن الخطية قد أقامت رأس جسر فى حياتنا سيطرت من خلاله على الموقف .

لقد جاء المسيح فى جسد حقيقى ، ولكنه لم يكن (جسد خطية) ذلك أن الخطية لم تستطع أن تكسب لنفسها موطيء قدم فى حياته . ومن هنا قيل إنه جاء « فى شبه جسد الخطية » (رومية ٨ : ٣) . وبمجيئه على هذا النحو تعامل بكفاءة واقتدار فى ناسوته (طبيعته البشرية) مع الخطية : لقد قاوم كل محاولاتها لكسب أى مدخل إلى حياته ، وحتى فى موته فإنه قدّم حياته التى بلا خطية لله كذبيحة خطية ، وهكذا أدان الله الخطية فى الجسد (رومية ٨ : ٣) . بمعنى أنه صدّق على حكم الموت الذى أصدره على الخطية بواسطة تجسده ، وذبيحته وانتصار الإنسان يسوع المسيح .

٣ ــ **الطبيعة القديمة فى المؤمن** : عندما يتكلم بولس عن (جسده) فإنه يقصد نزعته الطبيعية الخاطئة التى ورثها عن آدم ، والتى ليس فيها أى شيء صالح (رومية ٧ : ١٨) ، فهو يقول عنها : « أنا ... أخدم ... ناموس الخطية » (رومية ٧ : ٢٥) [1] . إنها لا تزال حاضرة عنده وذلك على الرغم من نجاحه فى جعلها عاجزة عن النشاط ، هذا مع حقيقة كونها قد

---

(١) بالرغم من أن مسيحيى كورنثوس كان يسكن فيهم روح الله كمجموعة وكأفراد (١ كو ٣ : ١٦ ، ٦ : ١٩) إلا أنهم كانوا جسديين وليسوا روحيين (١ كو ٣ : ١و٢) .

صلبت . قارن غلاطية ٥ : ٢٤ « ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات » مع رومية ٦ : ٦ « إن إنساننا العتيق قد صلب معه (أى مع المسيح) ليبطل جسد الخطية .

كثيراً ما نقابل هذه العبارة البادية التناقض فى كتابات بولس ، حيث يحظر على المؤمنين مراراً وتكراراً أن يبقوا على الحالة التى كانوا عليها ، بل أن عليهم أن يكونوا عاملين حاليا كأعضاء فى المسيح . ومن هنا قيل : إنكم « إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الإنسان الجديد » (كولوسى ٣ : ٩ و ١٠) فى حين أنهم قد وُعظوا فى موضع آخر : « أن تخلعوا الإنسان العتيق وتلبسوا الإنسان الجديد » (أفسس ٤ : ٢٢ و ٢٤) . والإنسان العتيق هو ما كانوا عليه فى آدم ، أما الإنسان الجديد فهو الذى صاروا إليه « فى المسيح » . وعلى هذا فإننا عندما نلبس الإنسان الجديد فإننا نلبس المسيح ، وبينما يقول بولس للغلاطيين : « لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح » (غل ٣ : ٢٧) ، فإنه يقول للرومانيين : « بل البسوا الرب يسوع المسيح » (رومية ١٣ : ١٤) .

٤ ــ **الطبيعة البشرية غير المتجددة** : على الرغم من أن « جسدى » ما يزال حاضراً معى ، إلا أننى لم أعد بعد فى الجسد[1] ، ولأن تكون فى الجسد هو أن تكون غير متجدد ، وأنك ما تزال فى آدم وفى حالة لا يمكن معها أن ترضى الله (رومية ٨ : ٨) . كان المؤمنون قبل إيمانهم فى الجسد (رومية ٧ : ٥) ، وأما أنتم فلستم فى الجسد بل فى الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم ، ولكن إن « كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له » (رومية ٨ : ٩) .

٥ ــ **وعليه لما كان المؤمنون لم يعودوا بعد فى الجسد** ، وإنما فى الروح وإن عليهم أن لا يعيشوا فى ما بعد (بحسب الجسد) أى بحسب طبيعتهم العتيقة وحياتهم غير المتجددة[2] . بل إن عليهم أن يعيشوا « بحسب الروح » (انظر

---

(١) فى غلاطية ٢ : ٢٠ يقول بولس (فما أحياه الآن فى الجسد) بمعنى (فى جسد الموت) . والكلمات هنا هى نفس الكلمات أعلاه إلا أن المعنى يختلف تماما .

(٢) هناك عبارة هامة وردت فى ٢كو ٥ : ١٦ عن موضوع (حسب الجسد) : (إذاً نحن من الآن لا نعرف أحداً حسب الجسد ، وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد) =

رومية ٨ : ٤ و ٥ و ١٢ و ١٣) . لقد استبدلوا نظرتهم غير المتجددة (الذهن الجسدى أى الاهتمام بما هو للجسد) بنظرة تنتمى إلى أبناء الله (أى الذين لهم الذهن الروحى) وأن من واجبهم الآن أن لا يكون لديهم اهتمام الجسد ليتبعوا أهواءه وشهواته (رو ٨ : ٥ — ٧ و ١٤)[1] .

٦ — (أ) **الجسد** : إن الجسد خاضع لمبدأ الخطية والموت (رو ٧ : ٢٣ ، ٨ : ٢) ومن ثم فهو تحت حكم الموت . لأنه فى آدم يموت الجميع (١ كورنثوس ١٥ : ٢٢) . إن اهتمام الجسد هو موت لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون (رو ٨ : ٦ و ١٣) ، لأن من يزرع لجسده ، فمن الجسد يحصد فساداً (غل ٦ : ٨) . إن الجسد ، وهو الطبيعة البشرية التى لنا فى آدم قد فسدت بالخطية ، ولكن خطايا الجسد أوسع مدى فى تفكير بولس عما هى عليه فى اللاهوت الأخلاقى المسيحى . إنها لا تتضمن الخطايا التى لها ارتباط بالجسد بصفة خاصة ولكنها تتضمن أيضاً الخطايا التى يمكن أن تصنفها بصورة أكثر واقعية باعتبارها خطايا ذهنية ، وعلى هذا النحو تأتى قائمة بولس عن أعمال الجسد فى غلاطية ٥ : ١٩ — ٢١ مشتملة ليس فقط على الزنا وما يتصل به من الرذائل الجنسية ، بل ومشتملة أيضا على السكر والبطر والحسد والعداوة والخصام والغيرة والسخط والتحزب والشقاق والبدع والأنانية وعبادة الأوثان .

إن الخطية من أى نوع كانت هى فى الحقيقة من أعمال « الجسد » .

وأحيانا ما يستخدم مصطلح «Body» بديلاً عن مصطلح «Flesh» . وعلى

= وكثيراً ما يساء استخدام هذه الآية لذلك وجب التشديد هنا على أن بولس لا ينقص من أى اهتمام فى حياة المسيح على الأرض ، أو يقترح أن زمالة الرسل الآخرين ورفقتهم مع المسيح أثناء خدمته كانت غير مناسبة وليست لها منافع دينية ، بل هو يقابل بين تقديره الحالى للمسيح ، وتقديره له قبل أن يهتدى ويؤمن .

وقد جاء القول فى ترجمة أخرى : (الأمر بالنسبة لنا إذ أن المقاييس العالمية لم تعد تستخدم فى تقديرنا لأى إنسان حتى ولو كانت من قبل مستخدمة فى فهمنا للمسيح فإنها لم تعد كذلك الآن) . وإنه فى ضوء تمجيد الرب . وارتفاعه ، والخليقة الجديدة التى افتتحها بنصرته على الموت يجب أن تُقدر إرسالية المسيح وعمله على الأرض ، وتزداد تألقا وليس تناقضاً .

(١) قارن ما جاء فى غلاطية ٥ : ١٦ (اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد) .

هذا فإن ما نطلق عليه « أعمال الجسد » فى غلاطية ٥ : ١٩ ، يُطلق عليه « أعمال الجسد dieds of the body فى رومية ٨ : ١٣ ، وفى نفس المعنى الشامل لهذا المصطلح . وهكذا أيضاً جسد الخطية body of sin (رومية ٦ : ٦) هو مرادف « لجسد الخطية » flesh of sin فى رومية ٨ : ٣ ، وعلينا أن نقارن ما بين « جسد هذا الموت » والذى نطلب الخلاص منه كما هو مذكور فى رومية ٧ : ٢٤ ، ومن الناحية الأخرى فإن كلمة جسد Body المذكورة فى رومية ٨ : ١٠ والذى هو « ميت بسبب الخطية » وهو ببساطة الجسد القابل للموت والمكون من لحم ودم . وعلينا أيضا أن نقارن ما بين عبادة أعضائكم التى على الأرض (كولوسى ٣ : ٥) ، والتى يجب علينا أن نعاملها كأعضاء ميتة[1] .

ب ــ **الروح** : صوَّر « الجسد flesh » فى العهد القديم فى موقف (ضد) (الروح) . والكلمة العبرية تعنى فى المقام الأول (الريح) وفى المقام الثانى (القوة الحيوية) . وهناك فترة ممتازة فى إشعياء ٣١ : ٣ تصور هذا الموقف (وأما المصريون فهم أناس لا آلهة وخيلهم جسد لا روح) . والله بالتضمين هو روح (قارن يوحنا ٤ : ٢٤) ، وليس هذا فقط ، بل إن روح الله ، يمكن أن ينشط فى البشر ويمنحهم القوة المادية والعقلية ، والمهارة والحذق والبراعة ، أو البصيرة الروحية والتى بدون الروح لا يستطيعون أن ينالوها . إن الروح فى الإنسان هى نسمته وتصرفه فى مختلف المواقف ، ونشاطه الحيوى . وبالمثل نجد أن الجسد والروح مصطلحان متضادان فى كتابات بولس فالمؤمنون بالمسيح لم يعودوا بعد « فى الجسد » ، ولكنهم الآن (فى الروح) (رومية ٨ : ٩) . إنهم السالكون ليس حسب الجسد بل حسب الروح (رومية ٨ : ٤) . إنهم لا يبرزون الآن أعمال الجسد ، ولكن ثمر الروح (غلاطية ٥ : ١٩ و ٢٢) . كثيراً ما نتعرض للخلط بين معنيين حين نقرأ

---

(١) إن ما يقوله بولس عن (الجسد) فى معنى الطبيعة الإنسانية غير المتجددة ، يجب أن لا يؤخذ على أنه ينطبق على الجسد المادى . فليس لدى بولس شيء طيب يقوله عن الجسد فى هذا المعنى ، لكن جسد المؤمن الذى كان مرة يستخدم بواسطة قوى الشر كآلات اثم للخطية (رو ٦ : ١٣) يمكن أن يقدم لله (ذبيحة حية) لعمل مشيئته (رو ١٢ : ١) بالروح الساكن فيه (رو ٨ : ١١ ، ١ كو ٦ : ١٩ و ٢٠) وسيأتى يوم يفتدى فيه الجسد من الموت ويزين بالمجد (رو ٨ : ٢٣ ، فيلبى ٣ : ٢١) . إن بولس لا يشارك فلاسفة الإغريق فى احتقارهم للجسد باعتباره قيداً أو سجناً للروح .

كلمة (الروح) فأحد المعنيين هو (الروح القدس) عند كتابة الحرف الأول (فى الإنجليزية) بالحرف الكبير ــ والمعنى الآخر (روح الإنسان) بالحرف الصغير .. ولاشك أن بولس لم يتعرض لهذا الخلط إذ أنه استخدم كلمة يونانية معناها الواضح (الروح القدس) Pneuma وكذلك فإن (ترتيوس) لم يتعرض لهذا الخلط عند كتابة الرسالة .

ونستطيع أن نميز الاستخدامات الرئيسية التالية لكلمة « الروح » عند بولس[1] .

[١] الجانب الروحى (من تكوين الإنسان) : يقول بولس : « اعبد الله بروحى » (رومية ١ : ٩) ، ويمكن مقارنة هذا القول مع رومية ٧ : ٦ حيث لم يعد المؤمنون تحت الناموس ، وإنما تحت النعمة ، فإنهم الآن يعبدون بجدة الروح لا بعتق الحرف (وهو هنا يذهب أيا كان الأمر إلى أبعد من تضمينات الآية ١ : ٩) .

« ختان القلب[2] . وهذا يعنى الختان الداخلى ، أو طهارة ونقاء القلب الذى تحدث عنه الأنبياء (إرميا ٤ : ٤ ، قارن تثنية ١٠ : ١٦) الذى يخالف الختان الحرفى للجسد (رومية ٢ : ٢٩) . ويحث بولس المؤمنين بأن يكونوا حارين فى الروح (رومية ١٢: ١١) . إن روح المؤمنين يتحرك فى انسجام مع روح الله (رومية ٨ : ١٦) .

ويستخدم بعض كتبة العهد الجديد كلمة « الروح » كمرادف لكلمة « نفس » ، ويظهر هذا على سبيل المثال فى الكلمات الافتتاحية لتسبيحة مريم العذراء لشكر الله « تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى » (لو

---

(١) ضمن الاستخدامات الأخرى غير المدرجة أدناه هناك حالات تذكر فيها الكلمة (الروح) لتشير إلى (الكائنات الروحية) أو (القوى الروحية) مثل (روح العالم) ١ كو ٢ : ١٢ والروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية اف ٢ : ٢ إذ الأرواح التى يتكلم بها الانبياء (وليست دائما روح الله) ١ كو ١٢ : ١٠ ، أو التبشير إلى نزعة معينة (مثل روح سبات) رو ١١ : ٨ .

(٢) قارن ٢ كو ٣ : ٦ حيث بولس وزملاؤه (خدام عهد جديد لا الحرف بل الروح ، لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى) .

والإشارة إلى الروح الجديد فى إرميا ٣١ : ٣١ وما بعده موجود ومتضمن فى أماكن أخرى حيث وضع الحرف والروح متضادين .

١ : ٤٦ و ٤٧) ـــ وكذلك يمكن المقارنة بين كلمات الرب فى يوحنا ١٢ : ٢٧ (الآن نفسى قد اضطربت) بتعبير الإنجلي فى يوحنا ١٣ : ٢١ (اضطرب بالروح) . ويستعمل بولس نفسه كلمة الروح فى هذا المعنى الأعم عندما يسأل : « لأن من مِنْ الناس يعرف أمور الإنسان إلاّ روح الإنسان الذى فيه (١كورنثوس ٢ : ١١) ولكن الجزء الأعم من استعمالات الروح والنفس أنها ليست مميزة فى بولس فقط ولكنها تأتى بالمغايرة الواحدة مع الأخرى .

الإنسان الطبيعى هو حرفيا (الإنسان النفسانى) بالمغايرة مع (الإنسان الروحى)[1] . وربما يمكن أن توصف الروح البشرية فى كتابات بولس على أنها (العنصر الشاعر بالله) فى الإنسان . والذى يكون فى حالة سكون أو موت حتى ينشط إلى الحياة بروح الله . كما يمكن أن نعتبره الشخصية المسيحية فى البشر الذين ليسوا أحياء فحسب (إذا ما أمكن استخدام هذا التعبير) وإنما هم أحياء مسيحياً .

[٢] (روح الله) أو (الروح القدس) ويطلق عليه روح القداسة فى رومية ١ : ٤ فى ارتباطه بقيامة المسيح ، قارن رومية ٨ : ١١ حيث أنه يدعى : روح الذى أقام يسوع من الأموات . وباستنارة ضمير الإنسان بروح الله يصبح الإنسان شاهداً حقيقياً رومية ٩ : ١ . وفى إعلان رسالة الإنجيل فإنه يمد المرسلين بالقوة الفعالة التى تجعل تأثير رسالتهم فعالاً فى نفوس الذين يصغون إليهم (رومية ١٥ : ١٩) ، وهم أولئك الذين يأتون بهم إلى الإيمان بالمسيح ، وحينئذ يتقدسون بالروح القدس (رومية ١٥: ١٦) . وهو يأتى إلى قلوب الذين يؤمنون بالإنجيل ، ويسكب فيهم محبة الله (رومية ٥ : ٥ ، قارن رومية ١٥ : ٣٠) ، وبقوته يمتلئون بالسلام والفرح والرجاء (رومية ١٤ : ١٧ ، ١٥ : ١٣) . ولما كان الله قد أعلن نفسه فى المسيح ، فإن روح الله هو بعينه روح المسيح (رومية ٨ : ٩) ، وهكذا ينقل الروح بالكامل إلى المؤمنين الحياة والقوة التى للمسيح المقام والممجد بحيث كثيراً ما يبدو الاثنان كأنهما عملياً شخصية واحدة (على الرغم من تمايزهما من حيث

---

(١) ١كو ٢ : ١٤ و١٥ قارن التمييز (فى ١كو ١٥ : ٤٤ وما بعده) بين الجسد الحالى المقابل للموت ـــ الذى هو طبيعى (نفسانى) والجسم بعد القيامة الذى هو جسم روحانى .

المبدأ) . وعلى سبيل المثال فإن التعبيرات : « إن كان روح الله ساكناً فيكم » (رومية ٨ : ٩) ، « وإن كان المسيح فيكم » (رومية ٨ : ١٠) ، هما فى واقع الأمر مترادفان .

وإننا لنجد فى الأصحاح الثامن من رومية أكثر العروض وضوحاً لطبيعة ومتضمنات الروح القدس الساكن فى المؤمنين والعامل فيهم .

أ ــ الروح يمنح الحياة : إن (شريعته) هى (شريعة الحياة) ، (السالكون بحسب الروح) (رومية ٨ : ٤ و ٥ و ٦ و ١٠)[1] . ذلك أن الروح يساعد المؤمن على أن يعامل « أعمال الجسد » ــ وهى ممارسات الحياة غير المتجددة ــ كأشياء ميتة ، لم يعد لها أى سلطان على حياته . إنه لن تكون لنا حياة بدون المسيح : إن كان أحد ليس له روح المسيح ، فإنه ليس له (أى المسيح) (رومية ٨ : ٩) فلكى نكون (فى الروح) يعنى أن نكون على الضدّ من كوننا (فى الجسد) ، ويعتبر جميع المؤمنين بأنهم قد صاروا (فى الروح) (رومية ٨ : ٩) . وعلى هذا فإن معنى أن نكون فى الروح عملياً هو أن نكون (فى المسيح) (أو فى المسيح يسوع) . ولأن نكون « فى الروح » ليس أمراً انفرادياً . فلأجل أن تكون « فى المسيح » يعنى أنه يجب أن تندمج فى المسيح وتتحد به ، وتصبح عضواً فى المسيح ، وبذلك تكون فى شركة مع الآخرين الذين اتحدوا به مثلك (رومية ١٢ : ٥) . إن هذا التماسك ووحدة المصالح والأهداف والمثل فى هذه الجماعة التى صارت (فى المسيح يسوع) (رومية ٨ : ١) ، وهى على ذلك نفس الشيء الذى يصفه بولس فى موضع آخر بأنه (شركة فى الروح) (فيلبى ٢ : ١ ، قارن ٢ كورنثوس ٨ : ١٤) ، أو (وحدانية الروح) (١تس ٤ : ٣)[2] .

ب ــ الروح يهب الحرية : أيا كانت نظرتنا إلى عبودية البشر الروحية ــ كعبودية للخطية ، أو عبودية للناموس ، أو عبودية للموت . فإن الروح هو الذى يحررهم . إنه هو الذى ينقل إلى المؤمنين قوة المسيح المقام ، التى بواسطتها تحرروا من الخطية (رومية ٦ : ١٨ و ٢٢) ، إذ صارت الهبة إلى جميع الناس

---

(١) قارن غلاطية ٦ : ٨ (لأن من يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية) .

(٢) وهذا واضح بما لا يدع مجالاً للشك فى القول الوارد فى ١كو ١٢ : ١٣ (لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد) .

لتبرير الحياة . « وهكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا (رومية ٦ : ١٨ و ٢٢) . إنه هو الذى حررهم من عبودية الناموس ، وهم الآن يعبدون فى جدة الروح لا بعتق الحرف (رومية ٧ : ٦) . إنه هو الذى منحهم المبدأ الجديد : الحياة فى المسيح يسوع ، والذى حررهم من ناموس الخطية والموت (رومية ٨ : ٢) . وإننا نجد فى جميع هذه الحالات توضيحا للمبدأ الذى عبر عنه بولس بوضوح فى ٢ كورنثوس ٣ : ١٧ ب « وحيث روح الرب هناك حرية ».

ج ــ **الروح يمد بالقوة الموجهة** فى حياة أبناء الله (رومية ٨ : ١٤) .. أنه (روح التبنى) (رومية ٨ : ١٥) الذى يحض المؤمنين على الاقتراب من الله كأبناء ، ويدعوهم إلى مناداته بنفس الاسم المألوف « الآب » على النحو الذى كان يستخدمه يسوع فى الكلام[1] ومعه .

د ــ **الروح يشفع فى شعب الله** (رومية ٨ : ٢٦ و ٢٧) ، وهذا هو ما يفعله أيضاً المسيح (رومية ٨ : ٣٤) . ولكن حيث يقوم المسيح بالشفاعة فى موضع المجد فى حضرة الله ، فإن الروح يقوم بالشفاعة من خلال حياة المؤمنين الذين يسكن فيهم[2] .

هـ ــ **إن الروح هو العامل الذى يقدس حياة المؤمنين** . إن الروح والجسد هما فى تضاد لا يموت وفى حرب مشتعلة الأوار على الدوام فيما بينهما . ولكن للروح قوته وسلطانه الإلهى ، وفى مقدوره أن يخمد عمل الجسد باقتدار فى حياة المؤمنين الذين ينقادون بسلطان الروح والنعمة المقتدرة . إنها ليست عقيدة (صوفية) تلك التى يقدمها بولس . فقد عرف أن حياته الروحية ذاتها حياة نضال وصراع ، يجب أن تستمر طالما هو فى جسده المائت هذا ــ وأيا كان الصراع فإن النصر فيه والمجد النهائى مضمون بالروح القدس . إن الروح يعمل فى حياة هؤلاء الذين يعدّهم للمجد النهائى عمله المتجانس والمناسب هنا والآن من أجل الوصول بهم إلى قامة وشبه المسيح (٢ كو ٣ : ١٨) .

---

(١) غلاطية ٤ : ٦ (ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخا «يا أبا الآب» .

(٢) إن نسبة خدمة الشفاعة إلى كل من المسيح الممجد والروح الساكن فينا تشبه الاستخدام المزدوج لصفة (المعزى) أو (المحامى) فى كتابات يوحنا الرسول : (إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب (١يو ٢ : ١) والروح القدس معز آخر (يو ١٤ : ٢١) برسالة الآب ليمكث مع المؤمنين .

و — الروح هو عربون المستقبل ، وبحسب نبوءة العهد القديم فإن انسكاب روح الله هو علامة اقتراب يوم الرب (يوئيل ٢ : ٢٨ — ٣٢) . ولقد اقتبس بطرس هذه النبوة عندما حل الروح القدس على تلاميذ المسيح فى يوم الخمسين ، بل هذا ما قيل بيوئيل النبى (أعمال ٢ : ١٦) . إن الفاصل الحالى (بين الأزمنة) هو فى معنى خاص (عصر الروح) ، وفى هذا العصر لن يكون الروح فعّالاً فى المؤمنين فقط بحيث يجعلهم يؤمنون بما أنجزه المسيح وقام به من أجلهم ولا هو أيضاً ينقل إليهم قوة الرب الحى الممجد فقط ، بل إنه يمكنهم من أن يعيشوا فى الحاضر متعة أمجاد الحياة التى سوف تستعلن فيما بعد .

إن الروح لا يمنحنا الحياة هنا والآن فقط بل إن وجوده هو الضامن لقيامة الحياة فى اليوم الذى سوف ينبلج فجره . وعلى هذا فإن حياة العصر الآتى (الحياة الأبدية) تُعطي للمؤمن كهبة يمنحها الروح فى عصرنا الحالى « وأما هبة الله فهى الحياة الأبدية بالمسيح يسوع ربنا » (رومية ٦ : ٢٣ ب) ، وهى على هذا النحو كقسط مُسبَّق (عربون) قيامة الحياة المستقبلة ، والتى سوف تتلو فداء الجسد (رومية ٨ : ٢٣)[١] . إن الروح لا يساعد المؤمنين هنا والآن فحسب على التحقق من الامتياز الذى صار لهم كأبناء الرب الذين ولدوا فى القداسة ، بل إن هذا أيضا (عربون) (حرية مجد أولاد الله) والذين بحسب رومية ٨ : ٢١ الذى يتوقعونه مع كل الخليقة . إن العتق من العبودية الذى بدأوا يتمتعون به فى الروح سوف يتم ويتحقق لهم عندئذ بالتبنى (رومية ٨ : ٢٣) والذى سيكون تحقيقه كاملاً مع القيامة التى نتوقعها حاليا بمعونة « روح التبنى » (رومية ٨ : ١٥) ، والمجد الذى سيكون لهم عندما يصبحون متوافقين مع صورة ابن الله التى سبق تعيينهم لها (رومية ٨ : ٢٩) ، وهو الثمر الكامل لعمل التقديس الذى يقوم به الروح حالياً فى حياتهم . وهكذا عرض بولس لسكنى الروح فى المؤمنين بأسلوب توقعى أخروى . وهذا الأمر هو باكورة ثمار الروح للخلاص النهائى (رومية ٨ :

---

(١) وصف بولس جسد القيامة المفدى فى ١كو ١٥ : ٤٤ بأنه (جسم روحانى) أى أنه جسد محكوم بالكامل بالروح القدس ، وفى ٢ كو ٥ : ٥ يقول إن هبة الروح الحالية هى (عربون) لليوم الآتى حين يستوطن المؤمنون عند الرب فى الوطن السماوى حيث لن يكون موت فيما بعد .

٢٣) [(١)] ، والدفع الفورى للثمن الذى ما كنا نتوقعه تعنى الميراث الذى أعده الله للذين يحبونه .

(٧) (الناموس) فى رسالة رومية

يتكرر مصطلح الناموس أكثر من سبعين مرة فى هذه الرسالة ، وليس بنفس المعنى دائما . وهو يعنى فى أغلب الأحوال (ناموس الله) فى صيغة أو أخرى ، إلا أنه يحمل معنى مختلفا فى مواضع أخرى ، وهنا نأتى على معانيه الرئيسية بأسلوب تصاعدى لتكراره .

(١) **فى أسفار موسى الخمسة** : عندما يقال لنا إن طريق الله للبر من خلال الإيمان (مشهوداً له من الناموس والأنبياء) (رومية ٣ : ٢١ ب) . فإن الناموس هنا يعنى الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم ، كما أن (الأنبياء) هى تسمية شاملة لباقى الأسفار . وهذا استعمال شائع فى العهد الجديد ، وهو صورة للاستعمال العبرانى لكلمة (التوراة) ، ليس فقط للناموس بمعناه الأكثر تحديداً ولكن للأسفار التى تفوق غيرها فى احتوائها على الناموس .

(٢) **العهد القديم ككل** : يقول بولس فى رومية ٣ : ١٩ ونحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس فهو يكلم به الذين فى الناموس (إن كل ما يقوله الناموس) تعبير يشير إلى سلسلة المقتطفات من الشواهد الكتابية التى تضمها الآيات السابقة عليها (رومية ٣ : ١٠ — ١٨) ، ولكن خمسة من هذه الشواهد مقتبسة من المزامير وواحدة من إشعياء . فإذا كان الناموس الذى يقول هذه الأشياء ، فإن الناموس يمكن أن يعنى فحسب الكتاب المقدس العبرانى ، وهو العهد القديم بالنسبة لنا نحن المسيحيين .

(٣) **مبدأ** : إذ أرسى بولس فى رومية ٣ : ٢٧ المبدأ القائل بأن نعمة الله تبرر الرجال والنساء من طريق الإيمان ، ويقول حيث إن هذا هو الحال ،

---

(١) قارن غلاطية ٥ : ٥ (فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بر) وأيضا فى أفسس ١ : ١٣ و ١٤ يقال عن المؤمنين (ختمتم بروح الموعد القدوس الذى هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمجد اسمه) .

فإنه لم يعد هناك مجال للافتخار بأى ناموس .. أبناموس الأعمال ؟ كلا . بل بناموس الإيمان . هنا « ناموس الأعمال » (هو ليس نفس الشيء مثل أعمال الناموس) . كما أن ناموس الإيمان يتضمن مبدأين متباينين عن طريقهما يسعى البشر لضمان قبولهم من الله .

وفى رومية ٧ : ٢١ يجد بولس عن طريق تفكيره المتأمل فى الصراع الأخلاقى المحتدم فى النفس البشرية ، يجد (ناموساً — أى مبدأ) (حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشر حاضر عندى) .

وفى القرينة نفسها فإنه ينظر إلى الصراع الخلقى على أنه نفسه صراع بين ناموسين أو بين مبدأين . أولهما الناموس أو المبدأ الذى يسلمه مقيداً إلى سيطرة الخطيئة (رومية ٧ : ٢٣ و ٢٥ ب) ، والثانى ناموس ذهنى الذى يجعله يعترف بصلاح ناموس الله ويدفعه إلى السرور بأن يفعله ، لكن تنقصه القوة لأن يفعل ما يعترف به ويريده (روميه ٧ : ٢٣) . لكن عندما يأخذ مبدأ آخر فى العمل فى نفسه — ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع — فإن هذا يبرهن على أنه أقوى من ناموس (مبدأ) الخطية والموت ويحرر النفس من عبودية الخطية (الموت) .

(٤) **ناموس الله** : كان من الطبيعى بالنسبة لرجل له ميراث بولس وتعليمه أن يساوى بين ناموس الله وناموس موسى ، وبمعنى آخر .. بين الناموس كما أعطاه الله لإسرائيل عن طريق موسى (ونحن لا نتكلم هنا عن التمديد الشفاهى للناموس المكتوب والذى يقول تقليد الربيين اليهود إنه قد أعطى فى حقيقة الأمر لموسى على جبل سيناء — وهو نظرياً على الأقل له نفس قيمة الناموس المكتوب . هذا هو الأسلوب الذى عرف بولس عن طريقه ناموس الله من خلال خبرته الشخصية . وإذا كنا (على عكس كثير من التفسيرات الحالية) نعتبر رومية ٧ : ٧ — ١٣ كجزء بسيط من سيرته الشخصية الروحية ، فإن بولس يقول لنا كيف أن بدء الوعى لديه بالناموس هو الذى غرس فيه المعرفة الأولى بالخطية . وقد كان ناموس موسى فى ذهنه ويتضح هذا من حقيقة أن هذا الناموس الذى اختاره لتوضيح هذه النقطة هو إحدى الوصايا العشر (لا تشته) .

وعندما يعالج بولس موقف اليهود الذين يفتخرون بكونهم شعب الناموس

(رو ٢ : ١٧ و ١٩ و ٢٣ ــ ٢٥) ويحاولون إثبات قبول الله لهم على أساس وفائهم بكل متطلبات الناموس (رو ٩ : ٣١ ، ١٠ : ٣ ــ ٥) . من الطبيعى أن ناموس موسى هو الذى كان فى ذهنه ، وعندما يتكلم فى رومية ٥ : ١٣ و ١٤ و ٢٠ أ ، فإنه يتحدث كما لو أن الناموس لم يكن معروفا فى العصور التى ما بين آدم وموسى ، أى إلى الوقت الذى تكلم فيه الله من على جبل سيناء .. وهنا يمكننا أن نلمح أثر المساواة بين ناموس موسى وناموس الله . وفى الحقيقة فإنه فى عرضه للأسلوب الذى يتحتم على المسيحيين أن يعيشوا بمقتضاه ، وحينما يؤكد على سمو ناموس المحبة ، فإنه يصيغ هنا ناموس المحبة (على النحو الذى سبق أن عمله يسوع) ، وذلك فى وصية واحدة يستمدها من أسفار موسى الخمسة : « تحب قريبك كنفسك » .. (رومية ١٣ : ٩) ، مقتبسة من (لاويين ١٩ : ١٨) . وعندما يقول : «المحبة هى تكميل الناموس » (رومية ١٣ : ١٠) فإنه هنا يلقى الضوء على معنى (الناموس) باقتباسه عدداً من الوصايا من (الوصايا العشر) .

ولكن بولس يستخدم فى كل هذا ناموس إسرائيل ، والذى هو فى نظره وفى نظر كثير من قرائه ، الإعلان الرائع والمعروف جيداً للناموس الإلهى .

وعندما يناشد قراءه فى رومية ٧ : ١ العارفين بالناموس ، أن يتفقوا معه على أن الناموس يسود على الإنسان مادام حيا ، فإن المفسرين ربما يحاولون فيما إذا كان يعنى الناموس اليهودى أو القانون الرومانى ، إلا أن هذا فى الحقيقة لا تأثير له على نتيجة المناقشة فالحجة تسرى على الاثنين على حد سواء . فلا فرق إن كان فى ذهنه الناموس اليهودى أو القانون الرومانى ، فى (بساطة) القانون بصفة عامة . فى أى مجتمع يعيش فيه إنسان فإنه من المحتم أن يخضع لقانون هذا المجتمع ، وحيث أن بولس يقرر أنه ليس سلطان إلا من الله (رومية ١٣ : ١) ، فمن هنا فهو يقرر أنه ليس هناك قانون إلا من الله .

وعندما يناقش بأن اليهود والأمم هم على قدم المساواة أمام الله من حيث فشلهم فى تحقيق مشيئته ، فإنه يشير إلى أنه بينما هناك لليهود إعلان خاص لإرادة الله فى ناموسهم ، فإن الأمم أيضاً لم يحرموا كلية من معرفة إرادة الله (لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو فى الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم الذين يظهرون عمل الناموس

مكتوباً فى قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة) (رومية ٢ : ١٤و ١٥) . ومعنى هذا أنه يريد أن يقول إن الأمم لم يعطوا التوراة بكاملها أو حتى الوصايا العشر ، إلا أن لديهم الإحساس بالخطأ والصواب ، وإن لديهم وعى مقيم بروح شريعة الله . وعلى هذا فحين يقول بولس فى رومية ٣ : ٢٠ إنه عن طريق الناموس [١] تجيء معرفتنا بالخطية ، فإنه يكون فى هذه الحالة يقول شيئا يصدق على اليهود والأمم على السواء . وحينما يقول فى نفس القرينة إنه بأعمال الناموس كل ذى جسد لا يتبرر أمامه ، فإن هذا يصدق أيضاً على اليهود والأمم وسواء كانت (أعمال الناموس) تمارس حسب الشريعة التى صدرت معبرة عن السلطان الإلهى ، أو بحسب القانون الذى يمليه الضمير ، أو القانون الأخلاقى فى الداخل ، أو كما يقول (وردسودث) ، أو بحسب معيار مقبول للسلوك المهذب . فليست هذه هى الأسس التى يصبح البشر بمقتضاها رجالاً ونساءً مقبولين عند الله . فأى صيغة من هذه الصيغ يأخذها الناموس ، أو القانون فمن الصواب أن نحفظها ، ومن الخطأ ، بل ومن المدمِّر أن نكسرها أو نتحداها أو نتجاهلها ، لكن من العبث أن نتصور أنه عن طريق حفظ الناموس فإننا ندخر لأنفسنا رصيداً من الاستحقاق فى الكنز السماوى . لقد أعطى الله الناموس للبشر لمقاصد متنوعة ، وله عديد من الاستخدامات ، إلا أنه عندما ننظر إليه باعتباره طريقا لتبرير البشر ، فإن لله طريقا آخر أفضل كثيراً من الناموس .

وعلى هذا فالناموس ، أيا كان الشكل الذى يظهر به ، هو ناموس الله ، مقدس وعادل وصالح (رومية ٧ : ١٢) وإذا كان الناموس ، كما يصر بولس لم يعط ليكون طريقاً إلى تبرير البشر ، إذاً لماذا كان إعطاء الناموس ؟ وعلى هذا السؤال تقدم لنا رسالة رومية إجابات متنوعة ، يمكن ترتيبها تحت العناوين الأربعة الرئيسية التالية :

(١) **أعطى الناموس ليكون إعلاناً عن الله وإرادته :** وهذا التمييز بين الخطأ والصواب ليس ببساطة مسألة عرف أو تقليد اجتماعى ، إنه أصيل فى كيان وشخص الله . ومكتوب فى عرف الإنسان الذى خلق على صورة الله . إن الناموس هو شريعة الله ، وهو مثل الله حق وعادل وبار فى نفس الوقت

---

(١) فى كثير من الأحيان يستخدم بولس كلمة ناموس بدون أداة التعريف . وهنا يمكن أن يكون فى بعض الأوقات صورة من استخدام العبرية لكلمة (توراة) بدون أداة التعريف ، إلا أنها يمكن أيضاً أن ينظر إليها على أنها إشارة إلى أن بولس يفكر ليس فقط فى قانون محدد بل فى القانون بصفة عامة .

(مز ١٩ : ٩ ، قارن رومية ٧ : ١٢ و ١٦ و ٢٢) .

(٢) أعطى الناموس من أجل الحفاظ على صحة الإنسان والابقاء على الجنس البشرى :

هذا القصد المتميز تقوم على خدمته ورعايته بصفة أساسية الحكومات المدنية ، والتى (كما يُعبِّر عنها بصفة عامة فى رومية ١٣ : ١ — ٧) هى خدمة معينة من الله لحماية وتشجيع العمل الصالح ، ولقمع وعقاب الأعمال الشريرة .

(٣) أعطى الناموس لإلقاء الضوء على الخطية وكشفها ، وليقود الناس إلى التوبة ، والاعتماد على نعمة الله : ففى حين أن الإنسان (من الناحية النظرية) الذى يحفظ الناموس ، ويعيش بمقتضى أحكامه (رومية ١٠ : ٥) ، فإنه من الناحية العملية لا يتبرر أحد بأعمال الناموس ، وذلك للفشل والعجز العام فى الحفاظ عليه بصورة كاملة (رومية ٣ : ٢٠ أ و ٢٣) . إن الميل الكامن فى الإنسان يدفعه إلى العمل ضد إرادة الله ، ويتجلى ذلك فى الأعمال الواقعية المتمثلة فى عصيان البشر وتمردهم عندما يعلن الله إرادته فى صورة وصايا محددة (رومية ٥ : ١٣) ، ومن هنا فإنه عن طريق الناموس كانت معرفة الخطية (رومية ٣ : ٢٠ ب ، ٧ : ٧) . إلا أن الإنسان الذى اختبر سلطة الناموس فى القاء الضوء على الخطية وكشفها ، وفى نفس الوقت عجز الناموس عن الوصول به إلى المستوى الذى يكون فيه باراً أمام الله هو نفس الإنسان الذى على أتم استعداد أن يلقى بنفسه بالإيمان فى احضان نعمة الله التى أعلنت فى المسيح باعتباره الطريق الوحيد إلى التبرير . وعلى هذا ، فكما عرض بولس فى رسالة أخرى ، قد كان الناموس القيِّم أو الوصى علينا ، إلى أن جاء المسيح لكى نتبرر بالإيمان (غل ٣ : ٢٣) . والآن وقد جاء المسيح فإنه هو غاية الناموس ، بحيث يتبرر به كل من يؤمن (رومية ١٠ : ٤) ، وهو يريد أن يقول إن المسيح لم يكمل الناموس فحسب بخضوعه الكامل لإرادة الله ، بل من حيث أن طريق برّ الله قد فُتح له ، فهو يمثل بذلك انقضاء الناموس وانتهائه حتى كوسيلة نظرية للتبرير . إن أولئك الذين تجددوا بالإيمان فى المسيح لم يعودوا تحت الناموس ، بل تحت النعمة (رومية ٦ : ١٤) .

(٤) أعطى الناموس لهداية المؤمن وإرشاده فى حياته : إنه بفضل سكنى

الروح فى أولئك الذين فى المسيح يسوع تحققت فيهم المتطلبات العادلة والبارة للناموس ، بالتلقائية الإلهية ، حيث أنهم يعيشون الآن بحسب الروح (رومية ٨ : ٣ وما يليه) . ولكن ومع ذلك فإن بولس يفكر فى أنه من الضرورى ، كما جاء فى نقطة تالية من الرسالة أن نضع مبادىء واضحة تهدى وترشد المسيحيين فى حياتهم ، حتى يمكنهم أن يبرهنوا (بالاختبار) على ما هى إرادة الله (الصالحة المرضية الكاملة) (رومية ١٢ : ١ وما يليه) . هذه المبادىء الهادية التفصيلية المرشدة للمسيحيين تتوافق مع مايطلق عليه فى مكان آخر (ناموس المسيح) (غل ٦ : ٢) ، وبينما لم يكن بولس نفسه تحت الناموس ولكن تحت النعمة بالنسبة لقبوله أمام الله ، فإنه بينما يفرح ويبتهج لأنه قد تحرر من الناموس ، بحيث صار فى إمكانه أن (يعبد الله بجدة الروح لا بعتق الحرف) (رومية ٧ : ٦) ، ومع ذلك فإنه يتحدث عن نفسه بأنه ليس بلا ناموس نحو الله بل تحت ناموس المسيح (١ كورنثوس ٩ : ٢١) .

ولكن ناموس المسيح هذا هو ناموس المحبة التى تضمنت فيه هو نفسه ، والتى تركها لتلاميذه « كوصية جديدة » . وأكثر من ذلك فإن ناموس المحبة يلخص ويكمّل إلى التمام الأوامر والأعراف المتقادمة فى الوصايا العشر . إن الذى يحب قريبه فقد أكمل الناموس . لأن الوصايا تقول لا تقتل .. لا تسرق .. لا تشهد بالزور .. لا تشته .. وإن كانت وصية أخرى هى مجموعة من هذا التعبير « تحب قريبك كنفسك » . المحبة لا تصنع شرا للقريب ، فالمحبة هى تكميل للناموس (رومية ١٣ : ٨ — ١٠) ، وعلى هذا فإن إنجيل بولس قد أُحل تماما من تهمة التناقضات فى القوانين أو المبادىء . فعندما يتبرر البشر بالإيمان ، فما يزال الحق هو الحق ، والشر هو الشر ، وماتزال إرادة الله هى التى تحكم حياتهم . إلا أن إرداة الله لم تعد بالنسبة لهم تتمثل فى مجموعة مبادىء ، وقواعد خارجية ، وإنما غدت مغروسة فى قلوبهم كمبدأ جديد للحياة . إنهم قد أصبحوا الآن مثل بولس ، خاضعين وإلى الأبد لناموس المسيح . إن المماثلة التفصيلية بين التوجيهات الأخلاقية الواردة فى رومية ١٢ : ١ — ١٥ : ٤ وبين موعظة الرب على الجبل (متى ٥ — ٧) تجعل فى إمكاننا أن نصفها بإرتياح بأنها « ناموس المسيح » . إن ناموس المسيح ليس فى مقدوره أن يبرر الخاطىء أكثر مما يفعله ناموس موسى ، سواء وضعناه على النحو الذى جاء فى التوجيهات الأخلاقية فى رومية ١٢ : ١و ٢ ، أو فى الموعظة على

الجبل ، ذلك أن ناموس المسيح للمحبة لا يقيم أكثر من معيار رفيع نبيل للوصايا العشر (إن الموعظة على الجبل ، ليست كما يعتقد كثير من الناس فى أيامنا تكميل للإنجيل ، أو هي روح الإنجيل ، بل هى تكميل الناموس) . وهى تمثل المعيار الذى بمقتضاه يجب أن يعيش تلاميذ المسيح ، أو بمعنى آخر أولئك الذين تبرروا بالإيمان . أولئك الذين انسكبت فى قلوبهم محبة الله بالروح القدس ، والذين منحهم نفس الروح القوة لتكميل ناموس المسيح بمحبتهم لله والبشر والتى هى انعكاس لمحبة الله واستجابتهم لهذه المحبة .

(٨) تأثير رسالة بولس

فى صيف عام ٣٨٦ م . جلس أورينيوس أوغسطينوس ـــ أحد مواطنى شمال أفريقيا والذى أصبح استاذاً لعلم البلاغة فى جامعة ميلانو ـــ باكيا فى حديقة صديقه أليبوس ، مدفوعا برغبة قوية لبدء حياة جديدة ، وإن كان لم يزل يعوزه التصميم للخلاص من كل ما يربطه بحياته القديمة . وبينما كان أوغسطينوس يجلس باكيا ، سمع طفلا يتغنى فى منزل مجاور بكلمات تقول : (خذ واقرأ .. خذ وأقرأ)[1] .. فأخذ أوغسطينوس الدرج الموضوع بجانب صديقه ، ووقعت عيناه على الكلمات : « لا بالبطر والسكر لا بالمضاجع والعهر لا بالخصام والحسد . بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تضعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات (رومية ١٣ : ١٣ ب و ١٤) . ويقول لنا أوغسطينوس : (لم أكن أريد أن أقرأ أكثر من هذا ، بل إننى لم أعد فى حاجة إلى ذلك ، فما أن انتهت هذه الجملة حتى فاض قلبى بنور باهر وانقشعت كل ظلمات الريبة والشك) . وكم تدين الكنيسة والعالم لتدفق هذا النور الذى استنار به ذهن أوغسطينوس ـــ عندما قرأ كلمات بولس هذه ، إنه دين ليس فى مقدورنا أن نحسب قيمته .

وفى نوفمبر سنة ١٥١٥ بدأ الراهب الأوغسطينى (مارتن لوثر) أستاذاً للاهوت فى جامعة ويتنبرج فى تفسير رسالة بولس إلى أهل رومية لطلبته ، ومضى فى طريقه هذا إلى نهاية سبتمبر من العام التالى . وأثناء إعداده

---

(١) كانت كلمات (خذ واقرأ) فى فم الطفل جزءاً من لعبة شعبية يلعبها الأطفال فى ذلك الحين لكنها نقلت إلى أوغسطينوس رسالة من نوع آخر .

لمحاضراته ، تزايد إدراكه أكثر فأكثر بتمركز عقيدة بولس فى التبرير بالإيمان . ولقد كتب لوثر قائلاً : (كنت عظيم الشوق إلى فهم رسالة بولس إلى أهل رومية ، ولم يقف فى طريقى أى شيء ، سوى هذا التعبير الفريد (برّ الله) ، ذلك لأنى أخذته على أنه يعنى ذلك البر الذى بمقتضاه يكون الله باراً ويتعامل بالعدل فى عقاب غير الأبرار .. وأمضيت الليل والنهار فى التفكر والتأمل حتى توصلت أخيراً إلى اكتشاف حقيقة أن (بر الله) هو ذلك البر الذى من خلال النعمة والرحمة السابقة يبررنا بالإيمان . ومن هنا أحسست بأننى قد ولدت من جديد وأننى ذهبت من خلال الأبواب التى انفتحت أمامى إلى الفردوس . ولقد أخذت الأسفار المقدسة بأكملها معنى جديداً ، وحيث قد ملأنى (بر الله) من قبل بالكراهية أصبحت هذه الفكرة الآن حلوة المذاق بشكل لا يعبر عنه وذلك فى حب أعظم . إن هذه الفقرة من رسالة بولس أصبحت بالنسبة لى طريقى إلى السماء . ولقد كانت نتائج هذه البصيرة الجديدة التى خرج بها لوثر من دراسته لرسالة رومية أثرها الكبير فى التاريخ المقدس[1] .

وفى مساء ٢٤ مايو ١٧٣٨ ذهب جون وسلى (وهوكاره) إلى جمعية فى ألدزجيت ستريت ، حيث كان أحدهم يقرأ التصدير الذى كتبه لوثر لرسالة رومية . وحوالى الساعة التاسعة إلاّ ربعا ، كتب وسلى فى يومياته (وبينما هو يصف التغيير الذى تحدثه أعمال الله فى القلب من خلال الإيمان بالمسيح : أحسست بدفء غريب فى قلبى . أحسست أننى أثق فعلاً فى المسيح ، وفى المسيح وحده ، من أجل خلاصى ، وتأكدت من أنه قد محا خطاياى — خطاياى أنا الشخصية — وخلصنى من ناموس الخطية والموت . هذه اللحظة الحاسمة فى حياة (جون وسلى) ، كانت هى الحادثة التى تتفوق على ما عداها والتى أدت إلى بدء (النهضة الإنجيلية) فى القرن الثامن عشر .

---

(١) وفى وقت سابق لهذا — عام ١٤٩٦ — عاد جون كوليت الذى أصبح فيما بعد عميداً لكلية القديس بولس ، عاد من إيطاليا إلى جامعة أوكسفورد — وبالرغم من أنه لم يحصل على درجة علمية فى اللاهوت ، ولم يكن حتى واحداً من الشمامسة — ومع ذلك فإنه قدم مجموعة من المحاضرات عن رسائل بولس بدأها برسالة رومية .. تأثر بها الكثيرون ممن استمعوا إليها حيث قطع تماما الصلة بين أساليب التفسير التى كان يتبعها دارسو العصور الوسطى ، وشرح النص من واقع المعانى البسيطة للكلمات كما تظهر فى ارتباطها بالموقف التاريخى .. وقد تأثر بتفسير (كوليت) كل من (إرازموس) و (سيرتوماس مور) وله يدين (إرازموس) ببصيرته النافذة فى المبادىء الأساسية لتفسير الكتاب المقدس .

وفى أغسطس ١٩١٨ قام كارل بارت راع بمدينة سايفنويل فى سويسرا ، بنشر شرحه لرسالة رومية . وقال كارل بارت فى تصويره لهذا الشرح (إن القارىء سوف يستبين لنفسه أن هذا الشرح قد كتب من خلال الابتهاج بالكشف الذى توصلت إليه . إن صوت بولس القوى كان جديداً بالنسبة إلىَّ . وإذا كان هذا هو الحال معى ، فإنه بلاشك . كان أيضاً كذلك للآخرين . ولكن الآن ، وقد أنجزت عملى هذا ، فإننى أدرك أنه ما يزال هناك الكثير الذى لم يصل بعد إلى مسامعى) .

ولقد كتب كارل بارت ما سمعه ، ولقد وقعت الطبعة الأولى لكتابه Romerbrief كقنبلة فى ملعب اللاهوتيين . ولا تزال أصداء هذا الانفجار معنا حتى الآن . ولا يمكن التكهن بما يمكن أن يحدث عندما يبدأ الشعب فى دراسة الرسالة إلى أهل رومية . فإن ما حدث لأوغسطينوس ولوثر ووسلى وبارت كان بداية لتحركات روحية عظيمة تركت بصماتها على التاريخ العالمى .. إلا أن مثل هذا الشىء قد تكرر كثيراً مع الأفراد العاديين بمجرد تغلغل هذه الرسالة بقوتها فى قلوبهم . ولكن هؤلاء الذين يقرأونها على أتم استعداد لتقبل كل الآثار التى قد تترتب على قراءتهم لها ومداومتهم على قراءتها . لقد نبهتكم فانتبهوا ! .

(٩) مناقشة

المقدمة : تحية من بولس إلى المسيحيين فى روما . أشكر الله من أجل كل ما سمعته عن إيمانكم ، وإننى بلا انقطاع أذكركم متضرعاً دائما فى صلواتى ، لكم تمنيت أن أزوركم والآن أخيراً عندى فرصة أن آتى إليكم ، وأن أكرز ببشارة الإنجيل فى رومية . فهذا هو مطمحى .

١ ــ لأنى لست أستحى بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن ، هذه الرسالة التى توضح طريقة الله فى تصحيح موقف الرجال والنساء من نحوه باختيار الإيمان بحسب تعبير الكتاب المقدس : « أما البار فبالإيمان يحيا » .

٢ ــ وتتجلى ضرورة مثل هذه الرسالة حينما نتأمل مليا فى عالم البشر ، فإننا لن نرى العقاب الإلهى سارياً على الوثنيين الذين يرجع ضلال طريقهم إلى فكرهم الخاطىء عن الله فقط ، بل إننا نرى الأمة اليهودية أيضاً ــ رغم

معرفتها بشريعة الله وتمتعها بالعديد من المزايا الأخرى تخفق فى حفظ الشريعة التى تعرفها . والحق إن الجنس البشرى كله — اليهود والأمم على السواء — قد أفلسوا خلقيا أمام الله ، وليس هناك من يمكن أن يقال عنه إنه بار على أساس أى عمل أو استحقاق شخصى له .

٣ — لو أن الله قال ببر الناس فلن يكون ذلك إلا عن طريق نعمته ، وإن الله فى نعمته قد جعل فى استطاعة الإنسان أن يقوِّم طريقه أمامه بفضل عمل المسيح الفدائى ، فعلى أساس موته الكفارى ، وُضع المسيح أمامنا على أنه الوحيد الذى يصنع تكفيراً كاملاً عن خطايانا ، وإنه يمكننا أن ننعم بفوائد عمله الكفارى بواسطة الإيمان . وبذلك يحتفظ الله بصلاحه وبره ، وفى نفس الوقت يمنح البر لكل المؤمنين بيسوع بغض النظر عما إذا كانوا يهوداً أو أمميين . وهكذا يتبرر الناموس وتتحقق الأسفار المقدسة .

فإذا تأملنا فى حالة ابراهيم مثلا سنجد أن هذه هى الطريقة التى بها وجد نعمة أمام الله . وكما يقول الكتاب : (آمن إبراهيم بالله فحسب له برًّا) . ولم تكن هذه حالة فريدة فى نوعها ، فإننا نجد أن نفس المبدأ ينطبق أيضاً على ما اختبره داود . لاحظ أيضا أن هذه الكلمات قيلت عن إبراهيم فى الوقت الذى لم يكن فيه قد اختتن بعد ، مما يوضح أن طريقة اكتساب البر هذه (بالإيمان) هى للأمم كما لليهود . وبذلك يكون إبراهيم أباً لجميع المؤمنين بغض النظر عن جنسيتهم .

وإن تعبير أن إيمان إبراهيم حسب له برًّا يعنى أننا إذا آمنا بالله ، الذى ظهرت قوته المخلصة فى موت المسيح وقيامته على نفس النحو سوف يحسب لنا ذلك براً .

وعليه فإننا بالإيمان نقبل هبة الله (التبرير) ، وبه أيضا نحصل على السلام والفرح ورجاء المجد ، وبذلك نستطيع أن نحتمل التجربة بفرح ، لأن الله نفسه هو فرحنا .. فلو أن حبه المتمثل فى موت المسيح على الصليب ، قد صالحنا لنفسه ، فإن حياة المسيح المقام سوف تدبر أمر خلاصنا فى يوم الدينونة النهائية . لقد كنا مرة بين الذين وحد بينهم الخطية والموت عندما كنا نعيش (فى آدم) .. وهكذا اشتركنا معه فى ثمر عصيانه .

ولكن ما أن انفك رباط توحدهم لكى يحل محله التوحد الجديد (مع

البر) و (الحياة) التى لنا (فى المسيح) حتى اشترك كل المؤمنين فى ثمرة طاعته الكاملة ، أما ناموس موسى فلم يكن فى مقدوره تغيير هذا الموقف . فقد أعطى الناموس ببساطة لكى يكشف الغطاء عن خطايا البشر ، ويعلنها على الملأ . ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً .. حتى كما ملكت الخطية فى الموت هكذا تملك النعمة بالبرِّ للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا .

٤ — هل أسمع أحداً يقول : « أنبقى فى الخطية لكى تكثر النعمة وتتمجد أكثر فأكثر ؟ حاشا ! ذلك أننا فى المسيح ، قد دخلنا فى حياة جديدة . لقد متنا عن الخطية وعن كل ما له علاقة بها ، وهذا هو بالتأكيد المعنى الحقيقى للمعمودية . ربما تفكرون فى الخطية باعتبارها (مالك عبيد) ، الذين كنا نحن فى الماضى عبيداً له . إن العبد ملزم بإطاعة أوامر سيده ، ولكن عندما يموت هذا السيد ، فإن أوامره يبطل مفعولها . ولو حورنا فى الرمز قليلاً ، نقول إن العبد لو اشتراه سيد جديد ، فإن مولاه القديم لن تكون له بعد ذلك أية سيادة عليه . وعلى هذا لم يعد للخطية سيادة عليكم ، فإنكم الآن تنتمون إلى الله الذى حرركم من عبوديتكم السابقة . لقد كانت الخطية سيداً متسلطاً قاسيا جلب عليكم الموت إلا أن الله بالعكس يهب عبيده هبة مجانية للحياة الأبدية فى المسيح .

وعلى هذا النحو أيضاً انتهى القيد الذى كان يقيدكم إلى أعمال الناموس . إن الناموس يسود على الإنسان ما دام حيا ، كارتباط الزوجة بزوجها طالما كان على قيد الحياة ، ولكن حيث أن الموت يفض رابطة الزوجية ، فإن موت المؤمن مع المسيح قد أزال القيد الذى كان يربط المؤمن بالناموس ، وحرره لكى يتحد بالمسيح . إن الناموس كان يثير فينا نفس الخطايا التى كان يُحرِّمها ، أما أولئك الذين يتحدون بالمسيح فلهم ثمرهم فى البر والحياة . إننى أعلم جيداً ما أتحدث عنه عندما أقول إن الناموس يستثير فينا نفس الخطايا التى يحرمها . فإننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس فى إحدى وصاياه « لا تشته » . ولكن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية أنشأت فىّ كل شهوة .

إن الخطأ ليس فى الناموس ، ولكن هى الطبيعة الفاسدة القديمة التى تعمل فينا بالطريقة التى تضاد الناموس . ومازال هذه الطبيعة الفاسدة فينا تشن الحرب ضد كل العوامل الداخلية فىّ والتى تعرف المثل النبيلة فى ناموس الله ،

وترغب فى الاحتفاظ بها . إلاّ أن قوتى الذاتية ليست كافية لكسب هذه المعركة ضد الطبيعة القديمة ، أو لمنعها من إرغامى على تنفيذ أمرها . إننى استمر فى حالة من التمزق والتشتت القلبى ومقهوراً فى حياتى إلى أن يتسنى لى أن أحصل على النصر والغلبة فى يسوع المسيح ربى .

إن أولئك الذين فى المسيح يقبلون روح المسيح ، وروح المسيح يعمل فيهم بمبدأ جديد ــ مبدأ الحياة ــ الذى يضاد ويبطل المبدأ القديم مبدأ الخطية والموت . وأولئك السالكون بحسب الروح يمكنهم أن يتمموا متطلبات الله ، كما لم يستطع الناموس أن يتممها .

إن الروح يمكّن الطبيعة الجديدة أن تتغلب على الطبيعة القديمة ، ويحافظ على الحياة الجديدة هنا والآن تماما كما سيغير يوماً ما أجسادنا المائتة إلى أجساد خالدة ، وبذلك يوجه حياتنا ويمكننا من أن نعيش كأولاد أحرار لله ، وهو الذى يحثنا تلقائيا على أن ندعو الله (أبانا) . ولسوف يأتى اليوم الذى يتحرر فيه أولاد الله من كل ما هو مائت ، وسوف يظهرون للعالم فى المجد الذى خلقوا من أجله ، وفى ذلك اليوم سوف تعتق كل الخليقة من كل ما يعطلهم عن المشاركة فى مجد حرية أبناء الله .

إن الخليقة كلها تتوق إلى هذا اليوم . وكذلك نحن أيضاً معهم ، ولكن فى وسط هذه المعوقات ، لنا عون وشفاعة الروح ، وتأكدنا من أن كل الأشياء تعمل معا للخير ، حيث أن مشيئة الله هى خيرنا ، ومشيئته التى لا يمكن أن تخيب ، هى أن يمجد كل الذين سبق فعرفهم ودعاهم وبررهم . فلنتشجع إذن لأن الله معنا ، والمسيح هو مخلصنا القدير ، ولن تستطيع أية قوة فى العالم الحاضر أو الآتى أن تفصل شعبه عن محبته .

٥ ــ وفى كل هذا ، وأياً كان الأمر ، فإن لى حزنا عظيما ووجعا فى قلبى لا ينقطع ، لأجل إخوتى ، أنسبائى حسب الجسد ، الأمة التى أعدت بصفة خاصة لمجىء المخلص ، الأمة التى وُلد فيها ، والتى عجزت عن أن تقبله . لست أعنى بذلك أن وعود الله لإسرائيل قد أحبطت ، فعلى مدى التاريخ كله وقع اختيار الله على البعض ، وتخطى غيرهم . ولقد رفض أنسبائى (عن علم) طريق البرّ بالإيمان ، والذى قدمه لهم الله ، ففضلوا عليه طريقهم الخاص للتبرير بحفظ الناموس . إنهم لم يدركوا أن المسيح قد وضع نهاية للتبرير عن طريق

حفظ الناموس .

ولقد اختارت الأمم الطريق الصحيح ، فى حين رفضته إسرائيل .

وأقول إن إسرائيل قد رفضته ، ولكن ليس (كل) إسرائيل . وكما كان لله بقية أمينة فى الأيام القديمة ، فإن له اليوم بقية مختارة بنعمته ، وكما كان الحال فيما مضى ، هكذا الآن فما يزال للبقية وعداً بأمور حسنة فى الطريق إليهم ، إن رفض إسرائيل وما نتج عنه من تخلى الله عنهم هو أمر مؤقت . إن تمتع الأمم ببركات الإنجيل سوف يؤدى إلى إثارة غيرة أنسبائى . إنهم سوف يرجعون ويقبلون الإنجيل ، ومن ثم سوف تبتهج كل إسرائيل بخلاص الله .

وإنك لترى أن قصد الله النهائى للبشرية هو بلا تمييز . إن إسرائيل والأمم على السواء سوف يتمتعون جميعهم بهذه البركات ، وأن الله يتمم مقاصده بروعة وحكمة عظيمتين ، له المجد إلى الأبد .

وبالنظر إلى كل ما فعله الله من أجلكم فى المسيح ، فإنكم يجب أن تحيوا حياتكم فى خدمة المسيح . إنكم جميعا أعضاء مشتركون فى جسد المسيح ، فانظروا الآن أن تصرفوا جهودكم لخير هذا الجسد المتحد ، ولتكون علاقاتكم مع الآخرين نابعة من الرحمة الغافرة التى للمسيح . قدموا الطاعة الواجبة للسلطات المدنية ، ذلك لأنهم جميعا يعملون فى خدمة الله بطريقتهم . لا تكونوا مديونين لأحد إلا بأن يحب بعضكم بعضا . وفى أيام الضيق التى قد تتعرضون لها ، كونوا متيقظين روحيا ، وعيشوا كما يحق للمسيحيين ، كونوا وادِّين بعضكم بعضا بالمحبة الأخوية مقدمين بعضكم بعضا فى الكرامة كمسيحيين . هناك مسائل أخرى كالأيام الخاصة وبعض أنواع الأطعمة التى لا يوافق عليها كل المسيحيين . إن الحرية المسيحية شىء رائع ، ولكنها لا يجب أن تكون على حساب المحبة المسيحية . تذكروا مثال المسيح ، إنه لم يرض نفسه بل كان دائما يضع مصلحة الآخرين قبل مصلحته الشخصية .

خاتمة الرسالة

إننى أكتب إليكم كرسول للأمم ، وإننى أعلق على خدمتى أهمية كبرى فى هذا المجال ، ذلك لأنها تتميم للقصد الإلهى بمباركة كل الأمم ، ذلك القصد

الذى استعلن فى كتابات العهد القديم . حتى إنى من أورشليم ، وما حولها إلى إلليريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح ، ولكننى الآن اعتزم إكمال سعيى بالذهاب إلى إسبانيا .. وإنى لأرجو أن أراكم فى طريقى إليها ، لأن لى اشتياق إلى المجىء إليكم من سنين كثيرة . ولكنى الآن أنا ذاهب إلى أورشليم لتقديم عطية كنائس الأمم لإغاثة إخوانهم هناك .

صلوا من أجلى إلى الله لكى تكون خدمتى لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين حتى أجىء إليكم بفرح بإرادة الله وأستريح معكم .

أوصيكم بأختنا فيبى حاملة هذه الرسالة إليكم ، وتقبلوها قبولاً حسنا : سلموا على جميع الأصدقاء الذين معكم . احترزوا من الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافا للتعليم الذى تعلمتموه ، واعرضوا عنهم ، حافظوا على سيرتكم الحسنة التى لكم فى الكنائس . يسلم عليكم جميع الأصدقاء الذين معى . نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم ، ولله كل المجد آمين .

التحليـــل

المقدمة (١ : ١ ــ ١٥) .

أ ــ التحية (١ : ١ ــ ٧) .

ب ــ المدخل إلى الرسالة (١ : ٨ ــ ١٥) .

الجـــزء الأول

الإنجيل بحسب بولس (١ : ١٦ ــ ١١ : ٣٦)

أولا : موضوع الإنجيل : الإعلان عن بر الله (١ : ١٦ و ١٧) .

ثانيا : الخطية ومجازاتها : تشخيص الاحتياج العام إلى بر الله (١ : ١٨ ــ ٣ : ٢٠) .

أ ــ العالم الوثنى (١ : ١٨ ــ ٣٢)

ب ــ المعلم الأخلاق (٣ : ١ ــ ١٦) .

جـ ــ اليهود (٢ : ١٧ ــ ٣ : ٨) .

(١) الامتيازات تصاحبها المسئوليات (٢ : ١٧ ــ ٢٩) .

(٢) الإجابة على الاعتراضات (٣ : ١ ــ ٨) .

د ــ كل البشرية تحت الخطية (٣ : ٩ ــ ٢٠) .

ثالثا : طريق البر : تحقيق الاحتياج العام إلى البر (٣: ٢١ــ ٥: ٢١).

أ ــ تدبير الله السابق (٣ : ٢١ ــ ٣١) .

ب ــ سابقة من العهد القديم (٤ : ١ ــ ٢٥) .

جـ ــ البركات المصاحبة للتبرير : السلام ــ الفرح ــ الرجاء (٥ : ١ ــ ١١) .

التكافل القديم والجديد (٥ : ١٢ ــ ٢١) .

رابعا : طريق القداسة (٦ : ١ ــ ٨ : ٣٩) .

أ ـــ العتق من الخطية ، أو التحرر منها (٦ : ١ ـــ ٢٣) .

(١) اعتراض افتراضى (٦ : ١و٢) .

(٢) معنى المعمودية (٦ : ٣ ـــ ١٤) .

(٣) القياس التمثيلى بسوق العبيد (٦ : ١٥ ـــ ٢٣)

ب ـــ التحرر من الناموس (٧ : ١ ـــ ٢٥) .

(١) القياس التمثيلى بالزواج (٧ : ١ ـــ ٦) .

(٢) فجر الضمير (٧ : ٧ ـــ ١٣) .

(٣) الصراع الداخلى (٧ : ١٤ ـــ ٢٥) .

جـ ـــ التحرر من الموت (٨ : ١ ـــ ٣٩) .

(١) الحياة فى الروح (٨ : ١ ـــ ١٧) .

(٢) المجد العتيد (٨ : ١٨ ـــ ٣٠) .

(٣) انتصار الإيمان (٨ : ٣١ ـــ ٣٩) .

خامسا : عدم إيمان البشر ، والنعمة الإلهية (٩: ١ ـــ ١١: ٣٦)

أ ـــ مشكلة عدم إيمان اسرائيل (٩ : ١ ـــ ٥) .

ب ـــ اختيار الله المطلق (٩ : ٦ ـــ ٢٩) .

جـ ـــ مسئولية البشر (٩ : ٣٠ ـــ ١٠ : ٢١) .

(١) حجر الصدمة (٩ : ٣٠ ـــ ٣٣) .

(٢) طريقا البر (١٠ : ١ ـــ ١٣) .

(٣) الإعلان العالمى الواسع المدى (١٠ : ١٤ ـــ ٢١) .

د ـــ قصد الله لأجل إسرائيل (١١ : ١ ـــ ٢٩) .

(١) اغتراب إسرائيل عن الله ليس نهائياً (١١ : ١ ـــ ١٦) .

(٢) مثل شجرة الزيتون (١١ ١٧ ـــ ٢٤) .

(٣) رجوع إسرائيل إلى الله (١١ : ٢٥ ـــ ٢٩) .

ه ـــ قصد الله للبشرية (١١ : ٣٠ ـــ ٣٦) .

الجـــزء الثانـــى

أسلوب الحياة المسيحية (١٢ : ١ ــ ١٥ : ١٣) .

(١) الذبيحة الحية (١٢ : ١و ٢)

(٢) الحياة العامة للمسيحيين (١٢ : ٣ ــ ٨) .

(٣) ناموس المسيح (١٢ : ٩ ــ ٢١) .

(٤) المسيحى والدولة (١٣ : ١ ــ ٧) .

(٥) الحب والواجب (١٣ : ٨ ــ ١٠) .

(٦) حياة المسيحيين فى أزمنة الضيق (١٣: ١١ ــ ١٤) .

(٧) الحرية المسيحية والمحبة المسيحية (١٤ : ١ ، ١٥ : ٦) .

أ ــ الحرية المسيحية (١٤ : ١ ــ ١٢) .

ب ــ المحبة المسيحية (١٤ : ١٣ ــ ٢٣) .

جـ ــ مثال المسيح (١٥ : ١ ــ ٦) .

(٨) المسيح والأمم (١٥ : ٧ ــ ١٣) .

خاتمة الرسالة : (١٥ : ١٤ ــ ١٦ : ٢٧) .

أ ــ رواية شخصية (١٥ : ١٤ ــ ٣٣) .

ب ــ تحياة إلى أصدقاء عديدين (١٦ : ١ ــ ١٦) .

جـ ــ عظة ختامية (١٦ : ١٧ ــ ٢٠) .

د ــ تحياة من رفاق بولس (١٦ : ٢١ ــ ٢٣ و ٢٤) .

هـ ــ تسبيحة شكر لله (١٦ : ٢٥ ــ ٢٧) .

التعليق والتفسير

الأصحاح الأول

المقدمة : (١ : ١ ــ ١٥)

أ - التحية (١ : ١ ــ ٧)

كانت الرسالة القديمة تبدأ بتحية بسيطة : سلام من (فلان) إلى (فلان) . إن مثل هذه التحية تشكل هيكل التحيات التى تُستهل بها معظم رسائل العهد الجديد ، والتى تنوعت توسعاتها مع إعطائها التوكيد المسيحى .

والتحية فى هذه الرسالة تأخذ نفس الشكل : بولس .. إلى جميع الأحباء الموجودين فى رومية .. سلام ، ولكن كل جزء من التحية توسّع ــ اسم المرسل ، اسم المرسل إليه (أو إليهم) ، وحتى التحيات ...

عدد ١ : (بولس عبد ليسوع المسيح ، المدعو رسولا) : و (عبد) هى الترجمة الصحيحة للكلمة اليونانية التى ترجمت فى الإنجليزية (خادم) . إن بولس يضع نفسه بالتمام فى خدمة سيده وتحت تصرفه . إنى دعوته ليكون رسولا ، ووكيلا مفوضا خاصا للمسيح ، جاءته مباشرة ، كما يقول : من يسوع المسيح ومن الله الآب (غل ١ : ١) ، الذى وضع على عاتقه مسئولية إعلان الإنجيل فى العالم (عالم الأمم) (غل ١ : ١٦) . (المفرز لإنجيل الله) ، أى أنه أختير لخدمة الإنجيل قبل اعتناقه المسيحية بزمن طويل (قارن غلاطية ١ : ١٥) ، حيث يتكلم عن نفسه أنه قد أفرز لهذه الغاية (من البطن) . إن الميراث الغنى والمواهب المتنوعة لبولس (اليهودية واليونانية والرومانية) وتربيته قد سبق الله وعينها لتكون هى بعينها الملائمة لخدمته الرسولية .. قارن وصف الرب العام لبولس : « لأن هذا لى إناء مختار ليحمل اسمى أمام الأمم ... » (اع ٩ : ١٥) . (إنجيل الله) هو خبره وإعلان انتصار ابنه وتمجيده ، وما نتج عنه عفو عام عن خطايا البشر ، والتحرير الذى سيتمتعون به نتيجة إيمانهم به . وإننا لنجد الخلفية التاريخية لاستعمال العهد

الجديد لكلمة البشارة أو الخبر السار المفرح ، نجدها فى العهد القديم فى الترجمة السبعينية لسفر إشعياء (٤٠ ــ ٦٦) (وبصفة خاصة إشعياء ٤٠ : ٩ ، ٥٢ : ٧ ، ٦٠ : ٦ ، ٦١ : ١) حيث نجد هذا الاسم والفعل المشتق منه مستخدما لإعلان تحرير صهيون من السبى .

ويعامل كتبة العهد الجديد هذا الإعلان على اعتباره إعلانا مسبقاً بالتحرير من الاغتراب الروحى والعبودية ، والذى تحقق بموت وقيامة المسيح .

عدد ٢ : (الذى سبق فوعد به بأنبيائه فى الكتب المقدسة) : قارن ١ : ١٧ ، ٣ : ٢١ ، ٤ : ٣ ــ ٦ وما يليها ، للتوسع فى هذه العبارة ودراستها تفصيليا .

عدد ٣ : (عن ابنه يسوع المسيح ربنا) : هذه العبارة التى تعبر عن المادة موضوع إنجيل الله تتقدم الملخص الاعترافى (الآيات ٣ و ٤) والذى ربما كان مألوفا لدى مسيحيى رومية ، كما بالنسبة لبولس نفسه ، وأيا كان الأمر ، فإنه يبدو أن بولس قد أعاد صياغة كلماتها من أجل تحقيق نوع من التوكيد رآه ضروريا . (الذى صار) [ومن الأفضل (الذى ولد)] (من نسل داود من جهة الجسد) من الواضح أن مجيء المسيح من نسل داود كان عنصرا من عناصر التبشير والكرازة المسيحية فى أيامها الباكرة ، والتى كانت أيضا من ضرورات الاعتراف بكون يسوع هو المسيا ، إلا أنه يبدو أن يسوع لم يهتم كثيرا بهذا الأمر ، ولكنه لم يرفض تسميته « بابن داود » عندما أطلقت عليه ، كما حدث من بارتيماوس الأعمى (مرقس ١٠ : ٤٧ وما يليه) . أما سؤاله للكتبة عن تفسيرهم للمزمور ١١٠ : ١ (مرقس ١٢ : ٣٥ و ٣٧) فلا يجب أن نفسره على أنه يرفض الاعتراف بانتسابه من حيث الجسد إلى داود .

عدد ٤ : (وتعيّن ابن الله بقوة) : إن الكلمة التى ترجمت فى الإنجليزية (أعلن) تعبير واضح لكلمة (تعيّن) ، وهى المستعملة فى أعمال ١٠ : ٤٢ ، ١٧ : ٣١ عن تعيين المسيح ديّانا للجميع . إن بولس لا يقصد أن يقول إن يسوع صار ابن الله بالقيامة ، ولا يقصد بولس أن يسوع أصبح ابن الله نتيجة القيامة ، بل إن ذاك الذى كان خلال حياته الأرضية الشاقة ابنا لله ضعيفا ومتروكا . نفس هذا الإنسان هو ابن الله فى انتصاره بالقيامة . وبالمثل فإن بطرس يختم إعلانه يوم الخمسين بقيامة وتمجيد المسيح بقوله : « فليعلم يقينا

جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم ربا ومسيحا » (أعمال ٢ : ٣٦) . إن عبارة (بقوة) تظهر أيضا فى مرقس ٩ : ١ حيث من المحتمل أن يجيء ملكوت الله « بقوة » كان النتيجة المباشرة لموت وكفارة يسوع .

(من جهة روح القداسة) هناك تناقض واضح بين (بحسب الجسد) وبين (من جهة الروح) . ولكن حين يذكر بولس الطرف الثانى من هذه المناقضة ، فإنه يوضح أى « روح » . يقصد بذلك « بالإضافة إلى » (روح القداسة) وهو الأسلوب العبرى العادى لقولنا (الروح القدس) . وهنا يعيد بولس صياغة التعبير العبرانى فى صيغته اليونانية .

وبالمقابلة الحالية بين « الجسد » و « الروح » ، فإنه لا يشير صراحة إلى الطبيعتين اللتين لربنا وإنما يشير إلى حالتى الاتضاع والتمجيد . إنه هو نفس ابن الله الذى يظهر فى الاتضاع ، والتمجيد على السواء ، ولكن نسبه إلى داود فهو موضوع مجدد بحسب الجسد ، ومع ذلك فإننا نراه الآن فى حالة اتضاعه والتى لا تلبث أن تُمتص متجاوزا إياها مجده الفائق حين يتمجد ، والذى به افتتح عصر الروح . إن انسكاب وخدمة الروح ستثبت تتويج يسوع « ابنا لله بقوة » .

(بالقيامة من الأموات) : من الأفضل استخدام تعبير (بقيامة الموتى) . هذه العبارة هى حرفيا (كنتيجة قيام الموتى) . إن صيغة الجمع « الموتى » يمكن النظر إليها كالحالة التى يطلق عليها علماء النحو والصرف « الجمع التعميمى » . وتظهر نفس العبارة تماما مع الإشارة إلى قيامة المسيح فى أعمال ٢٦ : ٢٣ . أما هنا فإنها تشير إلى قيامة المسيح نفسه ، وليس (كما يفكر البعض) إقامته لعازر وآخرين ، وأقل من ذلك تلك الظاهرة الموصوفة فى متى ٢٧ : ٥٢ وما يليها . ولكن قيامة المسيح يدل عليها بتلك العبارة التى فيها تلميحه إلى القيامة فى المستقبل كشعب المسيح . إن قيامة المسيح هى الحلقة الأولى من « قيامة الموتى » كما ذكرت بوضوح فى رومية ٨ : ١١ (قارن ١ كورنثوس ١٥ : ٢٠ — ٢٣) .

عدد ٥ : (نعمة ورسالة) من المحتمل أن يكون المعنى الذى قصده بولس (نعمة كونه رسولا) قارن الشواهد فى رومية ١٢ : ٦ التى تتحدث عن

الواجب : « ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا » . وما جاء فى ١٥ : ١٥ : « بسبب النعمة التى وهبت لى من الله » . حتى أكون خادما ليسوع المسيح لأجل الأمم » ١٥ : ١٦ .

(**لإطاعة الإيمان**) : ومن الأفضل أن نقول (بإطاعة الإيمان) لإبراز أن الطاعة مؤسسة على الإيمان فى المسيح . إن الإيمان هنا ليس الإنجيل الذى هو العقيدة التى تقدم للإيمان ، بل هو الإيمان نفسه (١٥ : ١٨، ١٦ : ٢٦) (فى جميع الأمم) . هذه العبارة تفصح عن مهمة بولس الخاصة التى دعى إليها ليكون رسولا إلى الأمم . إن الكلمة اليونانية ethnè (مثل مرادفتها العبرانية goyim) لها ترجمات متنوعة : الأمم أى الشعوب و (الأمم) أو (الوثنيين) ، وبالنسبة للمعنى الأخير قارن (غل ١: ١٦ ، ٢: ٩ ، ٣: ٨).

عدد ٦ : (**الذين بينهم أنتم أيضاً**) : من المحتمل أن تعنى ليس فقط وجود الكنيسة فى رومية فى العالم الأممى ، ولكن لتغلب العنصر الأممى الآن على أعضائها (مدعوو يسوع المسيح) ، أو المدعوون ليكونوا ليسوع المسيح (قارن رومية ٨ : ٢٨ و ٣٠) .

عدد ٧ : (**فى رومية**) : انظر الملاحظة فى المقدمة (مدعوين قديسين) ، أى « قديسين بالدعوة الإلهية » الذين دعاهم الله ليكونوا شعبه المقدس ، والذين أفرزهم لنفسه . وهناك دلالات هنا وهناك فى العهد الجديد إلى أن (القديسين) (ومن المحتمل جدا أن تكون لقباً) أطلقه أولئك اليهود المؤمنون على أنفسهم (قارن رومية ١٥ : ٢٥ ، أفسس ٢ : ١٩) الذين اعتبروا أنفسهم « كمؤمنى العلى » والذين كان مقدراً لهم أن يحصلوا على السلطة الملكية والقضائية من الله (دانيال ٧ : ٢٢و ٢٩) ، ويصر بولس على استخدام هذه التسمية للمؤمنين من الأمم مثل أولئك الذين يشتركون معهم فى الإيمان من الجنس اليهودى . (نعمة لكم وسلام) إن كلمة نعمة وسلام شائعة الاستعمال فى تحيات بولس ، ومن المحتمل أنه يوجد هنا ما بين أساليب التحية عند اليونان واليهود . ويقول اليونانيون (chaire) والتى تعنى حرفيا (افرحوا) . ويقول اليهود (shalom) وتعنى حرفيا (سلام) .. إلا أنه فى توحيد بولس بين هاتين الصيحتين للتحية ، فإنه يغير كلمة chaire اليونانية إلى ما يماثلها فى الصوت والتى هى الكلمة المسيحية المتميزة charis والتى

تعنى (النعمة) . إن نعمة الله هى محبته المجانية ولطفه الذى لا يستحقه البشر ، والذى منح لهم من خلال المسيح ، إن سلام الله هو الخير الذى ينعمون به من خلال نعمته .

(من الله أبينا . والرب يسوع المسيح) : إن هذا الانتظام التلقائى والمتكرر فى الجمع ما بين المسيح والله شاهد على المكانة التى كانت للمسيح فى فكر وعبادة بولس والمسيحيين الأوائل الآخرين .

ب ــ المقدمة أو المدخل إلى الرسالة (١ : ٨ ــ ١٥)

بعد أن قدّم بولس نفسه وفكرته الرئيسية ، أخذ يشرح لماذا يكتب الآن إليهم . إن الأخبار التى وصلت عن المستوى الرفيع لإيمانهم المشهور ، استثار فى نفس بولس الشكر العميق وهو يؤكد لهم ذكرهم بلا انقطاع فى صلواته . إن الكنائس التى كانت فى المقام الأول من مسئولياته ، تلك الكنائس التى كان هو قد أسسها ــ كانت على الدوام شغله المقيم الذى استغرقه كل وقته وتفكيره ، ولكنه كان يذكر أمام الله غيرها من الكنائس أيضاً ، وليس آخرها كنيسة العاصمة . إنه يحدثهم عن رغبته الملحة وتضرعه للحصول على فرصة لزيارتهم . والآن وبعد أن زالت المعوقات السابقة يبدو أن صلواته أوشكت أن تستجاب ، وأنه لا يرجو فقط أن يمنح المسيحيين فى رومية هبة روحية ، بل أن ينال هو الله نفسه بركة عن طريق شركتهم معه .

وبينما لم يكن فى ذهنه أن يؤكد لهم رسوليته ، فإنه يتطلع إلى أن يقوم بالكرازة بالإنجيل هناك ليكون له ثمر فيهم ، كما فى سائر الأمم . إن الكرازة بالإنجيل تسرى فى دمه ، هو لا يستطيع أن يحجم عن القيام بها . وهو لم يكن (منقطعا عن العمل) قط ، بل إنه على الدوام فى خدمة دائمة ليؤدى بعضا من الدين الذى فى عنقه للبشرية جمعاء ، ذلك الدين الذى لن يتوقف عن أدائه طالما بقى حياً .

عدد ٨ : (أشكر إلهى بيسوع المسيح) : ذلك لأن به قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان فى جميع الأمم (الآية ٥) ، وعلى هذا فإنه بالمسيح ينتقل شكر

البشر إلى الله . إن وساطة المسيح تعمل فى اتجاه الله ، كما تعمل فى اتجاه البشر (انظر ص رقم ١) « إن إيمانكم ينادى به فى كل العالم » (قارن ١ تسالونيكى ١ : ٨ بل فى كل مكان ذاع إيمانكم بالله) . إن تفكير بولس فى هاتين الفقرتين يدور بصفة خاصة حول الأماكن التى رسخت فيها أقدام المسيحية وتأسست فيها الكنائس (انظر أيضا الملاحظة على ١٠ : ٨) .

عدد ٩ : (الذى أعبده بروحى) (الذى أقدم له خدمة روحى المتواضعة) ، (بلا انقطاع أذكركم متضرعاً دائماً فى صلواتى) (قارن أفسس ١ : ١٦ ، فيلبى ١ : ٣ وما يليه ، كولوسى ١: ٣ ، ١ تسالونيكى ١ : ٢ ، ٢ تى ١ : ٣ ، فليمون ٤) . من المتوقع أن يذكر بولس بلا انقطاع المؤمنين الذين خلصوا على يديه متضرعا من أجلهم فى صلواته ، إلا أنه من الواضح فى هذه الفقرة أن صلاته تعدت اهتماماته المباشرة نحو معارفه الذين له صلة شخصية بهم ، والذين يدخلون فى نطاق مسئوليته كرسول .

عدد ١٠ : (الآن) : (ومراراً كثيرة) (الآية ١٣) ، ويقصد بها تلك المحاولات السابقة التى قصد فيها بولس أن يزور روما ، وهى تلك المحاولات التى لا نعرف شيئا عن خطته من أجل تحقيقها .

عدد ١٢ : (لنتعزى معا) : (لنتشجع) ، إن هذا يصحح أى انطباع تعطيه الآية (١١) أنه هو الذى يمنحهم البركة الروحية ، وأنهم هم الذين يتقبلون منحته . إنه يأمل أن يتلقى العون والتشجيع ، وأن يقدم لهم التعزية أثناء زيارته المزمع القيام بها إلى رومية .

عدد ١٣ : (ثم لست أريد أن تجهلوا أيها الإخوة) : هذا التعبير أثير ومفضل عند بولس ، وهو يعنى « أريدكم أن تعرفوا » (قارن ١١ : ٢٥ ، ١ كو ١٠ : ١ ، ١ كو ١٢ : ١ ، ٢ كو ١ : ٨ ، ١ تس ٤ : ١٣) . (ومُنعت حتى الآن) (قارن ٢ تس ٢ : ٧) .

عدد ١٤: (لكل من اليونانيين والبرابرة) : تُعد جميع الأمم غير اليونانية (فى نظر اليونانيين) من البرابرة .

عدد ١٥ (أنظر الملاحظة على رومية فى المقدمة) :

الجـزء الأول

الإنجيل بحسب بولس :

أولاً : موضوع الإنجيل : إعلان بر الله (١: ١٦ و ١٧) :

يقول بولس : « صدقونى إنه ليس هناك من سبب يدعونى لأن أستحى بالإنجيل الذى أكرز به ، فهو فى الحقيقة الوسيلة القوية التى يستخدمها الله للخلاص لكل من يؤمن ، لليهود أولاً ثم للأمم أيضا . ولماذا هذا الأمر ؟ لأنه فى هذا الإنجيل إعلان طريق الله للبر — طريق البر القائم على مبدأ الإيمان المقدم للبشر حتى يتم قبولهم أمام الله بالإيمان . ولقد قال النبى عن هذا البر : « أما البار فبالإيمان يحيا » .

ولكى نفهم المعنى الذى قيل عن الإنجيل إن فيه إعلان طريق الله للبر ، فإن هذا يقتضى أن نضع فى أذهاننا بعض الحقائق عن مفهوم البر فى العهد القديم ، وهو الذى يشكل الخلفية فى تفكير بولس ولغته .

إن أفكار الصواب والخطأ بين العبرانيين هى أفكار قضائية شرعية ، بمعنى أن العبرانى يفكر دائما فى موضوع الصواب والخطأ كأنه يمكننا الوصول إلى قرار فى شأنها أمام القاضى . إن البر فى نظر العبرانى ليس صفة أخلاقية ، بل موقف قانونى . إن كلمة بار تعنى ببساطة (فى موقف الصواب) ، فى حين أن الكلمة (شرير) تعنى أنه (فى موقف الخطأ) . يقول فرعون « لقد أخطأت هذه المرة (والرب هو البار) ، وأنا وشعبى الأشرار » (خروج ٩ : ٢٧) . إن الرب دائما هو البار ، لأنه ليس السيد فحسب ، بل هو (المنسجم مع ذاته) . إنه ينبوع البر ، وإرادته المستقيمة الثابتة هى ناموس إسرائيل[١] .

إن الله نفسه هو البار ، والبشر الذين (يعملون الخير)[٢] هم الأبرار ،

---

(١) يقول (و . ر . سميث) فى كتاب (أنبياء إسرائيل) [لذا عندما يدين إشعياء القضاة الفاسدين (الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة وأما حق الصديقين فينزعونه منهم) (إش ٥ : ٢٣) فهو يشير إلى قرارات قضائية . فهو يقصد أن الإنسان البار يُجعل شريراً فعلاً ، بل إن كلمة الله ذاتية التحقيق . فعندما يعلن عن شخص أنه بار يكون فعلاً باراً] .

(٢) أو بتعبير آخر (هم أبرياء) . وهذا يمكن مقارنته مع إصرار الله فى العهد القديم الذى يقال عنه (فى خروج ٣٤ : ٧) (لن يبرىء أبراراً) وأنظر أيضا (رو ٤ : ٥) .

لسلامة موقفهم مع الله ، ومع شريعته . وعلى هذا ، فإنه حين يُعلن بر الله فى الإنجيل ، فإنه يتم إعلانه بصورة ثنائية . إن الإنجيل يخبرنا **أولا** : بأن البشر ، على الرغم من كونهم خطاة ، إلا أن فى مقدورهم أن يكونوا على علاقة سليمة مع الله .

ثانيا : أن بر الله نفسه يتحقق من عمله الذى يبررهم به من خطاياهم ، ويعلن أن هؤلاء الخطاة من البشر قد أصبحوا أبراراً . وهذا العنصر الثانى فى الموضوع ، لا يتم التعامل معه فوراً ـــ أما الأول فإنه يتم التوسع فيه بدرجة كافية لإظهار أن المبدأ الذى يجعل به الله الخطاة من البشر فى موقف سليم فى علاقتهم معه . هذا هو مبدأ الإيمان ، وعلى هذا يرد سلطان العهد القديم فى كلمات حبقوق ٢ : ٤ (البار بإيمانه يحيا) ، والتى يمكن اعتبار أنها (جوهر) هذه الرسالة ، وأن ما جاء بعدها إلى حد بعيد ما هو إلا شرح لكلمات النبى حبقوق .

عدد ١٦ : **(لست استحى بإنجيل المسيح)** : هى صيغة بلاغية يعبر فيها الرسول عن فخره بالإنجيل ، ويعتبر كرازته بالإنجيل ، وإعلانه له بين الأمم شرفا عظيما له .

عدد ١٧ : (لأن فيه معلن بُر الله) : إن المعنى الثنائى المتوقع « لبر الله » :

(أ) بره الذاتى . (ب) البر الذى به يتبرر الخطاة على أساس الإيمان . هذا يظهر فى أدب جماعة قمران . (لقد محا ببره خطيتى .. إذا ما عثرت بسبب خطيتى الجسدية ، فإن دينونتى هى فى بر الله الذى يساندنى إلى الأبد .. إنه برحمته قد جعلنى أقترب إليه ، وبمحبته الحانية يجعل دينونتى تقترب . وببره الحقيقى يديننى ، وبفيض صلاحه يكفّر عن جميع آثامى ، وببره يطهرنى من نجاسة الإنسان المائت ومن خطية بنى البشر . وبذلك يتسنى لى أن أحمد الله على بره والعلى على مجده) .

(بإيمان لإيمان) (إنه مؤسس على الإيمان وموجَّه إلى الإيمان) .

(إنه الطريق الذى يبدأ من الإيمان وينتهى إلى الإيمان) وبحسب (ج موراى) فإن قصد بولس من التكرار هنا وفى ٣ : ٢٢ (بالإيمان بيسوع

المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون) هو أن يؤكد على حقيقة أن بر الله لا يحمل إلينا الخلاص فقط بل يحمله أيضاً إلى جميع الذين يؤمنون (البار بالإيمان يحيا) . إن هذه الكلمات مأخوذة من حبقوق ٢ : ٤ . فى حين أنها فى النص الماسورى تجىء (بإيمانه) . ولقد اقتبسها بولس أيضاً فى غلاطية ٣ : ١١ للبرهنة على أنه ليس بالناموس يتبرر الإنسان أمام الله . وهى أيضاً تظهر مع جزء من قرينتها فى العبرانيين ١٠ : ٣٨ لتشجيع قرار تلك الرسالة على الاستمرار دون أن يتطرق إليهم الملل . فالكلمة العبرانية المترجمة (الإيمان) فى حبقوق ٢ : ٤ هى فى الترجمة اليونانية السبعينية تعنى (الثبات) أو (الأمانة) ، وفى فقرة حبقوق هذا الثبات أو الأمانة تستند على الثقة المتينة فى الله وكلمته ، وهذه الثقة المتينة والثابتة هما مفهوم بولس من هذا المصطلح .

يصرخ حبقوق إلى الله من الظلم الذى يرزح شعبه تحت وطأته (فى أواخر القرن السابع قبل الميلاد) ، ويتلقى التأكيد الإلهى بأن الشر لا يمكن أن ينتصر إلى ما لا نهاية ، وأن البر لابد أن تكون له الغلبة فى النهاية « لأن الأرض تمتلىء من معرفة مجد الرب كما تُغطِّى المياه البحر » (حبقوق ٢ : ١٤) .

إن هذه الرؤيا قد تكون بطيئة فى تحقيقها ، ولكن من المؤكد أنها سوف تتحقق وتتم . ولسوف يبقى البر إلى النهاية ، موجهاً حياتهم من خلال أمانتهم لله التى يوحي بها الإيمان فى وعوده .. وفى شرح جماعة قمران لحبقوق يطبقون هذا الوحى على (كل الذين يعملون بالناموس فى بيت يهوذا ، الذين سيخلصهم الله من موضوع الدينونة بسبب تعبهم وأمانتهم لمعلّم البِّر) . وفى التلمود « البار بإيمانه يحيا » .

ويقتبسون معها ما جاء فى عاموس ٥ : ٤ (اطلبوا فتحيوا) كمثال لكيفية تلخيص كل الناموس فى جملة واحدة . وربما تعنى كلمة (اطلبوا) (فى عاموس ٥ : ٤) اطلبوا التوراة بأكملها ؟ وهو السؤال الذى وجهه الربي ناحان بن اسحاق . ويجيب على هذا السؤال الربى شملاى : « لا ، إن حبقوق جاء بعد عاموس واختصرها إلى جملة واحدة ، كما هو مكتوب : البار يحيا بإيمانه » .

وعندما يأخذ بولس كلمات حبقوق ويرى فيها الحقيقة المركزية للإنجيل ، فإنه يبدو أنه أعطاها هذا المعنى (إن الشخص البار « الذى تبرر » بالإيمان

سوف يحيا) . إن الأسلوب اللغوى فى وحى حبقوق عام لدرجة تكفى لأن يجد مكانا فى استعمال بولس له . هذا الاستعمال الذى لا يلوى بعنف قصد النبى ، إنما يعبر بصورة صحيحة ثابتة عن رسالته .

والحياة فى نظر بولس ، وكثيرين غيره من اليهود (وبصفة خاصة الحياة الأبدية) مترادفة من الناحية العملية مع (الخلاص) . فإذا كانت تسمية بولس لذاته بأنه عبرانى من العبرانيين (فيلبى ٣ : ٥) تعنى (كما هو محتمل) أنه ذلك الطفل الذى يتحدث باللغة الأرامية ، والمولود من أبوين يتحدثان اللغة الأرامية . فمن الممكن عندما يتحدث بلغته الوطنية أن يستخدم كلمة (hayyè) لكل من كلمتى (الحياة) و(الخلاص) . وعليه فقد تعنى عبارة (البار بإيمانه يحيا) (إن البار الذى تجدد بالإيمان سوف يحيا) : (إن البار « الذى تبرر » بالإيمان سوف يخلص) . وبالنسبة لبولس فإن الحياة بمعنى الخلاص تبدأ بالتبرير ، وإن كانت تمضى إلى ما وراء ذلك (قارن ٥ : ٩ وما يليها) ، فهى تتضمن التقديس (وهو موضوع رومية ٦ : ٨) ، ويكتمل بالمجد النهائى (٥ : ٢ ، ٨ : ٣٠) .

وفى هذا المعنى الشامل يمكن أن تعتبر كلمة (الخلاص) المفتاح الذى تفتح به مغاليق الفكر اللاهوتى لبولس .

ثانيا : الخطية ومجازاتها : تشخيص الاحتياج العام إلى البر (١ : ١٨ ــ ٣ : ٢٠)

أ ــ العالم الوثنى (١ : ١٨ ــ ٣٢)

قبل أن يمضى بولس بعيدا فى استعراضه لطريق بر الله كما قدَّمه الإنجيل ، فإنه يرينا السبب فى حاجتنا الماسة إلى معرفة الطريق الذى يؤدى بنا إلى صلاح موقفنا مع الله ــ وبالنسبة للوضع الراهن ، فإن البشر جميعا فى موقف خاطىء مع الله ، وأن الله قد أعلن غضبه على فجورهم وإثمهم . هناك ناموس أخلاقى للحياة هو أن يترك الناس لنتائج اختيارهم الحر لأسلوب عملهم ، وما لم ينقلب هذا الموقف إلى ضده بتدخل النعمة الإلهية ، فلا بد أن موقفهم يمضى بهم

من سيىء إلى أسوأ . ولقد جاءت ثلاث مرات الكلمات التى تحذر من هذا المصير : لذلك أسلمهم الله أيضاً .. (الآيات ١ : ٢٤ و ٢٦ و ٢٨) . إن هدف بولس أن يعرض لنا أن البشرية جمعاء قد أفلست أخلاقيا ، وليس فى مقدورها أن تكون محل الرضا الإلهى فى يوم إعلان دينونة الله ، وأنها فى مسيس الحاجة إلى الرحمة والصفح .

إنه يبدأ من مجال معين من حياة البشر ، كان فيه الإفلاس الأخلاقى سلوكاً عاماً يرضى عنه الأخلاقيون فى ذلك العصر ، وفى عالم الوثنية المعاصر الواسع ، أن الصورة التى يرسمها قبيحة إلى الدرجة التى تتقزز منها كل الضمائر . والأقبح منها تلك الصورة التى نتبينها من الآداب الوثنية المعاصرة .

إنه يسأل : [ما هو السبب لمثل هذا الموقف المروّع المرعب الذى وصل إليه هذا العالم ؟] . ومن أين تأتى تلك الانحرافات المخزية والضلال المبين ، وهذا العداء المميت بين الإنسان والإنسان ؟ كلها (على حد قوله) تبرز نتيجة للأفكار الخاطئة عن الله . وهذه الأفكار الخاطئة عن الله لم تظهر ببراءة إلى حيز الوجود ، ذلك أن معرفة الإله الحقيقى كانت ميسورة للبشر ، إلا أنهم أغلقوا عقولهم عنها . وبدلا من أن يدركوا مجد الخالق بالتأمل فى الكون الذى خلقه ، أفاضوا على المخلوقات ذلك المجد الذى هو من حق الله ومن سواه ؟ إن الوثنية هى مصدر العلل اللا أخلاقية . وهذا ما سبق لكاتب سفر الحكمة أن عبّر عنه قائلاً (لأن اختراع الأصنام هو أصل الفسق ووجدانها فساد الحياة) (سفر الحكمة ١٤ : ١٢) .

ويمكن لنا مقارنة لغة بولس فى خلق الأشياء التى ترى كمصدر لمعرفتنا لطبيعة الخالق الذى لا يُرى (الآيات ١٩ و ٢٠) ، بحديثه فى مدينة لسترة فى أعمال ١٤ : ١٥ — ١٧ وبصفة خاصة بحديثه فى أثينا أعمال ١٧ : ٢٢ — ٣١ . هناك اختلاف فى التأكيد بين حديثه فى أثينا ومحاجة بولس هنا ، إلا أنه ليس هناك أى تناقض . هناك كان بولس يحاول أن يجعل الوثنيين يقبلون على سماع حججه وبراهينه ، فى حين أنه هنا يكتب إلى مسيحيين ثابتين وراسخين فى الإيمان . وفى حديثه لأهل أثينا كان الكلام عن الله خالق العالم والذى ينظم بعنايته تعاقب فصول السنة ، ويحدد أماكن سكنى البشر على سطح الأرض لخيرهم — كل هذا وقد قصد به دفعهم إلى طلب الله لعلهم

يتلمسوه فيجدوه (أعمال ١٧ :٢٧) . فإذا كانوا يعترفون رغم ذلك بأن الله مجهول بالنسبة لهم ، فإن اعترافهم هذا بجهلهم ، لا يغفر لهم باعتباره خطية غير مميتة ، رغم أن الله فى رحمته تغاضى عن أزمنة الجهل الأولى التى سبقت مجىء المسيح .

وهنا يؤكد بولس أن شخصية الإنسان الذى يجهل الله تستحق اللوم . ذلك أن جهله بوجود الله أمر متعمد منه . فإن معرفة الله متاحة للناس ، لكنهم لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم (الآية ٢٨) . إن الحقيقة فى متناول أيديهم ، إلا أنهم طمسوها واستبدلوا حق الله بالكذب ، مفضلين المضى فى حماقتهم وذهنهم الغبى . لذلك أسلمهم الله إلى نتائج اختيارهم . وهنا يؤكد بولس على أن الله قد أظهر غضبه على اثمهم وفجورهم ، وهو مبدأ الجزاء الذى سيعمل عمله فى العالم اللاأخلاق . وبالنسبة لرجل عميق الاقتناع مثل بولس بأن الله قد خلق العالم وهو المسيطر عليه والمتسلط عليه ببره الذاتى ورحمته . فإن هذه المجازاة لا يمكن أن تكون مبدأ غير شخصى ، ذلك أن المجازاة هى فى ذاتها غضب الله . وإذا كنا نحس أن كلمة غضب تكاد تكون غير مناسبة فى معرض الحديث عن الله ، فمن المحتمل أن يكون ذلك بسبب الغضب كما نعرفه فى الحياة البشرية يتضمن دائما انفعالات شريرة تتعلق بالكرامة الشخصية . إلا أن الموقف ليس على هذا النحو بالنسبة لله ، ذلك أن غضبه هو رد فعل قداسته تجاه الشر والتمرد . ومن المؤكد أن بولس يتفق مع إشعياء فى وصفه لغضب الله بأنه (يسخط ليفعل فعلهُ .. فعلهُ الغريب عملهُ عملهُ الغريب) (إش ٢٨ : ٢١) ، والذى من أجله يمنطق ذاته ببطء ، وعلى مضض ، وفى الحقيقة إن الله يعلن غضبه هنا باعتباره خلفية (العمل الموافق) لرحمته والتى هى متجانسة روحا وطبعا مع شخصبيته ، وأنه يسارع بفرح وابتهاج فى إفاضتها على الخطاة الذين لا يستحقونها .

وحتى وإن كانت صورة المجازاة الإلهية التى تعمل كمبدأ صارم فى حياة البشر ، تعمل بمثابة الخلفية للرحمة الأبدية ، فإنها خلفية حقيقية ومرعبة ، والتى يجب على الفرد أن يعمل جادا حسابا لها .

عدد ١٨ : (لأن غضب الله مُعلن) : وليس ذلك فى الإنجيل (المعلن فيه بر الله للخلاص) . وإننا فى مجال خبرة البشر ، وكما يقول الشاعر شيللر :

(إن تاريخ العالم هو دينونة للعالم) . إن إعلان الغضب الآتى بنهاية الأيام (١ تس ١ : ١٠) هو الإعلان المنتظر لنفس المبدأ فى مجرى حياة العالم .

إن فكرة أن الله غاضب ليست أكثر من تعبير يضفى على الله صفة من صفات الإنسان لتقريب المعنى ، تماما كما يعنى تعبير (الله محبة) .

إن السبب فى سوء الفهم الذى تتعرض له فكرة (الغضب الإلهى) دائما مرجعه إلى الرأى السائد بين البشر فى أن الغضب أمر خاطىء أخلاقيا ، ومع ذلك وحتى بين البشر ألا نتحدث عن غضب بار ؟ إن عرض بولس لموضوع عبادة الأصنام فى العالم الوثنى ولأخلاقيات الوثنيين وإثمهم وفجورهم فى هذه الآيات يتبع نفس الأسلوب الفكرى المدون فى بعض المؤلفات الدفاعية عن العقائد اليهودية مثل (سفر الحكمة) الذى سبق أن اقتبسنا منه (انظر على وجه الخصوص : الحكمة ١٢ ـــ ١٤) ، ورسالة أريستياس ، والتى يُرجع إليها فى كتابات المسيحيين المدافعين عن العقيدة المسيحية فى القرن الثانى الميلادى (مثل مؤلف رسالة ديوجنيستس) ، (أريستيدس) ، (تاتيان) ، (اثناجوراس) ، (كرازة بطرس) والتى ذكرها اكليمندس الإسكندرى (الذين يحجزون الحق بالإثم) ، (بإثمهم يخمدون صوت الحق) أما « الحق » فقد تم تحديده بأكثر دقة فى الآية ٢٥ بأنه هو (حق الله) .

عدد ٢٠ : (منذ خلق العالم) (منذ) : هى بمعنى منذ ذلك الحين .. (تُرى مُدركة) .. ويشير الفعل اليونانى بالتحديد إلى الإدراك الواعى الفاهم ، فى حين أن (تُرى) تشير إلى الرؤية الطبيعية . إن كلا الفعلين .. يصفان كيف أنه بالتأمل فى أعمال الله ، فإن فى إمكان البشر أن يدركوا بوضوح طبيعته ، وهذا ما يحول دون وقوعهم فى خطأ الخلط بين هذه الأشياء المخلوقة وبين الخالق ، واستطاعتهم الحفاظ على مفهوم الألوهية خاليا من الأفكار الوثنية .

عدد ٢٢ : (صاروا جهلاء) : وكما جاء فى أدب الحكمة فى العهد القديم ، فإن الجهل (قارن قلبهم الغبى) (الآية ٢١) يتضمن البلادة الأخلاقية ، وليس النقص فى المدارك العقلية والفكرية .

عدد ٢٣ : (وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة .. والدواب) (قارن المزمور ١٠٦ : ٢٠) ، (وأبدلوا مجدهم بمثال ثور آكل عشب) ..

(الإشارة هنا إلى عبادة العجل الذهبى) . هنا يستخدم بولس لغة شمولية حيث يُطلق أحكاما عامة . إن التصنيف الثلاثى للحيوانات (قارن التكوين ١ : ٢٠ ــ ٢٥) ، والمصطلحات اللغوية (مجد) و (شبه) (قارن التكوين ١ : ٢٦) . يوحى بأن بولس فى وصفه لاثم البشر وفجورهم إنما يقصد به أنه يجيء على مثال الأسلوب اللغوى للرواية الكتابية عن سقوط آدم .

أعداد ٢٤ و ٢٦ و ٢٨ : أسلمهم الله .. قارن أعمال ٧ : ٤٢ ، حيث نجد أن الله بسبب النزعات الوثنية لدى الإسرائيليين : أسلمهم الله ليعبدوا ضد السماء . ويقدم لنا (س .س . لويس) فى كتابه « مشكلة الألم » تعبيرا عصريا عميقا عن المجازاة الإلهية فيقول : [إن الضالين يتمتعون على الدوام بالحرية الرهيبة التى يتطلبونها إلى أن يصيروا عبيداً لها] .

عدد ٢٧ : (جزاء ضلالهم) : والترجمة الصحيحة لها (العاقبة المناسبة لمثل ضلالهم أو انحرافهم) . إن مدلول كلمة error فى اللغة الإنجليزية الحديثة أضعف من أن تكون ترجمة للاسم اليونانى planè فى قرينة مثل هذه (قارن يهوذا ١١ ، حيث أن الاسم error « يترجم إلى « ضلالة » : (وانصبوا إلى ضلالة بلعام) ذلك أن ضلالته كانت عبادة بعل فغور والزنا الذى انساق إليه الإسرائيليون بمشورته (عدد ٢٥ : ١ ــ ٣ ، ٣١ : ١٦) .

عدد ٢٨ : (ذهن مرفوض) : أى إلى ذهنهم الفاسد المنحرف (ليفعلوا ما لا يليق) : إن الكلمة المترجمة (يليق) هى مصطلح لغوى يونانى فنى من الفلسفة الرواقية ، وتعنى كل ما يتضمنه السلوك الأخلاقى السوى المناسب (قارن أفسس ٥ : ٤) حيث نجد الممارسات المتنوعة « التى لا تليق » .

عدد ٢٩ : (مملوئين من كل اثم) : وقد حذف من أفضل النسخ كلمة (الزنا) من قائمة الرذائل المذكورة فى هذه الآية . أما كلمة (خصاما) فهى لا تعنى أكثر من (نزاع) .

عدد ٣٠ : (ثالبين) : أى صاروا مزدرين ومحتقرين ومستخفين و كارهين وموقعين للأذى بتصرفاتهم على غيرهم من الضعفاء ، ممن لا يملكون رد الإساءة الموجهة إليهم .

عدد ٣١ : (ولا رضى) : هذه الصفة المرذولة لا وجود لها فى أفضل النسخ المحققة .

الأصحاح الثانى

(ب) المعلم الأخلاق (٢ : ١ ــ ٢٦) :

إن بولس بأسلوبه هنا هو ذلك الأسلوب الذى يتناسب ويتلاءم مع أسلوب التأليف الذى يطلق عليه القدماء اسم «diatribè» والذى فيه توضع الأسئلة أو الاعتراضات على لسان ناقد خيالى بقصد الإجابة عليها أو دحضها . ونستطيع على نحو ما أن نتخيل بولس وهو يُملى خطابه على ترتيوس tertios . وفجأة نراه يختار الشخص الراضى عن نفسه ، والذى يجد لذته فى استعراض خطاياه والتى لا يركز انتباهه عليها ، ويقول له إنه لا يفضل غيره فى هذا المضمار . وهنا يتصور بولس مقاطعة من معترض ما ، ويتجه إلى تنفيد ودحض اعترافه ، هونجا إياه فى المقام الأول بعبارة (حاشا لله) . وينتقل بعد ذلك إلى تقديم الإجابة المنطقية . ويبدأ مرحلة جديدة من المحاجة بمثل هذا السؤال البلاغى أو البيانى : (فماذا نقول إذن ؟)[١]

وهو طول الوقت ماض إلى الأمام فى سباق مع كلماته بحيث أنه كان يجب أن تقفز كلماته فجأة على ثغرة فى حديثه لكى تمسك بتلابيب فكرته قبل أن تهرب منه . ولنا أن نتصور كيف استطاع قلم ترتيوس أن يلاحق كلمات بولس ، ولا عجب بعد ذلك إن كانت تركيباته اللغوية اليونانية وخاصة فى اللحظات المشبوبة بالعواطف ، مليئة بالاقتطاعات والجمل غير المكتملة .

ونحن نعلم أن هناك جانبا آخر للعالم الوثنى فى القرن الأول الميلادى بخلاف ذلك الجانب الذى صوّره بولس فى الفقرات السابقة . فماذا عن سينكا ، ذلك الرجل اللامع الشهير المعاصر لبولس ، وهو الفيلسوف والمعلم الأخلاق الرواقى ، والمعلم الخصوصى ومرشد نيرون ؟ ولربما يكون سينكا قد سمع عن اتهامات بولس للعالم الوثنى فقال : (نعم : إن هذا هو الحق بعينه بالنسبة لجماعات كبيرة من البشرية ، وإنى أتفق معك فى الحكم الذى تصدره عليهم ، ولكن هناك آخرين ــ بالطبع ــ مثلى أنا نفسى ، الذين يرثون لمثل هذه المواقف على النحو الذى تفعله .

---

(١) قارن ٣ : ٥ ، ٤ : ١ ، ٦ : ١ ، ٧ : ٧ ، ٨ : ٣١ ، ٩ : ١٤و ٣٠ ــ ومثله (فستقول لى) كما فى ٩ : ١٩ ، ١١ : ١٩ .

ويتخيل بولس شخصاً يتدخل بتعبيرات مثل هذه ، ومن ثم يتوجه بالخطاب إلى هذا المعترض الذى يتخيله قائلاً : سيدى الصالح إنك بالدينونة التى تدين بها الآخرين إنما تدين نفسك ، وأيا كنت أنت ، فإنك من حيث المبدأ تفعل نفس الأمور التى تدينها فيهم ، والآن كم كانت مثل هذه الإجابة مناسبة وتتلاءم مع فكر رجل مثل سينكا ! فقد كان فى إمكانه أن يكتب بصورة عظيمة التأثير عن الحياة الصالحة لدرجة أن الكتاب المسيحيين فى الأيام المتأخرة مالوا إلى القول : (سينكا الخاص بنا)[1] فهو لم يمجد الفضائل الأخلاقية الرفيعة ، بل ندد بالرياء وبشّر بالمساواة بين جميع البشر ، وكان مدركاًبالطبيعة المنحرفة الضالة للشر (كل الرذائل توجد فى كل إنسان ، وإن كانت كل الرذائل لا تبرز بجلاء فى كل إنسان) . وقد مارس سينكا امتحان ذاته يوميا بحيث أصبحت طبيعة فيه ، ساخراً من عبادة الأوثان الفاجرة ، متخذا فى ذلك دور المرشد الأخلاقى المتمسك فى حياته بمبادىء الفضيلة والأخلاق عند البشر بحيث يمكن اعتباره المعلم الأخلاقى الفاضل فى مجتمع يموج بالشر ، ولكن فى كثير من الأحيان كان سينكا يحتمل فى نفسه ، رذائل لا تختلف كثيراً عن تلك التى يدينها فى الآخرين ــ وأفدحها مثلاً تستره على قتل الإمبراطور نيرون لأمه (أجريبينا) .

وأيا كان الأمر ، فإنه حتى فى هذا القسم من الأصحاح الثانى ، وبصورة أكثر وضوحاً فى الآيات من ١٧ فصاعداً ، نرى بولس يفكر كناقد يهودى أن مثل هذا الشجب لعبادة الأصنام ، والذى نجده فى الأصحاح الأول ، كان الشكل العام للدعاية اليهودية بحيث وجد المتدينون اليهود المجال فسيحا أمامهم لإدانة أخلاقيات العالم الوثنى المحيط بهم .

ويتجلى الاتجاه النقدى اليهودى الذى يعتمل فى ذهن بولس ، بصورة أكثر وضوحاً من تكرار عبارة (اليهودى أولا ثم اليونانى) (انظر ٢ : ٩ و ١٠) ، وفيها يؤكد أن اليهود هم أول من ستقع عليهم دينونة الله حيث أنهم كانوا أول من وصلت إليهم الأخبار السارة عن نعمته المخلِّصة (١ : ١٦) . إن هذه الأولوية الثنائية لشعب إسرائيل فى الخلاص والدينونة على حد سواء ، هى التى علّم بها الأنبياء فى الأيام القديمة ، لثمانية قرون خلت سابقة لكتابة

---

(١) ويقول (ترتوليان) كان سينكا فى أحوال كثيرة واحداً منا .

هذه الرسالة ، فمثلاً نسمع كلمة الله إلى شعبه من خلال عاموس : « إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم » (عاموس ٣ : ٢) .

ولقد سبق أن رأينا أن تصويره لعبادة الأصنام فى العالم الوثنى فى الأصحاح الأول هى صدى لسفر الحكمة . وبالمثل الآن ، فإنه فى اتجاهه إلى إدانة اليهود لإفلاسهم الأخلاق ، فإن بولس يستمد أفكاره من ذات السفر . وبحسب ما يقوله كاتب سفر الحكمة فإن الله ضرب الأمم بضرباته (كما فعل مع المصريين الذين ظلموا اليهود واضطهدوهم فى أيام موسى) كأسلوب مجازاة لهم على شرورهم ، فى حين أن نفس هذه الضربات حينما نزلت بالإسرائيليين كانت تقصد العلاج . (فإنهم بامتحانك لهم وإن كان تأديب رحمة فهموا كيف كان عذاب المنافقين المقضى عليهم بالغضب) (الحكمة ١١ : ١٠) .

(فتؤدبنا نحن وتجلد أعداءنا جلداً كثيراً لكى نتذكر حلمك إذا حكمنا وننتظر رحمتك إذا حكم علينا) (الحكمة ١٢ : ٢٢) .

يقول بولس : « حسنا » تفعل إذ تعترف بلطف الله وإمهاله وطول أناته عليك على الرغم من كل عصيانك وتمردك ، لكن ألا تدرك أن لطفه إنما يهدف إلى إعطائك فرصة لكى تتوب ؟ أم تستهين بلطفه وتعتمد على رحمته . فإنك بدلاً من أن تتوب ، تبقى فى قساوتك وقلبك غير التائب ، وبذلك تدّخر لنفسك غضباً إلهياً متراكما عليك فى يوم الغضب . وعند استعلان دينونة الله ستكون عادلة على نحو مطلق . ذلك أن الله سيجازى كل واحد حسب أعماله (الآية ٦) . وبينما يرى بولس أن المغفرة والحياة الأبدية هى بالكامل من نعمة الله ، إلا أن الدينونة الإلهية (كما تبدو دائما فى الكتاب المقدس) فهى دائما تصدر حسب ما قد فعله الإنسان ، وسيؤخذ فى الحسبان كل عامل أساسى . وإن البشر يعطون حسابا عن مثل هذه المعرفة للحقيقة التى كانت فى متناول أيديهم ، وليس عن الأشياء غير الميسور معرفتها لديهم . ويقول إن اليهود سيدانون على أساس الناموس المكتوب ، إذ أن هذا المصدر للمعرفة الإلهية كان متاحاً لهم . أما الأمم فإنهم سوف يدانون بمعيار آخر ، ذلك لأن الله لم يترك نفسه بلا شاهد — حتى بينهم — فلقد كان فى مقدورهم معرفة شخص الله بالتطلع والتأمل فى الأجرام السماوية (قارن الآية ١: ٢٠) ، وكذلك فإن

القانون الأخلاقى الذى فى داخلهم يحضهم على هذه المعرفة بشخص الله . حقا إنه لم يكن لديهم ناموس موسى كما هو شأن اليهود ، إلا أنه كان لديهم ناموس الضمير للتمييز بين الصواب والخطأ ، ذلك الناموس المحفور عميقا فى قلوبهم . فإنهم كما يقول بولس ، حين ينقضون هذا الناموس ويخلّون بأحكامه ، سيعرفون أنهم قد وقعوا فى الخطأ . وعن طريق هذه المعرفة سيدانون حينما يأتى اليوم الذى تتكشف فيه خفايا القلوب ، وسرائر البشر . وسواء كانت إرادة الله معروفة بناموس موسى أو بصوت الضمير ، فإن هذه المعرفة لإرادة الله ليست وحدها كافية ، وإنما الذى يحسب هو العمل بإرادة الله .

عدد ٤ : (**إن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة**) : (قارن الحكمة ١١ : ٢٣) « لكنك ترحم جميع الناس لأنك على كل شىء قدير ، وتتغاضى عن خطايا الناس لكى يتوبوا » .

عدد ٦ : (**الذى سيجازى كلَّ واحدٍ حسب أعماله**) . (انظر أيوب ٣٤ : ١١ ، مزمور ٦٢ : ١٢ ، أمثال ٢٤ : ١٢ ، إرميا ١٧ : ١٠ ، ٣٢ : ١٩) هذا عن شواهد العهد القديم عن هذا المبدأ ، وأنه يتكرر أيضاً فى متى ١٦ : ٢٧ ، ١ كورنثوس ٣ : ٨ ، ٢ كورنثوس ٥ : ١٠ ، رؤيا ٢ : ٢٣ ، ٢٠ : ١٢ ، ٢٢ : ١٢ ، أنظر أيضاً رومية ١٤ : ١٢ .

عدد ٧ : (**أما الذين بصبر فى العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية**) : إن بولس لا يُعلِّم هنا بأن الخلاص بالأعمال ولكنه يؤكد على نزاهة وتجرد وعدم تحيز الله سواء بالنسبة لليهود أو الأمم ، قارن اعتراف بطرس المندهش فى أعمال ١٠ : ٣٤ و ٣٥ . (بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه ، بل فى كل أمة [بين الأمم كما بين اليهود] الذى يتقيه ويصنع البرِّ مقبول عنده) . لقد أظهر الله قبوله لقائد المئة الأممى كرنيليوس ، والذى قيلت له هذه الكلمات ، بإرسال بطرس إليه بالإنجيل ، حتى يخلص هو وأهل بيته (أعمال ١١ : ١٤) .

عدد ٨ : (**وأما الذين هم من أهل التحزب**) ، أو (أولئك الذين يحكمهم الطموح الذاتى) ، فهى تُعطى إنصافاً أكثر للمعنى الأساسى .. فى الأصل اليونانى . وأيا كان الأمر ، فإنه حتى فى القديم ، كان معناها يميل إلى أن يجعلها تتشابه مع الكلمة اليونانية التى تعنى (نزاع) .

عدد ١١ : (**لأن ليس عند الله محاباة**) : إن الله لا ينظر إلى الأشخاص فى ظاهرهم . إنه لا يقبل الوجوه (حرفيا يُرفع الوجه . إن النظر إلى الوجوه هو بعينه المحاباة أو التحيز) (قارن تثنيه ١٠ : ١٧ ، أى ١٩ : ٧ ، أيوب ٣٤ : ١٩ ، أعمال ١٠ : ٣٤ ، غل ٢ : ٦ ، أف ٦ : ٩ ، كو ٣ : ٢٥ ، ١ بط ١ : ١٧) . ولقد أعلن ربنا عن نفس الحقيقة عندما قال عن الآب الذى فى السماء : « فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين » (متى ٥ : ٤٥) .

عدد ١٢ : (**لأن كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك**) : إن الخطية عندما لا يكبح جماحها تؤدى إلى الهلاك من طريق أو آخر ، ولكن الأمم لن يدانوا بحسب الناموس ، ذلك أنه لم يكن الناموس فى متناول أيديهم . إن المبدأ الموضوع هو أن يدان البشر على ضوء ما هو متيسر لديهم ، وليس بحسب ما ليس عندهم .

عدد ١٣ : (**الذين يعملون بالناموس هم يبررّون**) : ربما كان فى ذهن بولس هنا ما جاء فى لاويين ١٨ : ٥ فتحفظوا فرائضى وأحكامى التى إذا فعلها الإنسان يحيا بها . وهو النص الكتابى الذى اقتبسه فى ما بعد فى رومية ١٠ : ٥ . إن سياق مناقشته يبين أنه بينما يمكن أن يبرر الإنسان إذا كان عاملاً بالناموس ، إلاَّ أنه طالما أنه لا أحد يمكن أن يكمل الناموس ، إذاً فليس هناك تبرير عن ذلك الطريق . إن المناقضة بين مجرد سماع الناموس والعمل به يتضح فى جلاء فى يعقوب ١ : ٢٢ — ٢٥ . وإننا لنجد تعبير (العاملون بالناموس) ، فى أدب قمران .

عدد ١٥ : (**الذين يُظهرون عمل الناموس مكتوباً فى قلوبهم**) : مماثلة لفظية مع نبوة (الميثاق الجديد) فى إرميا ٣١ : ٣٣ ، وذلك على الرغم من أن بولس لم يكن يفكر هنا فى هذا الميثاق الجديد .

(شاهداً أيضاً ضميرهم) : إن كلمة ضمير لم تكن كلمة متداولة فى اليونانية الكلاسيكية . إنها تنتمى إلى اللغة العامية الدارجة ، والتى لم تصر لها مكانتها الأدبية إلا قبل بداية العصر المسيحي بوقت قصير . إنها تعنى الشعور أو الإحساس بالصواب أو بالوقوع فى الخطأ ، إلا أن بولس يستعملها (وربما كان هو أول من استعملها على هذا النحو) . فى المعنى الدال على ذلك بالشاهد

الداخلى المستقل ، الذى يفحص كل شيء فى سلوك الإنسان ويحكم عليه . إن هذا الفحص لسلوك الإنسان المسيحى والحكم عليه ، هو بصفة خاصة امتحان دقيق للسلوك ، ذلك لاستنارة ضميره بالروح القدس (قارن رومية ٩ : ١) ، ولليهود (رومية ٢ : ١٧ ــ ٣ : ٨)

(١) الامتيازات تصاحبها المسئوليات (٢ : ١٧ ــ ٢٩)

يخاطب بولس بصراحة هذا الذى يخضع نفسه للقيم الأخلاقية بصفته يهوديا قائلاً : هوذا أنت تسمى يهودياً وهو ذلك الاسم الكريم ، وامتلاكك للناموس يملأك بالثقة ، وتفتخر بالله الحقيقى الذى تعبده والذى تعرف مشيئته ، وربما نجد فى هذه العبارة صدى فى سفر الحكمة (فإذا أخطأنا فنحن فى يدك ، وقد علمنا قدرتك لكننا لا نختار الخطأ لعلمنا بأننا من خاصتك ، فإن معرفتك هى البر الكامل والعلم بقدرتك هو أصل الحياة الدائمة) (الحكمة ١٥ : ٢ و٣) . ويستمر بولس فى حديثه قائلاً : « وتعرف مشيئته وتميِّز أحسن الطرق وأفضلها متعلما ذلك من الناموس . وتعتبر نفسك أفضل تعليماً من الجماعات الأقل منك مرتبة ، والذين ليس لديهم الناموس ، وتثق أنك قائد للعميان ومرشد للجهال .

ولكن لماذا لا تنظر نظرة أمينة إلى نفسك ؟ هل تظن أنه ليس فيك أية نقائص ؟

أنت تعرف الناموس ، ولكن هل تحفظه ؟ أنت تقول : « لا تسرق » لكن الا تسرق أبداً ؟

أنت تقول : « لا تزنى » ولكن ألا تكسر تلك الوصية أبداً ؟ أنت تكره الأصنام وتمقتها ، أتمتنع عن سرقة الهياكل ؟ أنت تفتخر بالناموس ، ولكن الحقيقة أنك بمخالفتك ومعصيتك للناموس فإنك تهين نفسك وتهين الله الذى تعبده لأن اسم الله يجدَّف عليه بسببكم بين الأمم .

إن كونك يهوديا لن يعطيك صلاحا فى نظر الرب ما لم تحفظ الناموس ، وتعمل بموجبه . إن اليهودى الذى يتعدى الناموس ليس أفضل حالاً من الأممى . وعلى العكس تماماً ، فإن الأممى الذى يعمل وفق متطلبات الناموس

يكون صالحا فى نظر الله ، شأنه فى ذلك شأن أى يهودى يثبت فى الناموس ، بل إن الأممى الذى يحفظ الناموس سيدين اليهودى الذى يتعدى الناموس ، بغض النظر عن مدى تمكن اليهودى فى معرفة الكتب المقدسة ، وعن ختانه حسب الناموس . وإنك لترى أن المسألة ليست فى النسب الطبيعى ولا فى الختان الظاهر فى اللحم .

إن كلمة يهودى تعنى (المدح) ، واليهودى الحقيقى هو الذى تجعله حياته يستحق المدح بحسب معايير الله ، وهو الإنسان ذو القلب النقى الطاهر فى نظر الله ، الذى ختانه هو الختان الخفى للقلب بالروح . وأقول إن اليهودى الحقيقى هو الرجل الذى يستحق المدح عن جدارة واستحقاق ، وليس مدحه حسب إطراء البشر ، وتمجيدهم له ، وإنما حسب استحسان الله .

عدد ١٧ : (**هوذا أنت تدعى يهوديا**) : إن كلمة (هوذا) .. يفضل أن تكون (لكنك إذاً) .

عدد ١٨ : (**تعرف مشيئته**) : وحرفيا (تعرف المشيئة : فإن (مشيئة الله) هى (المشيئة) على وجه الإطلاق . فإن المكابيين الأول ٣ : ٦٠ (كما تكون مشيئة فى السما ، فليصنع بنا) .

(وتوافق على الأمور المتميزة) . إن الكلمة اليونانية المستخدمة تعنى فى المقام الأول « الأمور المتخالفة » ، كما تعنى أيضاً الأمور التى تختلف عن سواها وتتمايز عنها وتفضلها بمعنى الأمور المتميزة ، تفضل بعض التراجم المعنى الثانى ، وغيرها تفضل المعنى الأول ، وتميز الأمور المتخالفة أخلاقياً . وتظهر نفس العبارة فى فيلبى ١ : ١٠ (تميزوا الأمور المتخالفة) أو (وهكذا تعطيك موهبة التمييز الصحيح) .

عدد ٢٠ : (**لك صورة العلم والحق**) : أى صياغة وتجسيد العلم والحق .

عدد ٢٢ : (**أتسرق الهياكل ؟**) : أتدنس المقدسات ؟ ربما كان من الصعب علينا الوقوف على ما كان فى ذهن بولس والذى يريد أن يقوله ، وربما يشير هنا إلى حادثة مشينة مثل تلك التى مرت أحداثها سنة ١٩ ميلادية والتى رواها المؤرخ اليهودى يوسيفوس فى كتابه (الآثار) ، حينما قام أربعة من يهود

روما يتزعمهم فرد ادعى أنه يُعلِّم العقيدة اليهودية للمهتمين بها من الأمم ، بإغراء سيدة شريفة اعتنقت الديانة اليهودية على أن تقدم عطية سخية لهيكل أورشليم ، ولكنهم استولوا عليها لمنفعتهم الشخصية . وعندما انكشف الأمر أصدر الإمبراطور طيباريوس أمره بطرد اليهود المقيمين فى روما . إن حادثة مثل هذه جلبت العار والإهانة على الاسم المكرَّم لليهود بين الأمم .

عدد ٢٤ : (لأن اسم الله يجدَّف عليه بسببكم بين الأمم كما هو مكتوب) : هنا الإشارة إلى إشعياء ٥٢ : ٥ (ودائما كل يوم اسمى يهان) .

إن المأزق المحزن لليهود فى السبى جعل الأمم يستخفون بإلههم ، ويستهزأون به ، ويتصورون أنه أصبح عاجزا عن مساعدة شعبه فى ورطتهم . والآن ليس الموضوع هو سوء حظ الشعب ، وإنما هو سلوكهم المخزى الذى جعل الأمم يصلون إلى مثل هذه النتيجة وهو أن إله مثل هذا الشعب لا يمكن أن يكون له أدنى اعتبار فى نظرهم ، أو أن يؤخذ فى الحسبان أن أعضاء جماعة قمران قد أنذروا بأن يكونوا على وعى ويقظة فى معاملاتهم مع الأمم « لكى لا يجدفوا على اسم الله » .

عدد ٢٥ : (فإن الختان ينفع حقاً إن عملت بالناموس) : (قارن غلاطية ٥ : ٣) (كل إنسان مختتن . ملتزم أن يعمل بكل الناموس) .

إن الختان الذى يمارس على اعتبار أنه من مستلزمات الناموس ، يضع الإنسان تحت مسئولية الالتزام بكل الأحكام الواردة فى الناموس ، ويستوى فى ذلك الدخلاء الذين اهتدوا إلى اليهودية فى أعمار متقدمة (وهم أولئك الذين كانوا فى ذهن بولس فى حديثه إلى الغلاطيين) ، أو بالنسبة لأبناء اليهود (وهم الذين فى فكره الآن) . ولكن حيث أن أولئك وهؤلاء ليس فى إمكانهم الحفاظ على كل الناموس ، بل إن القصور مؤكد ، فإن بولس يضيف إلى هذا قائلاً : ولكن إن كنت متعدياً للناموس فقد صار ختانك غرلة .

إن هذا الدرس قد علمه جزئيا إرميا النبى : « ها أيام تأتى يقول الرب وأعاقب كل مختون وأغلف . مصر ويهوذا وأدوم وبنى عمون وموآب وكل مقصوصى الشعر مستديراً الساكنين فى البرية لأن كل الأمم غلف وكل بيت إسرائيل غلف القلوب » (إرميا ٩ : ٢٥ و ٢٦) .

إن غالبية جيران إسرائيل كانوا يمارسون الختان (وكان الفلسطينيون استثناءً مشهوراً فى هذا المجال) ، ولكن ختان جيران إسرائيل لم يكن علامة على عهد الله معهم ، كما كان مقصوداً من طقس الختان بالنسبة للإسرائيليين . ولكن إذا كانت إسرائيل ويهوذا قد انفصلوا بقلوبهم عن الله ، فإن ختانهم الظاهر فى الجسد لا يكون فى نظر الله أفضل من ختان جيرانهم .

وفيما يتعلق بالممارسات الدينية ، فإنه لا يعد فى حالة انفضاضهم عن الله وابتعادهم عنه ختانا حقيقيا له قيمته . (قارن التثنية ١٠ : ١٦) (فاختتنوا غرلة قلوبكم ولا تصلّبوا رقابكم بعد) .

ويمضى بولس فى هذا المجال إلى أبعد مما ذهب إليه إرميا : إن الختان بُعد غرلة ما لم يصحبه ختان القلب ــ فقط ــ بل الغرلة تحسب ختاناً روحياً ، حين تصحبها ممارسة طاعة الله .

عدد ٢٧ : (لا تدينك الغرلة التى من الطبيعة إذا أنت لم تكمل الناموس ؟) : أو أن تكون الغرلة التى من الطبيعة ــ وهى تكمل الناموس ــ تدينك انت الذى فى الكتاب والختان تتعدى الناموس . أى أن قصور اليهودى (الذى لا يستحق هذا الاسم المكرم الذى دعى به . سيبدو ظاهراً متى قورن بالأممى الذى ليس له الميزات التى اختص بها اليهود ، ومع ذلك فهو محل رضى الله) .

عدد ٢٩ : (الذى مدحه ليس من الناس بل من الله) : لقد أخذ اليهود اسمهم من جدهم الأكبر يهوذا ، والذى يرتبط اسمه فى العهد القديم بالفعل (يحمد) (قارن كلمات أمه عند ميلاده) « الآن أنا أحمد الرب » (تكوين ٢٩ : ٣٥) . وبركة أبيه يعقوب له فى فراش الموت : « يهوذا إياك يحمد إخوتك » (تكوين ٤٩ : ٨) .

الأصحاح الثالث

(٢) الإجابة على الاعتراضات (رومية ٣ : ١ ــ ٨) :

يتصور بولس هنا شخصاً يقتحم عليه محاجته قائلاً : « والآن إذن ، إن كان اليهودى من قلبه هو الذى يعد يهودياً حقاً ، وإذا كان ختان القلب هو الذى يهم ، فهل هناك أية فائدة من الانتماء إلى الأمة اليهودية ، أو الاختتان فى اللحم ؟ .

وإننا لنتوقع أن تجىء إجابة بولس على مثل هذا السؤال المفترض . إجابة مطلقة صريحه (بالقطع لا) ولكن ، ولدهشتنا البالغة يجيب قائلاً : « كثير على كل وجه » .

بالطبع إنها لفائدة عظيمة أن تنتمي إلى الأمة اليهودية . فكِّر جيداً فى جميع الميزات التى أفاضها الله على تلك الأمة ــ وهى الامتيازات التى ليس للأمم الأخرى أدنى نصيب منها[1] . ولقد نكون مغالين إذا ما نحن طلبنا من بولس أو انتظرنا منه أن يتنكر لميراثه اليهودى ، وبصفة خاصة ذلك الذى وجده الآن فى الإنجيل والذى كرس حياته له وهو التحقيق الكامل للآمال التى انتظرتها أمته على مدى الأجيال والتى عاشت طويلاً متوقعه إنجازها .

ومن بين الامتيازات السلفية لإسرائيل والتى يعتبرها بولس فى المقام الأول من الأهمية حقيقة أنهم استؤمنوا على أقوال الله . حقاً إنه لفضل كبير لليهودى أن تستعلن له مشيئة الله وقصده . ولكن إذا كان هذا الأمر شرفاً عظيماً لهم ، إلا أنه جاء مصحوباً بالتزامات كبيرة فإذا ما ثبت أنهم غير أمناء على ما عهد به إليهم ، فإنهم يكونون فى هذه الحالة أسوأ من الأمم الذين لم يُعلن الله ذاته لهم ، وفى الحقيقة ، فإن إسرائيل لم تثبت أمانتهم لما عهد به إليهم من الله .

وقد يكون هذا الأمر هو الاعتراض الذى وُجِّه إلى بولس عندما كان يحاجهم قائلاً إنه لفضل عظيم ان ينتمى الفرد إلى الأمة التى تلقت أقوال الله واستؤمنت عليها . ولكن جاءت إجابة بولس أن عدم أمانة البشر لا يُبطل أمانة الله ، إن عدم أمانة البشر لله إنما يُبر بصراحة ووضوح أمانة الله : إن بره على الدوام إنما يثبت فى وجه انعدام بر البشر ، وإثمهم .

---

(١) وهناك قائمة أخرى بهذه الامتيازات فى رو ٩ : ٤ و ٥ .

وهناك اعتراض من آخر يعالجه بولس . فقد يقول أحدهم : إن كانت عدم أمانتى تجعل أمانة الله تبرز على نحو واضح صريح ، وإذا كان إثمى يُقيم بر الله على أساس راسخ ، فلماذا ينظر إلىّ كخاطىء ؟ إنه فى الحقيقة هو الذى يربح من وراء خطيتى ، فلماذا يعاقبنى على خطيتى ؟ يبدو مثل هذا الاعتراض جهالة وغباء فى نظر بولس ، حتى أنه يعتذر عن ذكره فى كلامه إليهم . إن الإجابة على مثل هذا الاعتراض بسيطة : إن الله هو الحاكم الأخلاقى على الكون وديان كل الأرض ، فكيف يمكنه أن يمارس الوظيفة التى لا تنفصل عن لاهوته إذا لم يوقع الجزاء على الخطية ؟ .

ومهما يكن الأمر فلا يزال المعترض المزعوم مصرّاً على اعتراضه ، ويكرر محاجته فى كلمات أخرى : إذا كان كذبى يثبت صدق الله ويجعله يتلألأ مقابل كذبى ، أفلا يزيد هذا من مجده ، فلماذا يصبُّر الله إذن على إدانتى كخاطىء ؟ إن الهدف فى النهاية هو مجد الله .

ولاشك فى صلاح هذا القصد ، فلماذا تكون الوسيلة — وهى خطيتى — تُعد خاطئة ؟ إن الغاية فى هذه الحالة تبرر الوسيلة ؟

وهنا يقول بولس : الواقع إن هذا بالتأكيد ما يقوله بعض البشر عما يصل إليه إنجيلى ، إلا أن اتهامهم ليس افتراء فقط ، بل إنه يحمل فى طياته إدانته لنفسه لما يحويه من تعبيرات تناقض بعضها بعضاً . إن إنجيل التبرير بالإيمان ، بصرف النظر عن (أعمال البر) ، كان على الدوام سبباً فى ظهور مثل هذه الاعتراضات ، إلا أن هذا النقد تدحضه بقوة حقيقة أن نفس الإنجيل يصر بما لا يقبل جدلاً أو نقاشاً ان (ثمار البر) تجىء تالية للتبرير .

عدد ٤ : (**ليكن الله صادقا وكل إنسان كاذباً**) : ربما يكون الجزء الثانى من الجملة صدى للصيحة العالية اليائسة لصاحب المزامير : (كل إنسان كاذب) (مز ١١٦ : ١١) ، أو يقول بولس : (ليكن كل إنسان متهما بالكذب أفضل من أن نطعن فى صدق الله) ؛ (لكى تتبرر فى كلامك وتغلب متى حوكمت) ، أى لكى تتبرر متى تكملت ، ولكن تكسب القضية متى دخلت فى المحاكمة ؛ (يجب أن يؤخذ الفعل اليونانى فى صيغته الوسطى ، وليس فى صيغه المبنى للمجهول) . إن الاقتباس هنا من المزمور ٥١ : ٤ حيث المعنى فى النسخة الماسورية MT هو ببساطة (فى قضائك) (لكى تتبرر فى

حكمك ولكى تكون بلا عيب فى قضائك) .

عدد ٨ : (لنفعل السيئات لكى تأتى الخيرات) : من اليسير علينا أن نرى كيف يخشى بولس أن يساء تفسير الإنجيل ، لو جاء تعليمه على هذا النحو . إن هؤلاء سواء كانوا يهوداً أو مسيحيين ممن ينظرون إلى الديانة كموضوع ناموس (أيا كان تفسير الناموس عقليا) ، لا يمكن إلا أن يصل إلى استنتاج أن عقيدة التبرير « بصرف النظر عن أعمال الناموس » إنما يقوِّض الأساس الذى يقوم عليه اقتراب الإنسان من الله ، وبالتالى يقوض أساس الديانة والعبادة الأخلاقية .

وقواعد السلوك الخاصة به والانسجام مع المثل الأخلاقية العليا .

(الذين دينونتهم عادلة) : هذه العبارة إما تعنى أن إدانة مثل هؤلاء البشر ليس هو بالتأكيد أمراً غير عادل ، وإما أن مثل هذه المحاجة قد أدينت باستحقاق تماما : (كما يقول بهذا الرأى ج ب . فيلبس) . إن الضمير الموصول المترجم (الذين) يمكن أن يشير إلى هؤلاء البشر الذين يقولون مثل هذه الأمور . ولأجل معرفة الجواب الصحيح على الاتهام انظر الأصحاح ٦ : ٢ ــ ٤ . أما بالنسبة للكلمة (دينونة) ، انظر الملاحظات على الأصحاح ١٣ : ٢ ؛ ١٤ :٢٣ .

د : كل البشرية تحت الخطية (٣ : ٩ ــ ٢٠) :

(فماذا إذاً) ، ويستمر المحاور فى محاجته ويقول : (لقد قلتم إنه لفضل أن ينتسب إلى الأمة اليهودية . ألا يستتبع هذا أن نكون أعلى منزلة ومقاماً من الأمم الذين ليست لهم الامتيازات التى لنا ؟) (كلا البتة) ، يقول بولس : (قد نكون قد نلنا امتيازات عظيمة ، ولكننا فى الحقيقة لسنا أفضل منهم على أية حال . بالتأكيد إنهم قد وقعوا فى الخطية ، ولكننا نحن أيضاً تحت الخطية مثلهم تماما . إن كل البشر يهوداً وأمماً ، هم جميعاً تحت الخطية وأمام عصا تأديب الله . وهذا ما تلخصه تماماً كلمات الكتاب المقدس . وهنا يورد بولس سلسلة من ست مقتطفات من العهد القديم يلخص فيها الخطية العامة للبشر أجمعين ، وتأتى هذه السلسلة لتحسم نهائيا هذا الأمر الذى سبق له أن أرساه فى براهينه المتنوعة . ولو أننا تفحصنا هذه الاقتباسات واحدة فواحدة . فمن الضرورى أن نقيم علاقة سببية أو منطقية بينها وبين قرائنها التاريخية ، فإن

فإن للبعض على الأقل مدلول خاص أكثر من كونها شاهداً عاماً .

ولكن الصورة العامة التى تعرضها هنا تتمم الموضوع الذى كان بولس قد أخذ فى إرساء قواعده ، ولو فرض أن بولس قد صادف اعتراضا على استخدامه لهذه الاقتباسات والمقتطفات ، فإن الاعتراض لن يكون بسبب انتزاعه إياها من قرائنها التاريخية ، بل لكون هذه المقتطفات إنه يشير إلى الأمم الأشرار فحسب ، وليس إلى إسرائيل . إلا أن بولس يرد عليهم بقوله : « إن هذه المقتطفات قد أخذت من الأسفار المقدسة اليهودية . ومن ثم فهى تخص فى المقام الأول الشعب اليهودى الذى كان فى مجال حديثها » . ذلك أن المكتوب فى الناموس (وهو يعنى هنا الكتاب المقدس العبرانى بأجمعه) ، ينطبق بطبيعة الحال على شعب الناموس . إن الناموس يكشف عن خطية البشر ، ولكنه لا يعمل شيئا من أجل علاجها . وعلى هذا ، فإن اليهود مثل الأمم ، عليهم أن يقروا بإفلاسهم الأخلاق . وإذا كان هناك رجاء لأى جماعة بين الجماعتين ، فإنما هو كائن فحسب فى رحمة الله ، وليس فى أية دعاوى يحاول البشر أو الأمم إرساءها على الله . ولأن البشر أجمعين تحت الخطية ، فلقد أغلق الطريق للرضى الإلهى عنا بسبب أعمال برنا ـــ وقد جاء التعبير عن هذا الإنذار : لا طريق من هنا .

عدد ٩ : (كلا البتة) هناك تعارض بديهى بين إجابة بولس هنا . هل نحن (اليهود) أفضل منهم (الأمم) ؟ مع إجابته فى الآية الثانية : إذاً ما هو فضل اليهودى ؟ « كثير على كل وجه » .

لكن (كثير على كل وجه) تشير إلى الامتيازات التى يتمتع بها اليهود كالأمة المختارة . أما تعبير : (كلا البتة) فيصف موقفهم أمام الله . فسواء وجدت الامتيازات أم لم توجد ، ليس هناك اختلاف فى موقفهم أمام الله ، فالكل على السواء فى أمسّ الحاجة إلى نعمة الله .

أعداد ١٠ ـــ ١٢ : (ليس بار ولا واحد .. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد) : مقتبسة من المزمور ١٤ : ١ج و ٢ ب ـــ ٣ (تكررت فى المزمور ٥٣ : ١ج و ٢ ب ـــ ٣) .

عدد ١٣ : (حنجرتهم قبر مفتوح . بألسنتهم قد مكروا) : مقتبسة من مز ٥ : ٩ . (سم الأصلال تحت شفاههم) : مقتبسة من المزمور ١٤٠ : ٣ .

عدد ١٤ : (فمهم مملوء لعنة ومرارة) : مقتبسة من المزمور ١٠ : ٧ .

أعداد ١٥ ــ ١٧ : (أرجلهم سريعة إلى سفك الدم . طريق السلام لم يعرفوه) : مقتبسة من إشعياء ٥٩ : ٧و٨ .

عدد ١٨ : (ليس خوف الله قدام عيونهم) : مقتبسة من مزمور ٣٦ : ١ .

عدد ١٩ : (كل ما يقوله الناموس) : إن الإشارة هنا إلى الشواهد التى أسلفت ، ولكن حيث أن هذه الشواهد كلها لم تقتبس من الناموس بمعناه الحرفى المحدد .

(أسفار موسى الخمسة ، إذ أن جميعها أخذت من المزامير ، باستثناء واحد ، يجيء من إشعياء . فعلى هذا يكون معنى « الناموس » هنا الأسفار المقدسة العبرانية بوجه عام . انظر ص ٨٥ .

عدد ٢٠ : (لأنه بأعمال الناموس كل ذى جسد لا يتبرر أمامه) : هذا اقتباس صريح وتوسيع لما جاء فى المزمور ١٤٣ : ٢ (لا تدخل فى المحاكمة مع عبدك فإنه لن يتبرر قدامك حى) (قارن المزمور ٥١ : ٤ المقتبس فى الآية الرابعة التى أسلفت) ؛ ذلك لأنه قدام عينيك لن يتبرر أى حى . قارن غلاطية ٢ : ١٦ (الإنسان لن يتبرر بأعمال الناموس) ؛ ٣ : ١١ (ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله) . ويضيف بولس السبب فى كون لا أحد يمكن أن يتبرر أمام الله ، بأعمال الناموس ، ذلك أنه (بالناموس معرفة الخطية) . وهو يكرر هذه النقطة ويوسعها فى (٥ : ٢٠ ، ٧ : ٧ وما يليها) .

ثالثا : طريق البر : تحقيق الاحتياج العام إلى البر (٣ : ٢١ ــ ٥ : ١) .

أ ــ تدبير الله السابق (٣ : ٢١ ــ ٣١) .

ولكن الآن قد فتح طريق جديد للقبول من الله ، وهو طريق مختلف بالكلية عن طريق طاعة الناموس . ومع ذلك فإنه ليس طريقا مشقوقا حديثاً بأسلوب

من ابتكارنا ، بل إنه الطريق الذى يحمل الشهادة الواضحة المسهبة عنه فى كتابات العهد القديم — فى الناموس والأنبياء . إنه طريق الإيمان بيسوع المسيح ، وسيبقى هذا الطريق مفتوحا أمام كل الذين يؤمنون به ، يهوداً وأمماً على السواء .

ولقد رأينا فيما سبق أنه ليس هناك فرق بين هذين القسمين من الجنس البشرى ، حيث أن كلا من اليهود والأمم قد أخطأوا وأعوزهم مجد الله ، وهو الغاية الحقيقية التى من أجلها خلقهم الله . ولكن بهذا الطريق الحديث أصبح كلا من اليهود والأمم فى علاقة سليمة مع الله ، ولديهم الضمان للقبول منه وأن يحصلوا على غفران الخطايا المجانى . إنهم يحصلون عليها تلقائيا بنعمته المطلقة ، يحصلون عليها بسبب العمل الفدائى الذى أنجزه المسيح . إنه المسيح الذى أقامه الله أمام أعيننا كالواحد الذى بذبيحته على الصليب وموته ، قد كفّر عن خطايانا ، ومحا الجزاء الذى كان مصلطا فوق رؤوسنا والذى كنا مستهدفين له بسبب تمردنا على الله . وعن طريق التدبير الذى أنجزه المسيح من أجلنا سيكون فى مقدورنا أن نناله لأنفسنا بالإيمان . وعليه فإن هذا هو الطريق الذى أظهر به الله بره . لقد أثبت حقيقة ذاته ، وفى نفس الوقت أسبغ على الخطاة وضع البر .

وهذا يبين لنا لماذا كان فى مقدور الله فى أناته فى تعامله مع البشر ، أن يتغاضى عن الخطايا التى اقترفوها قبل مجىء المسيح ، فبدلاً من أن يوقع عليهم العقاب الكامل، يبين لهم رحمته فى انتظار إظهار بره فى الزمان الحاضر . وهذا الإظهار لبره يرينا كيف يبقى الله كامل البر فى ذاته بينما هو يغفر خطايا أولئك الذين يؤمنون بيسوع ويجعلهم فى الوضع السليم أمام سلطان دينونته . وإذا كان الأمر كذلك ، فمن الذى له الحق فى أن يفتخر ؟ لقد مضى وانتفى كل أساس للافتخار بالبر الذاتى ، ليس بناموس الأعمال وإنما بمقتضى مبدأ الإيمان ، وحيث أن كلاً من اليهود والأمم يتبررون بنعمة الله وليس عن طريق الاستحقاق الذاتى فليس فى مقدور أحد أن يقول : (لقد حققت هذا الأمر بمجهودى الذاتى) . أما ختام محاجة بولس فهو أن الإنسان يتصالح مع الله بالإيمان ، وبصرف النظر تماما عن الأعمال التى يفرضها الناموس . فلو كان القبول من الله يمكن الحصول عليه عن طريق الناموس اليهودى فقط ، حينئذ يكون الله بمعنى خاص هو إله اليهود . ولكن الله هو إله الأمم ، كما هو اله اليهود ، ذلك

أنه بالإنجيل قد فتح طريق واحد وليس هناك سواه للبر أمام كل من اليهود والأمم على حد سواء . إنه يقبل اليهود بمقتضى إيمانهم ، ولسوف يقبل الأمم أيضا على نفس الأساس .

كان تقسيم الجنس البشرى إلى يهود وأمم ، هو التقسيم الأساسى فى نظر بولس . لقد كان هو نفسه يهودياً بالمولد ، وأيضاً بحكم تنشئته ، وقد تعلم أن ينظر إلى غير اليهود على أنهم خطاة جهلاء ، تعوزهم معرفة ناموس الله ، والذى عن طريقه فحسب يكون فى مقدورهم أن يكونوا مرضيين ومقبولين قدام الله . ومن المؤكد أن شقة الخلاف القائمة بين اليهود والأمم كان من المستحيل تخطيها فى العالم القديم ، وهناك فى عالم اليوم ثمة خلافات أخرى تبدو لنا أكبر حجما مثل فوارق الجنس والقومية والطبيعية واللون ، وهى تفرقة عتيدة متمردة على كافة الأوضاع ، وتسبب العديد من المشكلات التى تفوق فى خطورتها التفرقة التى كانت قائمة قديما بين اليهود والأمم . ولكن محاجة بولس مازال لها ما يؤيدها فى ضوء الانشقاقات المعاصرة ، بنفس القدر الذى كان لها من مواجهة أولئك الذين كانوا يعيشون فى أيامه . إنه يقول ليس هناك فرق بين الشرق والغرب ، ولا بين الأبيض والأسود ، لأن الجميع فى حاجة حقيقية إلى رحمة الله المجانية ، وجميعهم سينالون رحمة الله على قدم المساواة .

ولقد كتب الشاعر الرومانى (هوداس) بعض الأبيات لتكون مرشداً لكتاب التراجيديا فى عصره ، منتقداً أولئك الذين يلجأون إلى الحلول الآلية لعلاج المشاكل المعقدة والتى تتكشف من خلال مجريات حبكة المأساة . ويقول : لا تجىء بالإله إلى المسرح ، ما لم تكن المشكلة من ذلك النوع الذى يستحق إلها لكى يتدخل لحلها .

لقد أخذ لوثر هذه الكلمات وطبقها على غفران الخطايا ، فقال : (هنا مشكلة تحتاج إلى الله لحلها ، حقاً لأن الإنسان الخاطىء لا يستطيع حلها ، على الرغم من أنه شديد الحاجة إلى حل لها . إنها مشكلته ، وإنه هو الذى يريد أن تغفر له خطيته) . وما يقوله لنا بولس هنا إن المشكلة قد حلّتها نعمة الله بجدارة حيث قدمت المسيح كالحل والوسيلة للغفران ، والضامن لقبولنا ، وكل ما هو مطلوب من الإنسان الخاطىء هو أن يتقبل بالإيمان ما دبرته النعمة الإلهية .

وأيا كان الأمر فلربما يسأل سائل ما إذا كان ناموس الله قد أُبطل بمقتضى مبدأ الإيمان هذا . هنا يقول بولس : « حاشا بل بمقتضى مبدأ الإيمان هذا تثبت الناموس ، إن الخطية قد أدينت ، وتثبت البر ، واكتمل تحقيق ما جاء فى أسفار العهد القديم . وهذا هو ما سنتقدم إلى عرضه الآن .

عدد ٢١ : (بر الله) : طريق الله للبر أو التبرير .

عدد ٢٢ : (بإيمان يسوع المسيح) : أى (بالإيمان بيسوع المسيح) . وبذلك تكون حالة المضاف إليه مفعولا مجروراً . (إلى كلّ وعلى كلّ الذين يؤمنون) : إن النص الأكثر تحقيقا يلغى (على كل) (لأنه لا فرق) . وكما أنه ليس هناك أى تمييز هنا بين اليهود والأمم (أو بين أية نوعية أخرى من الجنس البشرى) من حيث الخطية ، وهكذا الأمر فى رومية ١٠ : ١٢ — لأنه لا فرق بينهم من حيث رحمة الله .

عدد ٢٣ : (إذ الجميع أخطأوا) : الكلمتان : الجميع أخطأوا — متماثلتان مع تلك التى فى ختام رومية ٥ : ١٢ . ولكن حيث توحى القرينة بأن الإشارة هناك إلى اشتراك الجميع فى عصيان الإنسان الأول ، فإن العبارة هنا تشير إلى حقيقة أن كل البشر كأفراد قد أخطأوا .

(وأعوزهم مجد الله) : إن التفسير التقليدى لما جاء فى إشعياء ٤٣ : ٧ — لمجدى خلقته ، والتى قيلت فى القرينة عن كل من دُعى باسمى . ينطبق على كل البشرية بوجه عام . فعن طريق الخطية أظهر الإنسان قصوره عن الوصول إلى المثل الأعلى الذى وضعه الله له عندما خلقه ، وأتى به إلى هذا العالم . قارن رومية ٥ : ٢ .

عدد ٢٤ : (متبررين مجاناً بنعمته) : كان أمل بولس ورجاؤه قبل أن يصبح مسيحياً : أنه بفضل تدقيقه فى الحفاظ على ناموس الله ، فإن الله سيعلنه باراً عندما يقف أمام كرسى دينونته . أما هنا حيث يتم التبرير بصرف النظر عن الناموس ، فقد انقلب الوضع : إن الله يعلن بر الإنسان فى البداية ، وليس فى النهاية . وإذا كان الله يعلن بر الإنسان فى بداية الأمر ، فإن هذا الإعلان لا يمكن أن يكون قائماً على أساس الأعمال التى لم يكن بعد قد قام بها . إن مثل هذا التبرير هو على العكس (عمل مجانى لنعمة الله حيث يغفر لنا جميع خطايانا ، ويقبلنا كأبرار قدامه) . (قانون إيمان وستمنستر الأقصر) .

وعندما يصل الأمر إلى موضوع قبول الله لنا ، فليس هناك ما يدخل الرضى والسرور على نفوسنا أكثر من أن يعلم الفرد أنه تبرر مجاناً بنعمته . وبدلا من أن يضع رجاءه فى أن يتبرر بأعمال الناموس . ففى الحالة الأخيرة ، لن أكون مقتنعا تماما بأننى قد وصلت إلى الدرجة التى تجعلنى أهلاً للحصول على الرضا والقبول الإلهى . وحتى إذا استطعت أن أبذل قصارى جهدى (والمشكلة تكمن فى أننى لا أفعل ذلك على الدوام) .. فكيف يتسنى لى التأكد من أن أقصى ما بذلته من جهد يصل إلى مدى قريب مما يتناسب مع متطلبات الله ؟ إننى أستطيع أن أرجو ذلك وآمله ، ولكنى لست موقنا من تحقيق الأمل . ولكن إذا كان الله من منطلق نعمته وحدها يضمن قبوله لى مسبقاً ، وأتقبل أنا بسرور هذا الضمان حينئذ فإنى أمضى لتحقيق مشيئته بدون أن يعترينى القلق عما إذا كنت أفعل ما يليق من عدمه . ففى الحقيقة ، فإننى سأكون حتى النهاية (العبد البطّال) .

ولكننى أعلم بمن آمنت

(إنه يمتلكنى كابن له

ولا أستطيع بعد أن أخاف) .

إننا نجد فى (إشعياء ٤٠ ــ ٥٥) أن تخليص إسرائيل وإنقاذهم من السبى البابلى كان فى نظر الإسرائيليين هو (تبريرهم) . إنما بالرب « البر » و « القوة » (إش ٤٥ : ٢٤) . وقد تجلى بر الله وقوته فى تخليص شعبه : بالرب يتبرر ويفتخر كل نسل إسرائيل (إش ٤٥ : ٢٥) . هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندى يقول الرب (إش ٥٤ : ١٧) . ولماذا كان إنقاذهم وتخليصهم من السبى هو برهم ؟ ألم يكونوا مستحقين لعقابهم بالسبى ؟ نعم ، إن أورشليم قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها (إش ٤٠ : ٢) . ولكن نعمة الله المجانية خلّصتها وأنقذتها ، وكان خلاصها وإنقاذها مضاعفاً حيث قد ثبَّت انتصارها اسمه بين الأمم من جهة (إش ٤٢ : ١٣ ، ٤٨ : ٩ ــ ١١) . وكذلك خلاص شعبه من جهة أخرى (بالفداء الذى بيسوع المسيح) . الفداء هو عملية شراء العبد من العبودية من أجل عتقه وتحريره من إسارها . وهنا أيضاً دبرت معاملات الله الرحيمة لإسرائيل خلفية من العهد القديم للغة بولس . وسواء فكرنا فى افتداء الإسرائيليين من

عبودية المصريين لهم (خروج ١٥ : ١٣ ، مزمور ٧٧ : ١٥، ٧٨ : ٣٥) أو فى تحريرهم وإنقاذهم فى ما بعد السبى البابلى (إش ٤١ : ١٤ ، ٤٣ : ١) . إن نعمة الله التى تبرر أولئك الذين يؤمنون قد أظهرت بفاعلية فى عمل المسيح الفدائى [بينما كنت أتمشى هنا وهناك فى منزلى ، مثل رجل فى حالة حزن شديد أمسكت كلمة الله تلك بقلبى ، لقد تبررت مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح (رومية ٣ : ٢٤) . ولكن آه ، أى تحول قد أحدثته فىّ ! الآن كنت كواحد قد استيقظ من نومه المضطرب وحلمه مصيخا السمع إلى هذه العبارة السماوية ، كنت كما لو أننى قد سمعتها مفسرة لى على هذا النحو : أيها الخاطىء ، أنت تفكر أنه بسبب خطيتك ونقائصك الأخلاقية والسلوكية لا أقدر على أن أخلص نفسك (روحك) ، ولكن ها هوذا ابنى إلى جانبى ، وإليه أنظر ، وليس إليك ، وسوف أعاملك بحسب مسرتى به ورضائى عنه] (جون بنيان) .

عدد ٢٥ : (الذى قدمه الله كفّاره بالإيمان بدمه) : عند وضع علامة الترقيم (الذى قدمه الله كفارة ، بالإيمان ، بدمه) ، نجد أن العبارتين (بالإيمان) و (بدمه) هما عبارتان مستقلتان فى ذاتهما بمثابة إضافة بيانية لشرح كلمة (كفارة) . إن الكلمة الحاكمة الأساسية هى (الكفارة) hilasterion . وهذه يمكن أن تأخذها باعتبارها حالة المفعول به المذكر المفرد للصفة (التكفيرى) ، لتكون على وفاق مع الضمير (الذى) ، أو نأخذها على الاعتبار الأكثر ترجيحا كاسم ليس بالمذكر ولا بالمؤنث للكلمة اليونانية المستخدمة فى الترجمة السبعينية للدلالة على موضع الكفارة (عرش النعمة) ، أو (المكان الذى تمحى فيه الخطايا) .

إن الاستخدام الشائع للكلمة فى الترجمة السبعينية هو مثل مرادفه العبرى الذى ترجمته (الغطاء الذهبى) أو (عرش النعمة) ، والذى هو غطاء تابوت العهد فى قدس الأقداس .

و (هكذا ورد أكثر من عشرين مرة فى أسفار موسى الخمسة) . وقد استخدم فى حزقيال ٤٣ : ١٤ ــ ١٨ خمس مرات كترجمة الكلمة العبرانية (الرف) azarah وهو المحيط بيذخ المحرقة فى هيكل حزقيال أن الاسم اليونانى له صلة بالفعل الذى يعنى فى اليونانية الوثنية (يهدىء أو يسترضى) ،

أو يجعله لطيفاً شفوقا رحيما ، إلا أنه فى الترجمة السبعينية يأخذ معنى الفعل العبرانى (يعمل كفارة) ، وما يقاربها من المعانى الشقيقة ، والتى تتضمنه « عرش النعمة » أو المكان الذى يكفَّر فيه عن الخطايا ، أو الذى تمحى فيه . وهناك استثناء فى استخدام الفعل (يكفر) والاسم الذى ليس بالمذكر ولا بالمؤنث (كفارة) عند ترجمة هذه الكلمات اليونانية فى العهد الجديد ، على أساس أن هذه المصطلحات اللغوية فيها الأثر المباشر للترضية أو التهدئة .

ولكن إذا كان الاسم أو الفعل والكلمات المشتقة منها قد اكتسبت معنى جديداً من القرينة الكتابية ، فإننا ربما نتوقع من جراء الاستخدام الطويل للكلمات (يسترضى) و (كفارة) إلا أنهما قد اكتسبا بفضل ذلك معنى كتابيا بنفس الطريقة ، وعلى أية حال فإن سوء الفهم مستبعد تماما بإصرار بولس على أن (الله) وليس (الإنسان الخاطىء) هو الذى دبر هذه الكفارة . وينسب العهد القديم بطريقة مماثلة المبادرة فى هذا الموضوع إلى نعمة الله (لأن نفس الجسد هى فى الدم فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم ، لأن الدم يكفر عن النفس) (لاويين ١٧ : ١١) . إن فقرة مثل هذه من العهد القديم فيها تفسير ضمنى لاستخدام بولس لتعبير (بدمه) فى الآية التى بين أيدينا الآن وهى تبرر أيضاً ترجمتها إلى (موته كذبيحة) .

وعلى هذا فإن موت المسيح هو الوسيلة التى محا بها الله خطية شعبه — ليس رمزيا ، كما هو الحال بالنسبة للطقوس والشعائر التى جاءت فى اللاويين ١٦ والتى تصوِّر عرشِ النعمة المادى ، بل حقيقياً وواقعياً . وهو حقيقى وواقعى فى معنيين . لقد محيت الخطية ليس فحسب من ضمير المؤمن ، والتى كانت تمثل عبئاً ثقيلاً عليه لا يطاق احتماله ، بل لقد محيت تماما من محضر الله . وفى مقدورنا أن نقارن بين الطريقة التى ربط فيها كاتب الرسالة إلى العبرانيين ذبيحة المسيح بإتمام تحقيق نبوة إرميا عن الميثاق الجديد : « لأنى أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد » (عب ٨ : ١٢ مقتبسة من إرميا ٣١ : ٣٤) .

وما أن تتصف مبادرة النعمة الإلهية المتمثلة فى كفاية بذل المسيح لذاته ذبيحة وقرباناً لله ، لن يكون هناك مدعاة لأن نستبعد من معنى الكلمة اليونانية المترجمة تفادى الغضب الإلهى ، إذا ما كانت القرينة بيِّنة عليه وتؤكِّد عليه

كما هو الحال فى رومية ٣ : ٢٥ . لقد سبق لبولس أن قال فى (رومية ١ : ١٨) : « لأن غضب الله (الجزاء الإلهى) معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم » . والآن كيف يكون الطريق إلى محو الغضب الإلهى وإزالته عن البشرية ؟ إن الذبيحة الكفارية التى قدمها الله فى المسيح لم تمح فحسب فجور الناس وإثمهم ، ولكنها فى نفس الوقت جنبت البشرية غضب الله ومجازاته والذى هو النتيجة الحتمية لمثل هذه المواقف والأعمال فى عالم الأخلاق . وإجمالاً ، فإنه يبدو من الأفضل أن نأخذ الكلمة اليونانية hilasterion كاسم حقيقى يُلمِّح إلى (عرش النعمة) كالموضوع الذى كانت تعمل فيه الكفارة فى زمن العهد القديم ، قبل السبى البابلى .

ويقول المصلح الدينى (كالفن) إن بولس يعلمنا أنه فى المسيح قد أُظهر فى الحقيقة والواقع ما كان قد أُعطى رمزيا لليهود .

إن المقابلة بين الكفارة فى العهد القديم وبينها فى العهد الجديد قد أشير إليها فى هذه الكلمات : (الذى قدمه الله) . أما فى العهد القديم فقد كانت الكفارة تُعمل فى الخفاء من وراء الستار الذى كان يفصل ما بين قدس الأقداس وبين القدس الخارجى ، والذى لا يمكن لأى فرد أن يراه سوى رئيس الكهنة ، وفى اليوم السنوى للكفارة . ولكن فى المسيح لم يعد عرش النعمة محفوظاً فى العزلة المقدسة فى قدس الأقداس : لقد أُظهر على الملأ وسط عالم خشن عنيف متسم بقسوة غير مقيدة بنظام أو ضابط ، وقُدِّم على مرأى من جماهير معادية يملؤها الحقد والازدراء والامبالاة ؛ (ت . ر . مانسون) . إن عبارة (بالإيمان) توضح كيف يمكن الحصول على الفوائد الخلاصية لإنجيل الكفارة . أما العبارة المصاحبة لها (بدمه) فهى لا تعتمد على (الإيمان) ، وإنما هى تشير إلى موت المسيح ذبيحة وقربانا من أجل البشرية الخاطئة باعتباره الطريق الوحيد لتحقيق الكفارة عن خطايانا (قارن رومية ٥ : ٨و٩ لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا . فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب) .

وهكذا استخدم بولس فى كلامه لغة المحاكم (يُبرِّر) ، ولغة سوق العبيد (فدية) ، ولغة الهيكل (الغطاء) ليعطى عمل النعمة الإلهية فى المسيح قدرها الحقيقى وملؤها . إن الغفران والتحرير والتكفير ، كل هذا أصبح متاحاً

للبشرية بمبادرته المجانية ، ويمكن الحصول عليه بالإيمان . وعلى هذا يكون معنى الإيمان ليس نوعا من العمل الذى له صفة استحقاقية معينة قدام الله ، وإنما هو ذلك الموقف الذى نتقدم فيه إلى الله بقلب نقى طاهر يؤمن بكلمته ويتقبل شاكراً لنعمته .

عدد ٢٦ : (لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله) : بمعنى أن الله يريد إظهار أنه كان باراً فعلاً عندما صفح وتغاضى عن خطايانا التى اقترفناها فى أيامنا السالفة ، والتى أمهلنا خلالها طويلاً بصبره وطول أناته . إن الفداء الذى تممه المسيح كافٍ من ناحيتين : الأولى التى تنسحب على الماضى ، والأخرى تتصل بالمستقبل ، فهو من الناحية الأولى بمثابة الغطاء لجميع البشرية ــ الكفارة عن كل خطايانا على النحو الذى عبّر عنه فى ما بعد أحد كتبة العهد الجديد مستخدما كلمة من نفس الأسرة اللغوية وهى (كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا كل العالم أيضاً) (١ يو ٢ : ٢) . ويوصف بولس للأزمة السابقة على المسيح بأنها على أزمنة إمهال الله ، فإنه يمكن مقارنتها بإعلانه للأثينيين : (فالله الآن ... متغاضيا عن أزمنة الجهل) (أعمال ١٧ : ٣) .

وعلى الرغم من أن المشكلة الأخلاقية قد لا تبدو على نفس الدرجة من الوضوح بالنسبة للعقل المعاصر ، كما كانت عليه فى ذهن بولس ، إلا أن التغاضى عن أى خطأ يكون عملا ظالما من القاضى يتساوى مع إدانته للبرىء (أديان كل الأرض لا يجرى عدلاً ؟) .

(**لإظهار بره**) [عدله] (ويبرهن عن من هو من الإيمان بيسوع) إن فى تقديم المسيح لذاته ذبيحة وقرباناً عن خطايانا تثبيت لبر الله ، وفى نفس الوقت تبرير للخاطىء . إن المسيح يحتل مركزاً فريداً بوصفه ممثل الله بالنسبة للبشرية ، وممثل البشرية بالنسبة لله . وكممثل للبشرية استوعب الدينونة التى تستحقها خطايا البشرية ، وكممثل لله نقل للبشرية نعمته الغافرة لخطاياهم . إن عبارة (لإظهار بره) أو (التبرير) تعيد إلى أذهاننا إشعياء ٤٥ : ٢١ « إله بار ومخلص » . وزكريا ٩ « عادل ومنصور » .

عدد ٢٨ : (بدون أعمال الناموس) أى (بصرف النظر عن أعمال الناموس) . إن بولس لا يعنى أنه لا يتحتم علينا حفظ أعمال الناموس ..

ولكن حتى إذا حفظ إنسان أعمال الناموس جيداً ، فإنه لا يُحسب باراً أمام الله . إن بولس يسحب الأرض من تحت أقدام أولئك الذين يقولون : (إننى على الدوام لا أدخر جهداً فى أن أفعل أفضل ما فى استطاعتى .. إننى أحاول أن أحيا الحياة الوادعة .. إننى أدفع العشور من كل ما أكسبه ، فما هو الذى ينتظره الله أكثر من ذلك منى ؟) .

ويؤكد لوثر عبارة « بدون أعمال الناموس » بإضافة كلمة (فقط) (إن الإنسان ليصب انتقاداً عنيفا إلى لوثر بسبب هذه الإضافة إلى النص . إلا أنه لم يُعلق أهمية كبرى على مثل هذه الانتقادات والتى وصفها بأنها بمثابة جلبة مروعة لا داعى لها بسبب كلمة (فقط) ، والتى لم ترد فى نص كلام بولس ، وهذه الإضافة .. إلى كلمة الله « أمر لا يحتمل » .

ولكن كلمة « فقط » بالمعنى الذى قصده لوثر إنما هى خلاصة دقيقة للمعنى الذى قصده الرسول : إنه بالإيمان فقط ، وليس بأعمال الناموس ، أو بأى وسيلة أخرى من مبتكرات الخيال للتبرير ، يمكن أن يأخذ البشر وضعهم الشرعى البار الذى يهبه الله إياهم بنعمته . وعندما ندرك هذا الأمر ، فإنه يصبح فى إمكان البشر أن يعلموا أنه لم يعد هناك أساس للإفتخار الشخصى عندما يتأملون فى طريق خلاصهم : إنه عن طريق نعمة الله فقط ، وبالإيمان فقط ليكون المجد لله وحده . ومع ذلك فبينما يتبرر البشر بالإيمان فقط ، حسب هذا المعنى ، إلا أن الإيمان الذى يبررهم لا يقف منفرداً ، إنه كما يقول بولس فى غلاطية ٥ : ٦ (الإيمان العامل بالمحبة) — ويصف لنا بولس الطريق الذى يعمل من خلاله الإيمان بتفصيل دقيق فى الأصحاحات ١٢ — ١٥ من هذه الرسالة . إلا هذا الأمر الذى ينتمى إلى مرحلة متأخرة من محاجته ، أما هنا فإن الأمر الهام الذى يؤكده هو أنه بالإيمان ، وليس بما يعمله الإنسان يتبرر الإنسان بنعمة الله .

عدد ٣١ : (بل نثبت الناموس) (لو كان بولس يُعبر عن رأيه باللغة العبرانية ، فإنه كان ولابد أن يستخدم الفعل **gigyem** ، وهو الفعل الذى تكرر استخدامه فى جزم وتوكيد الربيِّين على إتمام ابراهيم للناموس ؛ وربما كان هناك نوع من التوكيد فى ذهن بولس ، ومن هنا مضى فى محاجّته إلى القول بأن إبراهيم قد أكمل الناموس وتمّمه فعلاً أو « ثبّت الناموس » ولكن بحسب شهادة الأسفار المقدسة ثبّته بأن منحه الله موهبة البر بالإيمان .

الأصحاح الرابع

ب ــ سابقة من العهد القديم (٤ : ١ ــ ٢٥)

لقد سبق أن قال بولس إن « بر الله بصرف النظر عن الناموس مشهود له من الناموس والأنبياء » ــ أى بالعهد القديم . وهذا هو ما يجب أن نعرض له الآن ، وهنا يأخذ بولس الآن فى عرضه ــ وقبل كل شيء ــ من قصة إبراهيم ، مع إلقاء نظرة جانبية على تجربة واختبار داود . وليس هناك من واقع رواية العهد القديم عن بر رجاله من يبزُّ إبراهيم فى هذا المجال .. « إبراهيم خليلى » كما دعاه الله فى إشعياء ٤١ : ٨ . إن شهادة الله الخاصة لإبراهيم قد رويت فى التكوين ٢٦ : ٥ .. من أجل أن إبراهيم سمع لقولى وحفظ ما يحفظ لى أوامرى وفرائضى وشرائعى . إذاً ماذا عن إبراهيم ؟ إذا كانت أعمال الإنسان هى ما تبرر الإنسان أمام الله ــ فإنه يكون قد توافرت لإبراهيم فرصة أفضل مما لمعظمهم ــ ومن ثم يتحتم أن يكون مستحقا أن يكون له بعض الفضل فى أن يغدق عليه هذا اللقب . ولكن ليس هذا هو طريق الله . إن طريق الله قد أشير إليه بوضوح فى رواية التكوين ١٥ : ٦ حينما جاء الوعد الإلهى لإبراهيم ، على الرغم من استحالة تحقيقه على الإطلاق بكل الاعتبارات الطبيعية : فآمن بالرب فحسب له براً . ولقد سبق لبولس أن اتخذ من هذه العبارة أساسا لمحاجته عن الناحية الإنسانية لكنائس غلاطية ، عندما وجد أنهم أصبحوا ميالين إلى التخلى عن مبدأ الإيمان الذى كرز بهم لهم والانصراف إلى مبدأ البر بأعمال الناموس . والآن نجد أن بولس يجعل من محاجته هذه جزءاً أساسياً من عرضه للاهوته التنظيمى الأكثر إسهابا لمبدأ الإيمان .

إن سير إبراهيم مع الله ــ الذى تقبَّل سيرته البارة معه ــ لم تقم على أساس أعماله ، رغم صلاحها فى ذاتها . إن محاجة بولس لم تكن فى أساسها نصوصاً كتابية وأقوالاً شفاهية تستند فحسب على اقتباسه من التكوين ١٥ : ٦ مفضلاً إياها على غيرها من النصوص الكتابية فى أصحاحات سفر التكوين والتى لابد من تضمنها لشواهد فى الاتجاه الآخر ، إن أعمال إبراهيم الصالحة ، وطاعته للوصايا الإلهية كانت ثمرة إيمانه الوطيد الراسخ بالله والذى لا يتطرق إليه الشك ، فما لم يكن إبراهيم قد آمن أولاًبالوعود الإلهية ، فإنه ما كان يمكنه

أن يسير فى حياته على ضوء ما عرفه عن إرادة الله . والواقع إن الله عندما أعطى إبراهيم الوعد (وهو الوعد الذى ارتبط الإنجيل بكامله بتحقيقه على النحو الذى تم فعلاً) . فإن ابراهيم آمن ببساطة بكلمة الله وتصرف على ضوئها .

مضى بولس فى حديثه قائلاً : والآن لاحظ الفرق . عندما يعمل الإنسان بقصد الحصول على مكافأته ، تكون هذه المكافأة هى الأجر الذى استحقه ، أما إذا توكل على الله ، فإنه بالنعمة الإلهية المطلقة يحسب له إيمانه براً .

إن إبراهيم لم يكن هو الحالة الفريدة لمبدأ التبرير بالإيمان ، إذ أن هناك مثالاً آخر من العهد القديم هو الآن فى متناول أيدينا ، فى حالة الملك داود . ويقتبس بولس الآن الآيات الافتتاحية من المزمور ٣٢ والتى فيها يهتف صاحب المزامير فى فرحة غامرة واضحة لما تأكد من غفران الله لخطاياه :

طوبى للذى غفر إثمه وسترت خطيته !

طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية !

هنا والآن ، أمامنا مثال آخر واضح لرجل قد نال من الله المغفرة المجانية لخطيته ، وسترت خطيته ، وأعلن أنه بلا خطية أمام محكمة العدل الإلهى . وإذا ما نحن فحصنا بقية المزمور لنكتشف الأساس الذى بنيت عليه تبرئته ، فإنها تظهر لنا ببساطة أنه قد أقرّ بإثمه وألقى بنفسه بالإيمان فى رحاب رحمة الله .

ولو أننا رجعنا مرة أخرى إلى إبراهيم ، فإن سؤالاً عصيباً آخر يطرح نفسه أمامنا . ما هى العلاقة ــ إن كانت هناك ثمة علاقة ــ بين تبرير إبراهيم بالإيمان وطقس الختان ؟ إن هذا الأمر بالنسبة لليهودى أمر بالغ الأهمية : ذلك أن الختان كان العلامة الخارجية المرئية لعهد الله مع إبراهيم . ولم يكن من حق غير المختتن أن يكون له نصيب فى العهد ، وكان الختان هو الوسيلة التى عن طريقها يحق لليهود أو الدخلاء المتهودين من الأمم التمتع بكافة الامتيازات ، فى حين يقطع من المجتمع اليهودى أولئك الذين بإرادتهم يمجدون الوصايا الإلهية ، ومن ثم يفرزون عن شعب العهد ويفصلون عنهم .

وهنا قد يعن لنا قيام أحد اليهود بالرد على محاجة بولس قائلاً : « لو سلمنا

جدلاً بأن إيمان إبراهيم بالله قد حسب له براً ، فإن معنى هذا ، أن هذا المبدأ ينطبق فقط على إبراهيم ونسله المختتنين » . إلا أنه كان لدى بولس الإجابة الجاهزة على هذا التساؤل . ماذا كانت حالة إبراهيم عندما تبرر بالإيمان ؟ هل كان فى الختان أم فى الغرلة ؟

إن عهد الختان لم يُعط إلا فى مرحلة متأخرة من حياة إبراهيم (التكوين ١٧ : ١٠ — ١٢) وعلى الأقل بعد ١٤ سنة من إيمانه بالله الذى حسب له برا بحسب التقويم التاريخى لسفر التكوين . وعندما اختتن إبراهيم فى آخر الأمر كان ختانه ختما ظاهريا لحالة البر التى كان الله قد أسبغها عليه قبل ذلك بزمن طويل ، بفضل إيمانه . ومن الواضح تماماً أن الإيمان هو الذى تطلَّبه الله من إبراهيم وليس الختان . وهنا يكون الرجاء للأمم : ففى حالة إبراهيم نجد أن الختان أو الغلفة ليس وثيق الصلة بوضع الإنسان أمام الله .

وبحسب هذا فإن إبراهيم أصبح الأب الحقيقى لكل من يؤمن على مثاله بالله ، ويتكل على كلمته . إنه الأب للمؤمنين الغلف ، ذلك لأنه كان هو نفسه أغلفاً عندما حسب له إيمانه براً ، وهو فى نفس الوقت الأب للمؤمنين من الختان ، وليس ذلك على أساس أنهم من الختان بل على أساس من إيمانهم .

فإذا كان الختان لم تكن له أية صلة وأ علاقة بتبرير الله لإبراهيم، وبكل البركات الموعودة التى صاحبته ، فمن ثم لا يكون للناموس أدنى صلة به ، وكما أوضح بولس للغلاطيين ، فإن الناموس الذى أعطى بعد ٤٣٠ سنة من وعد الله لإبراهيم لا يمكن أن ينسخ عهداً قد سبق فتمكّن من الله أو أن يُبطله (غل ٣ : ١٧) . فلو كان العهد الذى أعطى بعد مدة طويلة من الوعد ، قد أقيم على أساس الطاعة للناموس ، وهو الأمر الذى لم يذكر فى النصوص الأصلية للوعد ، فإن هذا يقتضى نسخ وإبطال الأساس الكامل للوعد : إن الوعد كان وعداً بالبركة ، وقد تحقق واكتمل فى الإنجيل . إن الناموس الموسوى لم يُعلن على الإطلاق بركته لأولئك الذين يحفظونه ، ولكنه فى نفس الوقت يسبب لعنة لأولئك الذين يتعدُّون عليه . وبالنظر للعجز العام فى الحفاظ على الناموس . فإن اللعنة بارزة فيه بمنتهى الوضوح والجلاء ، ووثيقة الصلة به أكثر من البركة : الناموس ينشىء غضباً (رومية ٤ : ١٥) . من المحتمل أن تظهر الاتجاهات الخاطئة للبشر فى حالة عدم وجود أى ناموس ، إلا أن

مثل هذه الاتجاهات الخاطئة يمكن أن تأخذ صورة ناموسية تبلور ذلك الاتجاه فى شكل تعدّ واقعى أو خرقٍ للناموس . ويحدد الناموس عقاباً مناسباً لكل حالة من هذه التعديات ، وهذا هو ما يوضحه مبدأ الجزاء الذى لا ينفصل عن مفهوم الناموس . ولم يكن الناموس فى حاجة إلى تعيين مكافآت أو أجر للذين يحفظونه ، إلا أنه كان فى حاجة ماسة إلى أن يضع الجزاءات التى تكون من نصيب الذين يتعدون على الناموس . وعلى هذا فإن وعد النعمة الذى أعطاه الله لإبراهيم ينتمى إلى عالم آخر غير عالم الناموس .

وعلى هذا فإن تبرير إبراهيم وما استتبعه من بركات كان قائماً على أساس إيمانه بالله ، ولم يحصل عليه بالاستحقاق أو نتيجة جهوده الشخصية (كما كان يجب أن يكون عليه الأمر لو كان مؤسساً على شرط حفظه للناموس) . وإنما أفاضه عليه الله بنعمته . ولقد امتد هذا المبدأ الذى تعامل الله على أساسه مع إبراهيم ، امتد ليشمل نسله — وليس طبعاً نسله الطبيعى ، فإن هؤلاء كان حتماً أن يصبحوا خاضعين لمتطلبات الناموس ، بل نسله الروحى ، وهم أولئك الذين يتبعون مثال إبراهيم : وهذا — كما يقول بولس — هو ما قصده الله عند ما أعطاه اسم إبراهيم بديلاً عن أبرام ، كما كان يدعى سابقاً ، وقال له : « لقد جعلتك أبا لجمهور من الأمم » ؛ وهؤلاء يتضمنون اليهود والأمم على السواء ، الذين يؤمنون بالله ، ومن هنا صار إبراهيم أبا لكل المؤمنين .

وهنا يجب علينا أن نتأمل أيضاً فى طبيعة إيمان إبراهيم . إنه الإيمان الذى يقيم الموتى ويعيدهم إلى الحياة ، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة حقيقة ، ويعطيها بعمله هذا وجوداً حقيقياً . وعندما قال الله لإبراهيم إن نسله سيكون مثل النجوم فى الكثرة ، كان إبراهيم فى ذلك الوقت ما يزال عقيماً وبلا نسل . والأكثر من ذلك كان قد تقدم فى السن إلى الدرجة التى ينقطع فيها رجاء الإنسان فى أن يكون أبا ، كما كانت سارة أيضاً متقدمة فى أيامها وانقطع حبل رجائها فى أن تكون أما . ومع ذلك فإن إبراهيم لم يغلق عينيه عن تلك الظروف غير المناسبة ، بل إنها كانت موضع تأمله العتيق . لكنه عندما وضع فى مقابلها وعد الله ، فإنه تأكد من قدرة الله وإرادته فى تحقيق وعده ، وأصبح على يقين تام بإزائها . وحيث لم يكن له أى سند فى هذا الأمر سوى الكلمة المجردة لله . فإنه جعل منها عماده واتكاله فى مواجهة الدلائل المضادة التى كانت تحاصره وتضغط عليه من كل اتجاه . وفى الحقيقة لقد تقوّى إيمانه

من القوة الطاغية للعقبات التى اعترضت طريقه ، وهكذا استطاع أن ينال رضى الله عنه .

(والآن) ، يضيف بولس (أن التعبير الذى يقول بأن إيمان إبراهيم حسب له براً ، وينطبق على إبراهيم فحسب ، فإن المبدأ الذى يذخر به هذا التعبير صالح للتطبيق على كل الذين يؤمنون بالله ، وبصفة خاصة الذين يؤمنون بالله كما هو معلن فى الإنجيل — الله الذى أقام يسوع من بين الأموات . لقد أُسلم إلى الموت من أجل خطايا شعبه ، ولكن الله أقامه من أجل تبريرهم .

عدد ١ : (فماذا نقول إن أبانا إبراهيم قد وجد ؟) : إن الجواب كما يقدمه بولس فى ما بعد يوضح بأنه وجد التبرير بالإيمان ، بنعمة الله (أبانا إبراهيم) (جدُّنا) (حسب الجسد) : وبالنسبة للعبارة الوصفية (قارن ١ : ٣ ، ٩ : ٣ و ٥) فإن الضمير (نا) فى صيغة يعنى « نحن اليهود » فى حين يعنى فى موضع آخر نحن المؤمنين (٤ : ١١ و١٢و١٦و١٧) .

إبراهيم باعتباره أبا لكل المؤمنين سواء أكانوا حسب مولدهم من اليهود أو الأمم .

عدد ٣ : (فآمن إبراهيم بالله فحسب له برا) : قارن غلاطية ٣ : ٦ عن اقتباس بولس المتقدم باستخدام ما جاء فى التكوين ١٥ : ٦ .

عدد ٥ : (وأما الذى ... يؤمن بالذى يبرر الفاجر ، فإيمانه يحسب له براً) : لم يكن إبراهيم فاجراً ، وإنما كان رجلاً على درجة متميزة من التقوى والبر . ولكن المبدأ الذى بمقتضاه تبرر إبراهيم ، كان من ذلك النوع الذى يستبعد فكرة تجميع الاستحقاق بتراكم أعمال التقوى والبر ، إذ هو أيضاً يبرر الفاجر الذى ليس له رصيد من الأعمال يتكل عليه .

وعلى أساس هذا المبدأ مضى العشار إلى بيته مبررا ، دون الفريسى ، وليس ذلك بسبب أن استحقاقه كان أعظم (إذ كان أقل بما لا يقارن) ، ولكن بسبب إدراكه عدم جدوى الاعتماد على النفس ، بل إنه ألقى نفسه كلية فى أحضان النعمة الإلهية (لو ١٨ : ٩ — ١١) . إن وصف الله بأنه هو الذى يبرر الفاجر ، هو قول متناقض ظاهريا لدرجة مذهلة — ولا نقول مروعة مع ما جاء فى العهد القديم من عبارات متكررة عن تبرئة المذنب وإدانة البرىء

وكلها تدين هذا التصرف باعتباره من عمل القضاة الظالمين . ولهداية القضاة فى ممارستهم للقضاء فإن إله إسرائل يقدّم نفسه مثالاً لهم ، حيث يقول الله فى خروج ٢٣ : ١٧ « انا لا أبرر المذنب » وفى الترجمة السبعينية استخدمت نفس الكلمات اليونانية لتنقل إلينا ما حرمه الله فى الناموس على النحو الذى استخدمه بولس هنا لإعلان ما يعمله الله بالإنجيل . فلا عجب فى أن يعتقد بولس هنا أنه من الضرورى أن يقرر أن الله حتى فى تبريره للخاطىء يحافظ على صفاته الشخصية فى كمال بهائها ، فإنه ما أن يتبرر الفجار حتى لا يصيروا فجاراً بعد . ولكن هذا التبرير لا يتم على أساس أى تعديل أو تصحيح مسبق لطرقهم . وإذا نحن عجزنا عن إدراك المشكلة الأخلاقية المتضمنة فى نعمة الله الغافرة للخطايا ، فلربما كان السبب فى ذلك هو عدم إدراكنا لمدى خطورة الخطية . ولقد جاء حلّ هذا التعبير الموحى بالتناقض فى رومية ٥ : ٦ .

عدد ٦ : (داود أيضاً) : إن المزمور ٣٢ منسوب إلى داود فى النسخة الماسورية العبرانية ، وفى الترجمة السبعينية للعهد القديم . وهناك حلقة اتصال بين المزمور ٣٢ : ١و٢ ، والمقتبسة فى الآيتين ٧ و٨ ، وبين التكوين ١٥ : ٦ والمقتبسة فى الآية ٣ ، من حيث أن الفعل (يحسب) شائع الاستعمال فى الفقرتين . وفى تفسيرات الربيين اليهود فإن حلقة الاتصال هذه تشجع على تفسير إحدى الفقرتين بالفقرة الأخرى ، على أساس من المبدأ المسمى (فئة متساوية) . وهنا يستخدم بولس نفس هذا المبدأ ، ولكن حلقة الاتصال ليست شكلية مجردة ، حيث أن عدم حسبان الخطية الذى يبتهج له صاحب المزامير يعادل الحسبان الثابت الأكيد للبر ، أو إعلان تبرئة الفاجر حيث أنه ليس هناك فى محكمة عدل الله حكم منطوقه (لم تثبت إدانته) .

عدد ١١ : (علامة الختان) : تعنى تلك العلامة التى تدل على الختان . وهذه العبارة تمثل الصيغة اليونانية لتحديد حالة المضاف إليه . ويقول الله لإبراهيم فى التكوين ١٧ : ١١ إن الختان سيكون (علامة عهدينى وبينكم) ، ويوضح بولس كنه هذا العهد بتفسيره له فى ضوء ما جاء فى التكوين ١٥ : ١٨ (وهو العهد الذى أعطاه الله لإبراهيم قبل ما لا يقل عن ١٤ سنة من ختان إبراهيم) حيث أوضح الله لإبراهيم بصورة فعالة كيف أنه حسب له إيمانه برا . وعلى هذا يعامل الختان على أساس أنه ختم تالٍ وظاهرى لحالة البر التى أصبح فيها إبراهيم باراً بمقتضى عطية الله ، ومن ثم فإن الختان لم ينشىء

ولم يُعزز حالة البر هذه .

عدد ١٣ : (أن يكون وارثا للعالم) : ليس هذا بالاقتباس الاصطلاحى من أى وعد أُعطى لإبراهيم ، بل هو تفسير لهذه الوعود التى تشير إلى (جميع قبائل الأرض) (تكوين ١٢ : ٣) و (جميع أمم الأرض) (تكوين ١٨ : ١٨ ، ٢٢ : ١٨) . وعندما تم تعيين حدود ميراث إبراهيم جغرافياً كان يمتد فيما بين مصر والفرات (تكوين ١٥ : ١٨ ، قارن ١٣ : ١٤و ١٥) .

أما التفسير الروحى والدائم لهذه الوعود التى أُعطيت له فهو ما نجده فى العهد الجديد ، فإن ميراثه لا يمكن بأى حال من الأحوال أن ينحصر بين هذه التخوم الأرضية (قارن العبرانيين ١١ : ١٠ لأنه كان ينتظر المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله) (أو لنسله) .

إن الوعد الذى أُعطى لإبراهيم هو فى التكوين ١٢ : ٣ (وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض) . ولقد تكرر له هذا الوعد فى تكوين ٢٢ : ١٨ على هذا النحو : (ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض) وفى غلاطية ٣ يتحدث بولس عن صيغتى الوعد ويرينا كيف أن كلمة (نسل) فى الصيغة الثانية هى فى المفرد الجمعى أى صيغة المفرد الدال على الجمع ، وأنها يمكن أن تشير ، بل وهى تشير فعلاً إلى المسيح (غل ٣ : ١٦) . وتبعا لذلك فإنها تشير أيضاً إلى شعب المسيح (غل ٣ : ٢٩) . وهنا يقصد بولس من هذه النقطة أنه أيا كانت الصيغة التى ننظر فيها إلى الوعد ، فإن سريان مفعوله ليس له أدنى صلة بالناموس (الذى جاء متأخراً عن الوعد بعدة قرون ، وهو ما نلاحظه فى غلاطية ٣ : ١٧) ، أو بالبر الذى يقوم على حفظ الناموس .

عدد ١٤ : (لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطّل الإيمان) (أصبح بلا معنى) : ذلك لأن الميراث الموعود لإبراهيم يجب أن يعتمد الآن على مبدأ جديد ، والذى يعتمد على الأعمال ، وليس على الإيمان .

(وبَطُلَ الوعد) : بسبب أنه إذا ما كان تحقيقه يعتمد على حفظ الناموس ، فإن عدم استطاعة البشر حفظ الناموس سوف يكون كفيلاً فى واقع الأمر بعدم تحقيق الوعد .

عدد ١٥ : (لأن الناموس ينشىء غضباً) : بمعنى أنه من المحتم أن يوقع

الناموس عقوباته للعجز عن حفظه . (إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً تعدّ) هنا كما فى (٥ : ١٣) (الخطية لا تحسب إن لم يكن ناموس) يظهر أن بولس يُعلن حقيقة قانونية عامة (مثل المبدأ القانونى الرومانى : لا عقوبة بدون قانون) .

عدد ١٦ : (لهذا هو من الإيمان كى يكون على سبيل النعمة) : تعبير موجز عن المبدأ القائل بأن ما دبره الله بنعمته المجانية يمكن أن يحصل عليه البشر بالإيمان فحسب . وعلى العكس ، فإن ما يحصل عليه البشر بالأعمال (وليس بالإيمان) يسبغه الله عليهم على سبيل الاستحقاق (وليس النعمة) .

عدد ١٧ : (إنى قد جعلتك أبا لأمم كثيرة) : وقد جاءت هذه العبارة بنصها العبرانى حرفيا على النحو التالى فى التكوين ١٧ : ٥ (لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم) ، حيث الجزء الأول من كلمة (جمهور) بالعبرى متصلة بالمقطع الأخير من الاسم الجديد لإبراهيم .

(أمام الله الذى آمن به) : هذه الكلمات مرتبطة منطقيا بالجزء الأخير من الآية ١٦ « ليكون الوعد وطيداً لجميع النسل » أى أن يكون الوعد شرعياً وصحيحاً لكل نسل إبراهيم الروحيين (سواء كانوا يهوداً أو أمميين بالميلاد الطبيعى) ، أمام الله الذى آمن به إبراهيم .

(الذى يحيى الموتى) : هذه تسمية عامة لله فى العبادة اليهودية ، ولكنها قد استعملت هنا بالإشارة الخاصة إلى جسد إبراهيم الذى هو فى حكم الواقع مماتاً .. وكذلك رحم سارة الممات (الآية ١٩) .. (ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة) : الإشارة هنا إلى (جمهور الأمم) الذين سيخرجون من إبراهيم ، والذين لم يكن لهم وجود بعد حتى الآن ، ليس ذلك فقط بل إنه (حيث أن كلا من إبراهيم وسارة قد تقدمت بهما الأيام ، وانعدم رجاؤها فى إنجاب نسل) فلقد كان الأمر يبدو أن هؤلاء لن يوجدوا على الإطلاق .

عدد ١٨ : (هكذا يكون نسلك) : اقتبست من التكوين ١٥ : ٥ حيث أخبر الله إبراهيم (بينما كان ما يزال عقيماً) أن نسله سيكون مثل النجوم فى الكثرة .

عدد ١٩ : (لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتاً) : إن كلمة (لم) يجب أن تحذف من العبارة ، كما جاء فى قراءة متأخرة أقل تحقيقا ، والنقطة هنا هى أن إبراهيم أخذ فى اعتباره كل عامل متصل بالموضوع بما فى ذلك تقدمه الكبير فى السن ، واستحالة أن يكون له ابن ، وهو الأمر الأكثر استحالة ، بكل الاعتبارات الطبيعية ، حيث أن جسده صار الآن مماتاً (وقد ترجم نفس اسم الفاعل مماتاً) فى العبرانيين ١١ : ١٢ . (بالنسبة لهذا الموقف بعينه) ، ومع ذلك يأخذ كل هذا فى الاعتبار ، فقد انتهى إبراهيم إلى الإيقان بأن الوعد الإلهى يفوقها جميعاً وزنا وقيمة وأهمية .

عدد ٢٥ : (الذى أسلم من أجل خطايانا) : قد تكون هذه العبارة اقتباسا من بعض قوانين الإيمان الأصلية ، ويبدو أن لغتها مؤسسة على إشعياء (٥٣) . إن الفعل (أسلم) فى هذا المعنى يجيء مرتين فى الترجمة السبعينية لذلك الأصحاح ، ففى إشعياء ٥٣ : ٦ : الرب وضع عليه [العبد المتألم] إثم جميعنا ، أى أسلمه من أجل إثم جميعنا . وأيضاً فى إشعياء ٥٣ : ١٢ : « وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين » . أى أن « العبد » قد أُسلم من أجل عمل خطية كثيرين ، (إن الجزء الأخير من الجملة ينحرف إلى حد بعيد عن النص العبرانى « وشفع فى المذنبين » ؛ انظر الملاحظة على رومية ٨ : ٣٤) . إن استخدام هذا الفعل فى صلته يكون يسوع قد أسلم إلى الموت يُوحى بأنه عند استعماله فى كورنثوس الأولى ١١ : ٢٣ فى رواية بولس عن تأسيس فريضة العشاء الربانى ، بأن معناه ليس تماما بنفس المعنى الذى له فى بعض الترجمات ، أى : فى نفس الليلة التى أسلم فيها (أى بواسطة يهوذا) ، ولكن بالأحرى « التى أسلم فيها » (بواسطة الله) .

وربما تكون هناك أيضاً مشابهة لفظية بين هذا الجزء الأخير من الجملة وترجوم يوناثان عن إشعياء ٥٣ : ٥ ، حيث نجد الجزء الأخير من الجملة بالأرامية إذا وقفت بنفسها يمكن أن تترجم إلى « أسلم من أجل خطايانا » . وأيا كان الأمر ، فإنه فى الترجوم ليس (العبد المسيا) ، وإنما الهيكل هو موضوع الجزء الأخير من الجملة (إن العبد المسيا سوف يبنى المقدس الذى دنس وأسلم من أجل خطايانا) .

(وأقيم لأجل تبريرنا) . إن كلمة (لأجل) فى كل من الجزءين الأخيرين

للآية يعنى (بسبب) ، لقد أُسلم المسيح ليكفر عن خطايا شعبه ، وأقيم ليضمن تبريرهم ، ومن الواجب علينا عدم تفسير الجزءين الأخيرين من الآية بطريقة تجعلها توحى بأن قيامته لا علاقة لها بالتكفير عن خطايانا ، وبأن موته لا علاقة له بتبريرنا، ذلك لأن الفكرة الأخيرة يحكمها ما جاء فى رومية ٥ : ٩ .

جـ ـــ البركات المصاحبة للتبرير : السلام – الفرح – الرجاء (٥ : ١ – ١١)

بعد أن أعلمه بولس طريق الله لتبرير الخطاة وأرساه على أساس حوادث سابقة من العهد القديم ، أخذ الآن فى تعداد البركات التى تصبح حقاً لأولئك الذين حُسب إيمانهم لهم براً ، وأولها السلام مع الله . فالبشر رجالاً ونساءً والذين كانوا فى السابق متمردين ضد الله تصالحوا الآن معه بموت المسيح . لقد كان قصد الله لنا ، كما يخبرنا عنه فى رسالة أخرى : أن يصالح الكل لنفسه ، ولكن بصورة فائقة جلية أولئك الذين كانوا قبلاً أجنبيين وأعداء فى الفكر ، وأن ينفذ بمصالحتهم إلى أعماق قلوبهم (كولوسى ١ : ٢٠ ـــ ٢٢) . وفى الواقع إن موت المسيح قد حقق هذه المصالحة والتى غدت موضوعاً للاختبار الصريح والواضح فى حياة الأجيال المتعاقبة من المؤمنين . إن المصالحة كانت شيئاً قد جعله الله أمراً واقعيا بموت المسيح ، والبشر مدعوون لقبولها ، والإفادة من كل ما هو خير وصالح فيها ، وأن ينعموا بالسلام مع الله .

هكذا السلام يحمل معه القدوم الحر المطلق إلى الله ؛ إن هؤلاء الذين كانوا قبلاً متمردين ، لم تغفر لهم خطاياهم فحسب بمعنى محو العقاب الذى كانوا مستحقين له ، بل جيء بهم إلى مقام سام من المحبة والرضى الإلهى (هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون) ؛ إنهم فى المسيح قد دخلوا إلى مجال النعمة الإلهية ، وفيه أيضاً صار لهم أن يفرحوا فى رجاء مجد الله . السلام والفرح بركتان متلازمتان للإنجيل ، وكما عبّر عنها مبشر اسكتلندى قديم : السلام هو بهجة الراحة وفرحها ، والفرح هو الابتهاج برقصة السلام .

ولقد ذكر بولس ثلاثة أمور للفرح والابتهاج فى هذه الفترة أولها هو (رجاؤنا فى مجد الله) . وسيجيء شيء كثير عن هذا المجد الآتى عندما نصل فى عرضنا للأصحاح الثامن . ولكن مجد الله هو الغاية التى من أجلها خلق الإنسان ، وسوف تتحقق هذه الغاية من خلال عمل المسيح الكفارى ، وطالما

بقى البشر فى أجسادهم المماتة يكون هذا المجد أملا يرتجى ، ولكنه مع ذلك رجاء أكيد ، رجاء نحن بكل يقين متأكدين من تحقيقه ، لأن أولئك الذين يتعلقون به قد سبق لهم أن حصلوا على ضمانة تحقيقه بموهبة الروح القدس الذى انسكب فى قلوبهم فملأها بمحبة الله . أما الأمر الثانى الذى يدعونا إلى الفرح والابتهاج فهو فى ذاته أمر لم نكن لنتوقعه (أن نفتخر « نفرح » فى ضيقاتنا) ، كما يقول بولس لنا فى الآية الثالثة .

وإذا كان هذا الأمر يبدو غريبا لنا ، فإن من واجبنا أن نذكِّر أنفسنا أن الضيقات والآلام فى العهد الجديد ينظر إليها على أنها الاختبار العادى للإنسان المسيحى . ولقد سبق للرسل أن شددوا أنفس المؤمنين ووعظوهم أن يثبتوا فى الإيمان (وأنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله) (أعمال ١٤ : ٢٢) . وعندما اعترضت الضيقة طريقهم ، كما حدث مراراً ولم يستطيعوا أن يشتكوا قائلين إنهم لم يكونوا مستعدين لها . إن الآلام والضيقات لم تكن ظاهرة لا محيص عنها فى حياة المسيحيين فقط ، بل وآية على المسيحية الحقة ، وعلامة لها دلالتها على أن الله قد حسب أولئك الذين احتملوها مستأهلين لدخول ملكوته (قارن ٢ تسالونيكى ١ : ٥) . وبجانب هذا ، فإن للآلام والضيقات أثرها على من يعانون فيها ، إذ بمعاناتهم لهذه الآلام والضيقات يتدربون على الاحتمال والثبات ، وعندما يرتبط احتمالهم وثباتهم بإيمانهم المسيحى يستثار فى داخلهم رجاؤهم المسيحى بدرجة فائقة . وفوق كل هذا ، تعلم المسيحيون ان يفرحوا بالله نفسه (الآية ١١) .

لقد كان رجاء المجد أملاً مفرحاً ، وأولئك الذين يعلمون لماذا يتألمون من التجارب والاضطهادات ، يكون فى مقدورهم أن يفرحوا ويبتهجوا وسط الضيقات وأن يكون ذلك مصدراً ، بل سببا ، لافتخارهم . ولكن ليس هناك على الإطلاق ما يعادل الفرح والابتهاج الذى يجدونه فى الله نفسه — إن فرح وابتهاج هؤلاء يردد صدى كلمات صاحب المزامير (فآتى إلى مذبح الله ، إلى الله بهجة فرحى وأحمدك بالعود يالله إلهى) (مز ٤٣ : ٤) .

والآن لماذا لا نفرح ونبتهج فى الله ؟ إن شعبه قد تصالحوا معه بموت المسيح ، ويختبرون يوميا تخليصهم وعتقهم من عبودية الخطية والشر بحياة القيامة بالمسيح . فى حين أن الغاية التى يتطلعون إليها فى ثقة ويقين لم تعد

فى ما بعد انسكاب غضب الله عليهم ، بل ظهور مجد الله فى غير خفاء ، وإماطة اللثام عنه — وهم ينسبون البركات التى يقيمون فى رحابها أولاً وأخيراً إلى محبة الله لهم . إنه بسبب هذه المحبة الإلهية قد وضع المسيح حياته من أجلهم فى الوقت الذى كانوا فيه ضعفاء عاجزين وخطاة وكل شىء فيهم كان مدعاة لنفور الله منهم . إن حب البشر قد يذهب بهم إلى الموت ذاته من أجل أولئك الذين هم بالطبيعة موضوع محبتهم ، لكنهم لا يفعلون هذا الأمر بالنسبة لشخص غير محبوب منهم أو غير محب لهم .

وهنا تجلى إشراق حب الله لنا : لقد اختصنا الله بحبه فى حقيقة أن المسيح مات من أجلنا . ونحن بعد أعداء ومتمردين على الله . وهكذا وبالكلية أصبح الآب والابن واحداً فى الذبيحة الكفارية لأجل البشر ، بحيث أن ذبيحة الواحد تكون آية على محبة الآخر .

والحق إننا نجد فى كل العهد الجديد أن موت المسيح هو الإظهار الأسمى لمحبة الله (فى هذا هى المحبة ، ليس أننا نحن أحببنا الله بل إنه هو الذى أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا (١ يو ٤ : ١٠) . وياله من تخريف وتزييف لكلمات الله من أولئك الضالين الذين ينحرفون إلى مثل هذه الضلالة حين يقولون أحيانا إن المسيح قد مات لكى يجعل الله يحب البشر !! وواقع الأمر أن تغييراً قد حدث فى العلاقة بين الله والبشر بموت المسيح ، وهو التعليم الصحيح الذى نجده هنا فى هذا الموضع وفى غيره من المواضع على امتداد العهد الجديد ، إلا أنه أدنى تغيير فى حقيقة محبة الله للبشر . وعلى هذا فإن الثمر الحقيقى للروح هو المحبة ، والفرح ، والسلام ، والرجاء ، وهو الأمر الذى يميز حياة أولئك الذين تبرروا بالإيمان بالله . إن الماضى الأثيم الخاطىء قد أُلغى ، وتأكد مجد المستقبل ، وهنا الآن فإن حضور وقوة روح الله يضمن للؤمن كل النعمة التى يحتاج إليها لاحتمال التجربة ، ومقاومة الشر ، وللحياة التى تناسب من أعلن الله أنه بار .

الأصحاح الخامس

عدد ١ : (**لنا سلام مع الله**) : وفى ترجمات أخرى : ليكن لنا سلام مع الله . إن المسألة هى أى البديلين من القراءتين اليونانيتين نتعبه ؟ نتبعه ؟ الفعل (يكون لنا) أو الصيغة المنطوية على تمنٍّ (ليكن لنا) ؟ إن كلا الصيغتين صحيحتان ومحققتان تماما ، إلا أن الصحة والتحقيق هى بالأكثر إلى جانب الصيغة المنطوية على تمنٍّ والتى أظهرتها فى كتابة متقدمة مخطوطات الإسكندرية Alephو B . بل أيضاً المخطوطة الغربية D والترجمة اللاتينية . أكثر من الصيغة الأولى (والتى صحح إليها النص فى المخطوطة Aleph، B والتى خطتها يد كاتب متأخر زمنياً ، وكما أظهرتها المخطوطة الغربية G) .

إن التنوع أو الاختلاف فى القراءة قد يرجع إلى مرحلة أولية فى نسخ النص سابقة على نشرها فى مجموعة الرسائل البولسية . ومن الممكن تيسير أمر استبدال صيغة بأخرى ، إذ بتوكيد النبرة القوية للمقطع الأول (كما فى اليونانية الحديثة) يمكن أن يختفى التمييز بين حرف الحركة الطويل والقصير فى المقطع الثانى ، بحيث يمكن فى هذه الحالة أن تجىء طريقة التلفظ بها متوافقة إلى حد بعيد . وعلى هذا فإنه من خلال عملية الإملاء ، قد يكون قصد المتكلم صيغة منهما ، فى حين يقوم الكاتب بتدوين صيغة أخرى[١] . وليس من شك فى كون (لنا سلام مع الله) أفضل صيغة تناسب محاجة بولس (قارن الآية ١١) « نلنا به الآن المصالحة ») ؛ وأيا كان الأمر فإن الدليل الداخلى من النص يجعلنا نقبل النص المنطوى على التمنى ، إذا فهمنا منه أنه يعنى « لنكن فى سلام مستمر مع الله » .

عدد ٢ : (**الذى به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون**) : وقد حذفت (بالإيمان) من بعض الترجمات ، وذلك لعدم وجودها فى عديد من الوثائق الصحيحة القديمة فى الشرق والغرب ، إلا أنه من الواضح أنه حتى ولم توجد كلمة « الإيمان » ولم يُعبرَّ

---

(١) ليس هذا هو المكان الوحيد فى رسالة رومية حيث يظهر مثل هذا الاختلاف فى النص ، وإن كانت هذه هى المرة الوحيدة التى يؤثر فيها هذا الاختلاف على المعنى تأثيراً واضحاً . فمثلاً فى ٦ : ٢ (هل نعيش ؟) هناك نص آخر يعنى (هل لنا أن نعيش ؟)

عنها كتابة ، إلا أنها متواجدة ضمنيا (قارن ١١ : ٢٠ « وأنت بالإيمان ثُبتَّ ») . قارن أيضاً أفسس ٢ : ١٨ : « لأن به لنا كلينا (المؤمنين من اليهود ومن الأمم على حد سواء) قدوماً فى روح واحد إلى الآب . إن كلمة « قدوم » تعنى ميزة الإقتراب أو الإذن بالدخول إلى حضرة شخص رفيع المقام ، وبصفة خاصة شخصية ملكية أو إلهية . هنا ينظر إلى المسيح بأنه الذى قاد المؤمنين إلى الوصول إلى الحال الجديدة من النعمة والقبول أمام الله (قارن أف ٣ : ١٢) . (ونفتخر على رجاء مجد الله) : وهى الحالة التى اعجزتنا الخطية عن بلوغها (٣ : ٢٣) . إن الفعل rejoice (نفرح) (مثل glory المجد فى الآية ٣) قد يكون فى الصيغة الدلالية indicative أو فى صيغة التمنى ، وذلك بحسب المدى الذى تمضى إليه الصيغة فيأتى (نفتخر) أو يأتى (ليكن افتخارنا) .

عدد ٥ : (**الرجاء لا يخزى**) قارن إشعياء ٢٨ : ١٦ فى الترجمة السبعينية (المقتبسة فى ٩ : ٣٣ ، ١٠ : ١١) : « من آمن لا يخزي » . إن الرجاء الذى لا يتحقق يجعل الإنسان يخزى ، ولكن الرجاء المؤسس على وعد الله من المتيقن تحقيقه . (لأن محبة الله : [أى محبة الله لنا] قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا) . هذه الإشارة إلى عمل الروح القدس فى المؤمن مقدمة للتقرير الكامل عنه الذى يجيء فى الأصحاح الثامن .. إن العمل الحالى للروح القدس هو عربون ذلك المجد الذى يرجوه المؤمن .

عدد ٦ : (**فى الوقت المعين**) : أى فى الوقت الذى اشتدت فيه الحاجة إليه ، حين لم يعد هناك سوى موته الذى يعنينا .

(**مات المسيح لأجل الفجار**) : إن هذا التعبير تفسير موهم للتناقض فى الأصحاح ٤ : ٥ ، وهو أن الله يبرر الفاجر .

عددى ٧ و ٨ : (**ربما لأجل الصالح يجسر أحد أن يموت .. ولكن .. ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا**) : إن (رجل صالح) هى حرفيا (الرجل الصالح ، حيث أن أداة التعريف تدل على نمط معين من البشر . وليس هناك سوى تمييز قليل بين (البار) و (الصالح) فى الآية ، فالصالح يمثل ogathos وليس chrestos (عطوف) . وقد يأخذ البعض كلمة صالح كاسم محايد ليس هو بالمذكر ولا بالمؤنث ، كما لو كانت تدل على (سبب صالح)

وليس بالأحرى (رجلاً صالحاً) . إن محاجة بولس واضحة للغاية : حتى لأجل رجل صالح أو بارٍّ يندر أن نجد أحداً يرغب فى وضع حياته من أجله — ربما يمضى القليل من الناس إلى هذا الحد ، ولكننا نرى محبة الله تتجلى فى وضع المسيحى حياته لأجل هؤلاء الذين لم يكونوا أبراراً أو صالحين ، بل لقد كانوا خطاة .

عدد ٩ : (ونحن الآن متبررون بدمه) : جاءت عبارة (بدمه) فى ٣ : ٢٥ لتدل على وضع حياته كذبيحة ، أما (بدمه) هنا فهى مترادفة مع القول (بموت ابنه) فى الآية العاشرة .

(نخلُص به من الغضب) : قارن ١ تسالونيكى ١ : ١٠ حيث يدُعى المسيح (الذى ينقذنا من الغضب الآتى) . ففى كلا الموضعين نجد أن انسكاب الدينونة فى نهاية الأيام هو موضوع الكلام فيهما . انظر أيضاً ١ تسالونيكى ٥ : ٩ (لأن الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح) . إن هؤلاء الذين أُعلنوا أبراراً من الله سوف يفرحون ويبتهجون على التو بإنقاذهم وخلاصهم من الغضب الآتى .

عدد ١٠ : (إن كنا ونحن أعداء ، قد صولحنا مع الله بموت ابنه) : قارن كولوسى ١ : ٢١ — ٢٢ « وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء فى الفكر فى الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن فى جسم بشريته بالموت » ؛ إن العداوة والاغتراب عن الله والتى تتطلب الإزالة ، موجودة فى البشر ، وليس فى الله . وهو الذى أخذ المبادرة برضا وارتياح بتدبير الفداء الذى بالمسيح يسوع . (فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته) . وقد توسع بولس فى هذه العبارة فى رومية ٦ : ٨ — ١٠ . إن (حياته) هى حياة قيامته .

عدد ١١ : (الذى نلنا به الآن المصالحة) : (المصالحة) فى الترجمة الرسمية ، لها هنا معناها الذى يدرس أصل الكلمات التاريخى) (الايتمولوجى) : at- one-ment يجعله واحداً at one بمعنى مصالحاً الاثنين . ويظهر أن تيندال كان أول من استخدم مصطلح بهذا المعنى اللاهوتى ، ولكن الكلمة الإنجليزية لم يعد لها هذا المعنى الآن . ولهذا جاءت ترجمته فى بعض الترجمات (المصالحة) وهى المرادف الصحيح المستخدمة فى الأصل اليونانى .

وحيث تذكر كلمة المصالحة فى العهد الجديد ، فإن الله أو المسيح هو المصالح على الدوام . والبشر هم موضوع المصالحة (أو بين موضوعات المصالحة) . إن الله (قد صالحنا لنفسه بيسوع المسيح) ، وقد طلب من البشر أن (تصالحوا مع الله) (٢ كورنثوس ٥ : ١٨و ٢٠) . إن الموقف هنا يمكن مقارنته بموقف ملك يعلن العفو العام عن رعاياه المتمردين عليه ، والذين يحضهم على قبول عفوه طالما هو معروض عليهم .

إن مقت الله للخطية لا يجعله عدوا للخطاة ، ولا يدفعه لأن يوقع بهم شراً ، لأن الله : يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (١ تيموثاوس ٢ : ٤) .

د ــ التكافل القديم والجديد (٥ : ١٢ ــ ٢١) :

إن تصوير المسيح على أنه آدم الأخير ، والنسخة المطابقة (لآدم الأول) هو سمة مميزة لتعليل بولس اللاهوتى لشخص المسيح ، وهو لم ينفرد بها بين كتبة العهد الجديد ، ويحتمل أنها لم تكن أصيلة لديه ، ولكنه هو الذى تطوَّر بها إلى مدى أبعد مما فعله غيره ، وبصفة خاصة فى هذا القسم من رسالة رومية ، وفى مجادلته عن القيامة فى ١ كورنثوس ١٥ : ٢٢ و٤٥ ــ ٤٩ .

إن الفكرة عن (إنسان الله) كالمتمم لقصد الله هى فكرة متكررة فى العهد القديم ، فهو « رجل يمينك .. وابن آدم الذى اخترته لنفسك (مزمور ٨٠ : ١٧) . وحين يفشل إنسان ما فى تحقيق مقاصد الله (وهو بكل معيار حال جميع البشر) ، فإن الله يقيم آخر ليأخذ مكانه ــ فلقد حل يشوع محل موسى ، وحل داود محل شاول ، وحل إليشع محل إيليا . ولكن من ذا الذى يستطيع أن يحل محل آدم ؟ ليس هناك سوى واحد هو الكفيل بأن يزيل آثار خطية آدم ، ويصبح رأسا للبشرية الجديدة . إن الكتاب المقدس ، بل وفى الواقع تاريخ العالم ــ يعرف إنسانا واحداً فريداًتجتمع فيه المواصفات التى تؤهله لأن يأخذ هذا الموضع ــ إن المسيح يتقدم (كما جاء فى ترجمة كارليل لأنشودة لوثر) .

الرجل التائب الذى دعاه الله لنفسه

ولأجل هؤلاء الذين صحح وضعهم مع الله ، فإن التكافل القديم للخطية

والموت ، والذى كان لهم بالارتباط مع آدم الأول ، قد أخلى الطريق لتكافل جديد للبر والحياة بالارتباط مع آدم الأخير .

وعلى هذا فإن بولس يستكمل مجادلته بعقد مقارنة للتماثل والتناقض بين آدم والمسيح . إن آدم فى نظره هو رمز ــ نسخة متطابقة أو مثال ــ للمسيح . وكما دخل الموت إلى العالم بمعصية آدم ، هكذا تأتى الحياة الجديدة إلى العالم بطاعة المسيح . وكما أن خطية آدم شملت نسله ، وهكذا يحسب بر المسيح مفخرة وكرامة لشعبه .

لاشك أن آدم كان فى نظر بولس شخصية تاريخية (الإنسان الأول) . ولكنه كان أكثر من ذلك ، كان هو الشخص الذى يعنى اسمه فى العبرانية « البشرية » .

لقد نظر إلى البشرية جميعا أنها قد وجدت أولاً فى آدم . ولكن بسبب خطيته ، أصبحت البشرية فى غربة عن الله ، ونظر إلى البشرية كلها وكأنها فى آدم صارت خاطئة بخطيته الأصلية . وفى قصة السقوط التى رويت فى الأصحاح الثالث من سفر التكوين ، فإن كل التاريخ البشرى التالى مغلف بها ، وأعيد تمثيل أحداثها فى حياة الجنس البشرى ، وبالتأكيد ، وبمدى معين إلى حد ما ، فى حياة كل فرد من أفراد الجنس البشرى .

كان بولس ملمًّا إلما كاملا بالمفهوم اليهودى للشخصية المتحدة ، وقد كان من السهل على تفكيره أن يتأرجح بين الإنسان الأول آدم والبشرية الخاطئة من ناحية ، وبين المسيح الإنسان الثانى ومجتمع المفديين من ناحية أخرى . وكان صحيحا جدا أن تكافلنا مع رفاقنا أصبح حقيقة واقعة فيعمل إلى إغفالها فى تأكيدنا على استقلالنا الشخصى . (ولا يوجد شخص ما كجزيرة ، كامل فى ذاته . إن كل فرد جزء من القارة ، وجزء من البر الرئيسى) .

إن موت أى إنسان يقلقنى ، لأننى مشتمل فى البشرية . وعلى هذا فلا ترسل أبدا لتعرف لمن تدق أجراس الكنيسة ، إنها تدق من أجلك) . إن كلمات (جون دور) المقتبسة هنا تعبرٌ عن حقيقة باقية على الدوام .

ونظراً لأننا نحيا فى أجسام منفصلة ، فإننا نميل إلى التفكير فى أن كل المظاهر الأخرى لشخصيتنا هى بدورها منفصلة ، وقائمة بذاتها . ولكن الأمر ليس

كذلك ، وأيّا كان الأمر ، فيمكن التمييز هنا بين نوعين مختلفين من التكافل . لقد ولدت خليقة جديدة . لقد تحطم التكافل القديم للخطية والموت فى آدم ، ليحل محله التكافل الجديد للنعمة والحياة بالمسيح . ومع ذلك فإن تحطيم القديم لم يكن باتاً وقاطعاً ، فلا يزال هنا إلى وقتنا الحاضر تداخلاً وتشابكاً بين الاثنين . إن تعبير (كما فى آدم يموت الجميع) ينطبق فى العالم المادى على المؤمنين ، تماما كما ينطبق التعبير (فى المسيح سيحيا الجميع) ، طالما ظلت هذه الحياة الزائلة سارية . ولكن هنا والآن يوجد الضمان لهم بأنهم فى المسيح سيحيون حقاً ، ذلك لأنه هنا والآن فإنه بالإيمان بالمسيح قد تقبلوا من الله ذلك التبرير الذى يأتى بالحياة فى معيته ويقول (توماس جودوين) رئيس كلية بأكسفورد فى القرن السابع عشر : هناك أمام الله رجلان — آدم ويسوع المسيح — ويتعلق بأربطة منطقتيهما كل البشر الآخرين . إن طاعة المسيح التى يدين لها شعبه بتبريرهم ورجائهم فى الحياة الأبدية لا تقتصر على موته ، فإن موته هنا ينظر إليه كتاج وذروة لتلك (الطاعة الفعالة) التى تميز بها طوال حياته على الأرض . لقد كانت حياة بارة كاملة تلك التى بذلها للموت من أجل شعبه ، إلا أن حياته البارزة فى ذاتها ما كانت تكفى لمقابلة حاجتهم لو أنه لم يطع حتى الموت « موت الصليب » ، كذلك ما كان موته ليُغطى احتياجاتهم لو لم تكن حياته التى بذلها عنهم كاملة . وهنا يردد بولس صدى الأنشودة الرابعة للعبد المتألم : [(وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين) ، وحرفيا يجعل الكثيرين أبراراً ، (وآثامهم هو يحملها)] (إش ٥٣ : ١١) .

وعلى هذا فإذا كانت خطية آدم قد جلبت الموت إلى كل نسله وجعلتهم تحت سلطانه فإن طاعة المسيح قد جاءت بجنس جديد منتصر إلى عالم النعمة والحياة . وقد يقول قائل : (فى كل هذه المجادلة عن آدم والمسيح ألم تنس موسى ؟ أين يكون موضعه ؟ بالتأكيد إن إدخال الناموس بين آدم والمسيح يعنى أنه كانت هناك ثلاثة عصور ، ابتدأت على التوالى بآدم فموسى فالمسيح ، وليس فقط عصران بدآ بالتعاقب بآدم فالمسيح .

وهنا يجيب بولس قائلاً : (لا ، إن الناموس ليس له أهمية دائمة فى تاريخ الفداء . لقد أدخل الناموس كتدبير لغاية عملية . لقد وُجدت الخطية فى العالم منذ سقوط آدم ، وقد ساعد الناموس على كشف الخطية وإظهارها إلى ضوء النهار ، حتى يمكن إدراك طبيعتها بدرجة كافية من الوضوح ومعرفة ماهيتها

فى غير خفاء . وأكثر من ذلك : لقد كان للناموس تأثير فعلى فى زيادة كم الخطايا الظاهرة فى العالم . ولم يقتصر الأمر على أنه فى وجود مثل هذه التشريعات المحددة ، تتخذ التعديات صوراً متنوعة ، بل إن وجود الناموس كان يمكن أن يكون سببا فى إثارة الدوافع إلى الخطية ، فى حين كان يمكن ألا يفكر الشعب فى ارتكاب المحرمات والنواهى ، لو لم يكن قد أثير انتباههم إليها . وهنا نقف على البصيرة النافذة إلى أعماق طبيعة البشر التى كان يتميز بها بولس . هناك نقطة لها أهميتها فى قصة السيدة العجوز التى اعترضت على تلاوة الوصايا العشر فى الكنيسة (إنها تضع أفكاراً عديدة فى عقول البشر) .

ولكن الناموس لم يأت بمبادىء جديدة إلى الموقف ، إنه ببساطة أماط اللثام بدرجة كافية من الوضوح عن الخطية ، والتى كانت موجودة فى العالم كحقيقة قائمة ، ومن الناحية الأخرى فإن الإنجيل قد أدخل مبدأ جديداً تماماً ـــ مبدأ نعمة الله ـــ وأياً كانت السرعة التى يعمل بها الناموس فى استثارة النوازع إلى الخطية ، والتسبب فى تزايدها ، فإن نعمة الله أسرع تزايداً منها فى محو الأعباء المتراكمة للخطية وأثقالها .

عدد ١٢ : (كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم) : هذا الإنسان الواحد هو آدم) . والإشارة هنا إلى قصة السقوط فى التكوين الأصحاح الثالث ـــ قارن سفر الحكمة ٢ : ٢٣ و ٢٤ .

فإن الله خلق الإنسان لعدم الفساد

وجعله صورة ذاته الإلهية

لكن بحسد إبليس

دخل الموت إلى العالم

فيختبره الذين ينتمون إلى حزبه

ونجد نفس النقطة متمثلة فى الصرخة التى جاءت فى اسدراس الثانى ٧ : ١١٨ : (يا آدم ، ماذا فعلت ؟ فعلى الرغم من أنك أنت الذى أخطأت ، إلا

أن السقوط لم يكن لك أنت وحدك ، ولكنه كان لنا أيضا نحن نسلك) .
ويرسم لنا (بن سيراخ) على نحو مميز صورة أخلاقية كارهة للنساء استمدها من رواية السقوط : « من المرأة نشأت الخطيئة وبسببها نموت أجمعين » (سيراخ ٢٥ : ٢٤) . إلا أن أحداً من هؤلاء الكتبة لا يرى شيئاً عن المعنى الأعمق لقصة سقوط الإنسان والتى يميط بولس اللثام عن أغوارها . (وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع) : وترجمت أيضاً : (وهكذا امتد الموت إلى جميع الناس ، لأن جميع الناس أخطأوا) — أخطأوا تعنى أنه قصد أن يقول (إنه فى آدم) وليس فيما بعد محاكاة لخطية آدم ، وهذا هو ما تعنيه الكلمات فى (٣ : ٢٣) (قارن الآية ١٤ فى ما بعد) . إن البنية والتركيب اللغوى ، والفكر الكامن فى هذا التعبير ، نجد ما يماثله فى ٢ كورنثوس ٥ : ١٤ (إن كان واحد قد مات لأجل الجميع ، فالجميع إذاً ماتوا) — إن فكر بولس كان فى الواقع يدور حول أثر موت المسيح — وليس أثر خطية آدم — على الجنس البشرى . إننا لا نستطيع أن نقول ببساطة إنه بسبب خطية آدم الجد الأول للبشرية قد أخطأ الجميع بخطيته (وإلا فمن الممكن أن نقول إنه بسبب أن إبراهيم قد آمن بالله فإن كل نسله قد أصبحوا آليا وبالتبعية من المؤمنين) ؛ بل لأن آدم كان بذاته هو البشرية .

يبدأ الرسول بولس كلامه فى عدد ١٢ بالقول « كأنما » أى مثل ما دخلت الخطية . ثم يشير إلى أن الموت قد امتد إلى جميع الناس بسبب الخطية ، ويستطرد فى الشرح من الآية ١٣ إلى الآية ١٧ ، وتعتبر هذه الآيات جملة اعتراضية توضع بين قوسين . ثم يعود لإكمال عدد ١٢ بالعدد ١٨ وهو يُكوِّن باقى الجملة الرئيسية التى ينتظر القارىء نهايتها ، فيقول هكذا . ويمكن كتابة الآية ١٨ بكلمات أخرى بالقول « هكذا ببر إنسان واحد أدخل طريق الله للبر والحياة بالبر » .

عدد ١٣ : (فإنه حتى الناموس كانت الخطية فى العالم) : ما أن دخلت الخطية إلى الأسرة البشرية حتى واكبها الموت . إن الحكم الصادر ضد آدم كان : لأنك يوم تأكل منها موتا تموت (تك ٢ : ١٧) . وقد تم تنفيذه فى نسله ، على الرغم من أنه إلى أن أعطى الناموس لم تكن هناك وصية وضعية

ينفذونها كما كان الحال بالنسبة لآدم .

(على أن الخطية لا تحسب إن لم يكن ناموس) (قارن ٤ : ١٥) . ومع أن الخطية كانت سائدة على الجميع ، ولها أثرها المميت ، حتى وإن لم تكن هناك وصية وضعية مصحوبة بعقوبة . والخطية تظهر ذاتها فى صورة تعديات معينة حينما تكون هناك وصايا معينة للتعدى عليها . وفى وقت متأخر اعتبر التقليد اليهودى الوصايا التى أعصيت لنوح فى التكوين ٩ : ١ ــ ٧ كناموس ملزم لكل الأمم ، إلا أننا لا نعرف إذا كان بولس يعتبرها كذلك .

عدد ١٤ : (**الذى هو مثال الآتى**) : أى أن آدم الإنسان الأول هو النظير ، أو المثال ، الرمز للمسيح . والذى يطلق عليه بولس فى مكان آخر (آدم الأخير) ، والإنسان الثانى (١ كورنثوس ١٥ : ٤٥ و ٤٧) . ومما هو جدير بالملاحظة أن آدم كان شخصية العهد القديم الوحيدة التى أطلق عليها فى العهد الجديد بوضوح أنها « مثال ورمز » للمسيح[1] . وهو أمر مناسب جداً ، حتى وإن كانت العلاقة الرمزية بين الاثنين هى علاقة المناقضة ، وليست المشابهة . ذلك أنه فى تفكير بولس حل المسيح محل الإنسان الأول كالنموذج الأصلى ، والممثل للبشرية الجديدة .

عدد ١٥ : (**لإنه إن كان بخطية واحد مات كثيرون ، فبالأولى كثيراً نعمة الله . قد ازدادت للكثيرين**) : وقد تحولت كلمة (كثيرون) إلى (الكثيرون) فى الجزءين الختاميين للجملتين فى هذه الآية . وهى ترجمة صحيحة (قارن الآية ١٩) ، (الكثيرون) أى البشرية جمعاء (على مثال المعنى الثانى لكلمة « الجميع ») فى (١ كورنثوس ١٥ :٢٢) . انظر أيضاً رومية ١١ : ٣٢ . وإنه لاستدلال طبيعى نخرج به من هذه الكلمات : إن النعمة التى جاءت بيسوع المسيح ينتمى إليها العدد الأكبر الذى يفوق فى تعداده أولئك الذين وقعوا تحت طائلة الدينونة بسبب الإنسان الأول

وهكذا ارتآها (كالفن) ، وهو الأمر الذى ربما يثير دهشة أولئك الذين

---

(١) هناك بالطبع شخصيات أخرى من العهد القديم يعاملها كتاب العهد الجديد ضمنيا ــ وإن لم يكن صراحة ــ كرمز للمسيح .. وملكى صادق فى رسالة العبرانيين مثال واضح لذلك لكن العلاقة الرمزية بين المسيح وآدم فريدة فى نوعها .

يتصورون أنه إنما كان يرى المختارين كأقلية ضئيلة . كان كالفن يعرف بعض أولئك الذين كانوا يرون المختارين كأقلية ، ومن ثم فهو يقول إن بولس إنما كان فى هذا الموضع (يناقش نقطة معينة فحسب) ، وإنه كان يحس أن مجادلتهم لا يمكن إثبات بطلانها . وعلى أى حال فلقد كان تبريره هو : (أنه إذا كان سقوط آدم قد نتج عنه دماء كثيرين ، فإن نعمة الله أكثر فاعلية فى إفادة كثيرين ، حيث من المسلّم به أن قدرة المسيح على الخلاص أكثر جداً من قدرة آدم على التدمير .

وفى القول : « إن نعمة الله قد ازدادت للكثيرين » ، فإن تعبير (الكثيرين) هوعلى الأرجح صدى عميق لما جاء فى إشعياء ٥٣ : ١١ حيث أن (عبد الرب بمعرفته يبرر الكثيرين) . وإننا نجد أن (الكثيرين) قد استخدمت كطريقة للتوازن فى الجزء الأول من الآية مع أولئك الذين ماتوا فى آدم . قارن أيضاً الوجود الثانى « للكثيرين » فى الآية ١٩ حيث (هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرين أبراراً) ، وهى أيضاً صدى أكثر وضوحاً لما جاء فى (إشعياء ٥٣ : ١١) .

عدد ١٦ : (**وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية**) : إن العطية المجانية ليست على نفس كفة الميزان لأثر خطية آدم . إنه بعمل خاطىء واحد صدر حكم الدينونة ، ولكن العطية المجانية التى أفاضها الله بعد تكرارات كثيرة للخطية الأصلية ، جاءت كقرار من الله ينقض قرار الدينونة الصادر ضد البشرية ، مؤكدا على الإنعام بالوضع البار على كثير من الخطاة .

عدد ١٧ : (**عطية البر**) : أى عطية التبرير ، البرّ الذى يفيضه الله على المؤمنين . (سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح) عندما يسود الموت فإن البشر سيكونون ضحاياه العاجزين ، وعندما يملك المسيح فإن البشر سيملكون حياة القيامة والمجد الملكى (قارن ٨ : ١٧) .

عدد ١٨ : (**بالخطية من واحدٍ .. بالبرّ من واحد**) : وتترجم فى العربية (بخطية واحدة .. ببر واحد) ، وهى ترجمة تبيحها قواعد النحو ، إلا أن الترجمة الأولى تعطينا تماثلاً أفضل لما جاء فى الآية ١٩ : بمعصية الإنسان الواحد .. بإطاعة الواحد . إن (ببر واحد) تعنى بالتحديد (عملاً باراً لإنسان واحدٍ) ، (وبمعنى يختلف عن المعنى فى الآية ١٦) بالمغايرة مع

« بمعصية إنسان واحد » . إن (عمل برٍّ) هو العمل المتوج لطاعة المسيح على امتداد حياته على الأرض (الآية ١٩) حينما أسلم حياته من أجل الخطاة .

(لتبرير الحياة) : حيث أن بولس استخدم الكلمة اليونانية فى هذه الجملة التى تعنى (عمل برٍّ) فإنه لم يستخدمها مرة أخرى هنا (كما فعل فى الآية ١٦) فى معنى (التبرير) ، وإنما استخدم الكلمة التى سبق واستخدمها فى هذا المعنى فى الأصحاح ٤ : ٢٥ . (تبرير الحياة) يعنى التبرير الذى يثمر الحياة (وعلى نفس المنوال حيث ينتج الموت عن الدينونة) .

عدد ١٩ : (لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعل كثيرون خطاة ، هكذا أيضا بإطاعة الواحد سيجعل كثيرون أبراراً) . وتُقرأ (كثيرون) (الكثيرون) فى الترجمة العربية ، قارن الآية ١٥ . ما أحلى هذا التبادل ، وياالهذه الخليقة الغامضة ، ويا للمنافع غير المتوقعة . إن خطية كثيرين قد توارت عن أنظارنا بإنسان واحد بار ، وأن بر إنسان واحد يمكن أن يبرر خطاة كثيرين ! (رسالة إلى ديوجينيتيس ٩ : ٥) . ولقد أنجزت طاعته (أى طاعة المسيح) أكثر مما كان فى مقدور طاعة إبراهيم أن تفعله ، وبآلامه ونصرته ربح الحق والقوة لأن يسحق القوى الكونية العادية ـــ وأن (يسترد الموقع العالمى) ـــ كما عبّر عن ذلك (س . ك . باريت) ، ويكفل لشعبه اشتراكهم فى نصرته .

عدد ٢٠ : (وأما الناموس فدخل) : حان أو أنه قرب كما فى ترجمة أخرى : دخل عنوة فى هذه العملية . كما فى ترجمة ثالثة (لكى تكثر الخطية) ... قارن غلاطية ٣ : ١٩ : فما نفع الناموس إذاً ؟ أضيف بسبب التعديات (ليجعل فعل الاثم عملا اثيماً مشرعاً (إلى أن يأتى النسل الذى قد وُعد له) . وفى هذا المعنى يكون الناموس تدبيراً اعتراضياً فى طريق تعاملات الله مع البشرية .

الأصحاح السادس

رابعاً : طريق القداسة (٦ : ١ ــ ٨ : ٣٩)

أ ــ العتق من الخطية والتحرر منها (٦ : ١ ــ ٢٣)

(١) (اعتراض مفترض) (٦ : ١ و ٢) :

قد يعترض أحد قائلاً : (حسنا ، إذا كانت نعمة الله قد سادت على الخطية هكذا ، فلماذا لا نمضى إذن فى الخطية لكى نتيح الفرصة للنعمة لكى تزداد أكثر فأكثر ؟)

إن هذا ليس اعتراضاً افتراضيا بالتمام ، إذ كان هناك فى الحقيقة دائما قوم يصرون على أن هذه هى النتيجة الطبيعية والمنطقية لتعليم بولس عن التبرير بالإيمان ، ولسوء الحظ فإنه يوجد فى كل جيل قوم يزعمون أنهم قد تبرروا بالإيمان ، ومع ذلك سلكوا فى مثل هذا الطريق ليجعلوا هذا النقد يبدو صحيحاً أو محتملاً . ويقدم لنا جيمس هوج مثالاً أدبياً واضحاً عن هذا الرأى الذى يتناقض مع القوانين والمبادىء فى حالة تاريخية مشهورة يمكن أن نتبينها فى الراهب الروسى راسبوتين . تلك العبقرية الشريرة من أسرة رومانوف فى السنوات الأخيرة من حكمها . لقد علّم راسبوتين ومارس عقيدة الخلاص من خلال ممارسات متكررة للخطية والتوبة ، وكان يقول بأن الذين يخطئون أكثر يحتاجون إلى مغفرة أعظم . فإن الخاطىء الذى يداوم على فعل الخطية بكثرة يحصل فى كل مرة يتوب فيها على قدر أكبر من نعمة الله الغافرة للخطايا ، أكبر مما يحصل عليه الخاطىء العادى . إن سجلات الكثير من الأطباء النفسانيين تكشف لنا أن وجهة النظر هذه كانت شائعة إلى درجة أكبر مما هو معروف عنها فى واقع الأمر ، حتى وإن لم يعبر عنها أو تمارس بالصورة الوقحة الملفتة للأنظار التى درج عليها راسبوتين .

إن بعضاً من الذين آمنوا بفضل كرازة بولس وتعليمه ، كانوا يرون أنه على حق فى اهتمامه بمثل هذا الموضوع . فلقد كان مما يسوءهم أن يحرِّف أعداءه تفسير إنجيله بجعله معادلاً لمقولتهم « لنفعل السيئات لكى تأتى الخيرات » (رومية ٣ : ٨) ، وكان الأسوأ عندما يسلك المؤمنون على هذا النحو كما

لو أن الإنجيل قد أعطاهم الرخصة بأن يفعلوا أى شيء يستحسنون فى نظرهم فعله . إن رسائل بولس إلى كورنثوس تظهر مدى المشقة التى سببها له الأمم الذين أمنوا على يديه فى هذا الخصوص . ومن الواضح أن بعضهم قد تصور أن العلاقات الجنسية غير السوية على سبيل المثال ، هى أمور ليست ذات أهمية . ومن الأساليب اللغوية التى استخدمها فى إرشاد وهداية المؤمنين فى كنيسة كورنثوس ، قوله بحرمان الرجل الذى كان يعيش فى مثل هذه العلاقة الجنسية المحرمة . ومن ذلك يتبين لنا أن بعض أعضاء الكنيسة لم يكونوا يرون فى مثل هذه العلاقة الشائنة أمرا يستهجنونه ، بل كانوا يظنون أنه لا يعدو أن يكون تأكيدا للحرية المسيحية (١ كورنثوس) . فلا عجب أن بعض المسيحيين الآخرين كانوا يؤكدون أن السبيل الوحيد لغرس المبادىء الخلقية السليمة فى مثل هؤلاء القوم هو مطالبتهم بحفظ ناموس موسى ، وفرض هذا الناموس عليهم كشرط للخلاص ، بالإضافة إلى متطلبات الإيمان بالمسيح ، وكضرورة تعلو على هذا الإيمان . ولكن خبرة بولس الذاتية قد علمته أن كل الذين يحفظون الناموس فى العالم ليس فى مقدورهم أن يحصلوا على ضمان غفران خطاياهم والسلام مع الله ، فى حين أن الإيمان بالمسيح يفعل ذلك على الفور . إنه لا يستطيع أن يرى فى أعمال الناموس علاجا للخلاعة والفسق والفجور ، بل هو عرف طريقا أفضل . فعندما يسلم الإنسان حياته للمسيح المقام ولقوة روحه فإن كيانه الداخلى يتغير تغييراً جذرياً ، ويصبح خليقة جديدة . وتقبل ذلك الشخص طبيعة جديدة تفرح وتبتهج بما تنتجه تلقائياً من ثمر الروح ، تلك النعم التى تجلت فى كمالها فى المسيح نفسه . وقد تبدّت هذه الأمور للكثيرين مبالغة فى التفاؤل من العسير عملياً تحقيقها (وما تزال إلى يومنا هذا تظهر فى هذه الصورة للكثيرين) ، ولكن بولس كان قد وثق بروح المسيح فى الذين آمنوا بكرازته ، وعلى المدى الطويل أثمرت هذه الثقة فى نفوس المؤمنين ، على الرغم من أنه كان عليه أن يعانى الكثير مما يكسر قلبه من ناحية أولاده الروحيين ، وأخيرا أن يرى ثمرة تعبه الطويل فيهم حين تأكد أن المسيح قد تصوّر فيهم ، وإننا نرى فى هذا القسم من رسالة رومية الذى نحن بصدده، بولس يعرض لتعليمه بإسهاب مجيبا على تلك المحاجة التى تزعم بأن على الفرد أن يمضى فى طريق الخطية ، حتى تزداد نعمة الله أكثر فأكثر .

(٢) (معنى المعمودية) (٦ : ٣ — ١٤)

يقول بولس : « إن أى شخص يجادل على هذا النحو ، يظهر أنه لم يبتدىء بعد فى فهم الإنجيل . إن الحياة فى الخطية لا يمكن أن تتواجد مع الموت عن الخطية ؛ ولكن ما هو معنى (الموت عن الخطية) ؟ .

إنه يقول : « اسمعوا ، هل تتذكرون ماذا حدث لكم عندما اعتمدتم ؟ فمن هذا القول ومن غيره من الشواهد من كتابات بولس ، يمكن أن نتيقن أن بولس لم يكن ينظر إلى المعمودية على أنها « اختيار إضافى غير ملزم فى الحياة المسيحية » ، وإنه ما كان ليفكر قط فى ظاهرة المؤمن غير المعتمد[1] . إننا قد نتفق مع بولس أو قد نختلف معه ، ولكننا يجب أن نعطيه الحق فى تمسكه وفى تعليمه بما يؤمن به ، وأن لا نشوه معتقداته بالتوفيق بينها وبين ما كنا نفضل أن يقوله (وهذا الأمر ينطبق على موضوعات أخرى كثيرة غير عقيدة بولس فى المعمودية) .

فمن الواضح أنه فى الأزمنة الرسولية كانت المعمودية تلى مباشرة الاعتراف بالإيمان بالمسيح . إن الروايات المتكررة عن المعمودية فى سفر أعمال الرسل تعطينا البرهان الكامن عن هذا الأمر . أما حادثة معمودية التلاميذ الاثنى عشر فى أفسس (أعمال ١٩ : ١ — ٧) ، فهى الاستثناء الذى يبرهن على هذه القاعدة . ففى حقيقة الأمر إن الإيمان بالمسيح والمعمودية لم يكونا إلى حد ما خبرتين متميزتين بقدر كونهما جزءين من خبرة كلية واحدة ، فالإيمان بالمسيح كان عنصراً ضرورياً فى المعمودية ، إذ بدونه يكون التعميد بالماء حتى ولو صاحبته الكلمات المناسبة ، لا يمكن أن يكون بأى حال من الأحوال معمودية .

ولكن ما الذى كان يحدث عندما يعمد المؤمنون ؟ فى هذا يقول بولس إن حياتهم السابقة تنتهى ، وتبدأ حياة جديدة . إنهم فى الحقيقة قد دُفنوا مع

---

(١) إن إشارات بولس إلى المعمودية فى ١كو ١ : ١٤ — ١٧ لا تعنى أنه ينظر إلى سر المعمودية على أنه غير مهم ، بل إن من يقوم بعملية العماد نفسه شخص غير مهم ، وهو يسلم جدلاً بأن جميع أعضاء الكنيسة (كنيسة كورنثوس) كانوا معمدين (١ كو ١ : ١٣ ، ٦ : ١١ ، ١٠ : ١ وما بعده) .

المسيح حينما غُطّسوا فى مياه المعمودية ، كرمز على أنهم قد ماتوا عن حياتهم القديمة فى الخطية وملا بساتها ، وقاموا ثانية مع المسيح عندما خرجوا من الماء ، كرمز على أنهم قد تقبلوا حياة جديدة .

لا تقل بأى حال من الأحوال عن اشتراكهم فى حياة القيامة للمسيح ذاته . (أنبقى فى الخطية لكى تكثر النعمة ؟) . ولكن كيف يمكن أن يحدث هذا الأمر إذا ما كانت حياتهم التى يحيونها الآن ، حتى وهم فى أجسادهم المائتة ، هى الحياة التى صارت لهم بالاتحاد مع المسيح المقام ؟ إن هذه الفكرة فى صميمها مناقضة أخلاقية عبر عنها بولس بهذه الكلمات .

ولكن كيف يمكن تحقيق هذا الأمر من الناحية العملية ؟

يقول بولس : (احسبوا أنفسكم أمواتا عن الخطية) . (وقدموا أجسادكم له كآلات لعمل إرادته . لقد كنتم فى السابق مستعبدين للخطية ، ولكن علاقتكم القديمة مع الخطية قد نُقضت ـــ لقد نُقضت بلا رجعة بالموت الذى أبطلها . وأى موت ؟ إنه الموت الذى (ماتوه فى المسيح) . فإنكم وقد اتحدتم معه بالإيمان قد صار موته موتا لكم . لقد صلبتم إنسانكم العتيق على صليبه . كان على المسيح أن يتعامل مع الخطية ، بنفس الأسلوب الذى تتعاملون به أنتم معها ، فقد كان عليه أن يتعامل معها بصفته حامل خطايا البشرية ، بينما أنتم تتعاملون معها كخطاة . وكحامل لخطايا شعبه مات المسيح ، ولكنه الآن يحيا حياة قيامته . إنه لم يعد يحمل بعد خطايا شعبه ، فإنه فى الوقت الذى مات فيه عن خطاياهم ، قام من بين الأموات ، والآن لم يستطع الموت أن يلمسه مرة أخرى . فإذ تعتبرون أنكم قدمتم بموته ، وأنكم قد قدمتم الآن إلى حياة جديدة بقيامته ، وفإن الخطية لن تسود عليكم بعد الآن .

إنكم الآن تعيشون تحت النعمة ، والنعمة لا تستثير فينا دوافع الخطية ، على نحو ما يفعل الناموس ، لقد حررتكم النعمة من الخطية ، وصار فى مقدوركم أن تسودوا عليها . فكيف تفكرون الآن فى المضى فى طريق الخطية ، لمجرد أنكم تعيشون تحت النعمة وليس تحت الناموس ؟

إن أى فرد يتكلم هكذا يكون أبعد ما يكون عن معرفة أبسط معانى النعمة الإلهية .

عدد ٣ : (اعتمدتم فى يسوع المسيح) : (فى الترجمة العربية اعتمدتم ليسوع المسيح) (قارن غل ٣ : ٢٧) : « لأنكم كلكم الذين اعتمدتم فى المسيح قد لبستم المسيح .. وهذا يعنى أنهم قد اندمجوا فيه ، وصاروا أعضاء جسده (قارن ١ كو ١٢ : ١٣) . ومن ثم اشتركوا بوحدة الإيمان معه فى الخبرات التى كانت له تاريخيا ؛ صلبه ، وموته ، وقيامته ، وتمجيده .

ويلقى بولس مزيداً من الضوء على عقيدة المعمودية فى ١ كورنثوس ١٠ : ٢ ، حيث قيل عن الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر إن (جميعهم اعتمدوا لموسى فى السحابة وفى البحر) .

وهكذا كانت المعمودية ختما لمؤمنى الخروج ، وعتقا لهم من عبودية الخطية .

(فدفنا معه فى المعمودية) . إن الدفن يضع خاتمة على الموت ، وعلى هذا تكون معمودية المسيحيين رمزا للدفن الذى بمقتضاه يصل النظام القديم للحياة إلى نهايته ، ويحل محله نظام جديد للحياة فى المسيح .

(**أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب**) إن المجد هنا هو بصفة خاصة جداً (قوة الله المجيدة) ، عمل شدة قوته الذى عمله فى المسيح إذ أقامه من الأموات (أفسس ١ : ١٩و ٢٠ ؛ قارن كولوسى ٢ : ١٢) .

عدد ٦ : (إن إنساننا العتيق قد صلب معه) : الإنسان الذى كان لنا يوما قد صلب مع المسيح .. إن هذا الصلب لم يكن اختياراً حالياً ، بل كان حادثة فى الماضى ، عبر عنها فى صيغة (الماضى الذى لا يتضمن أن العمل ليس مستمراً أو متكرراً) . فى اللغة اليونانية ، إن أولئك الذين اتحدوا بالإيمان بالمسيح يحسبون كأنهم قد صلبوا معه عندما صُلب . قارن غلاطية ٢ : ٢٠ « مع المسيح صلبت (فى صيغة الماضى التام) ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ . فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان إيمان ابن الله ، الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » .

وبالمثل يتكلم بولس فى غلاطية ٦ : ١٤ عن صليب ربنا يسوع المسيح ، الذى به قد صلب (صيغة الماضى التام) العالم لى ، وأنا للعالم . وفى هاتين

الفقرتين من غلاطية تدل صيغة الماضى التام عن حالة حاضرة نتجت عن حادثة ماضية فى رو ٦ : ٦ . وعلاوة على هذا ، فهناك فى غلاطية ٦ : ١٤ احتمال إلى نظرة جانبية لمعنى بديل للفعل (صلب) (باليونانية Stauroō) ، أى سيج حولى ؛ وعلى هذا ربما تتضمن كلمات بولس « إن الصليب يصبح بمثابة حاضر دائم بين العالم وبينى ، وبينى وبين العالم ؛ والإنسان العتيق[1] (قارن كولوسى ٣ : ٩ وأفسس ٤ : ٢٢ ، ينتمى إلى الزمن الحاضر الشرير ، والذى ينقذ موت المسيح شعبه منه (غلاطية ١ : ٤) .

« ليبطل (يلاشى) جسد الخطية » أو (لإبادة الذات الخاطئة) ، كما جاءت فى ترجمة أخرى ، أى (الجسد) والطبيعة غير المتجددة بميولها المنحطة .

آدم القديم ، أو الإنسان العتيق الذى وجدت فيه الخطية شريكاً مهيأً لها ، وهذه يمكن ترجمتها إلى « شريك » غير فعال . إن جسد الخطية هذا هو أكثر من مجرد كونه مسألة شخصية ، إنه بالأحرى ذلك التكافل القديم بين الخطية والموت ، والذى يشترك فيه الجميع فى آدم ، والذى أبطل بموت المسيح ، وبنظرة إلى خلق التكافل الجديد للبر والحياة ، والذى بمقتضاه أصبح المؤمنون شركاء فى المسيح . إنه ليس الجسد البشرى بمعناه العادى الذى يقتضى الأمر إبادته أو تعطيل عمله ، ذلك لأنه ليس للمعمودية هذه الفعالية . وهناك تلازم بين تعبيرات (جسد الخطية) فى رومية ٦ : ٦ ، وجسد هذا الموت فى رومية ٧ : ٢٤ ؛ جسد الخطية فى رومية ٨ : ٣ .

عدد ٧ : (لأن الذى مات قد أعتق من الخطية) : وحرفيا : لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية . وهذه النقطة قد قامت ترجمة أخرى بإعادة صياغتها بألفاظ أخرى مع المحافظة على معنى نص الآية جاءت على النحو التالى : (إن الإنسان الميت لم يعد مسئولا عن خطيته) .

فإن الموت يسدد جميع الديون ، وعلى هذا فإن الإنسان الذى قد مات مع المسيح صارت صفحته بيضاء ، وأصبح مستعداً للحياة الجديدة مع المسيح محّررا من أدران الماضى .

---

(١) انظر التعليق فى المقدمة تحت عنوان الجسد والروح فى رسالة رومية .

عدد ١٠ : (ماته للخطية مرة واحدة) : أى ماته للخطية مرة وإلى الأبد ، أو ماته للخطية نهائيا . فالكلمة اليونانية المستخدمة هنا قد استخدمت مرات متكررة فى الرسالة إلى العبرانيين للتأكيد على الحقيقة المطلقة لذبيحة المسيح وأنها نهائية وحاسمة . لقد تعامل بموته بكفاية وحسم ، مع الخطية ، محققاً انتصاره عليها ، بحيث لم يعد محتاجاً إلى أن يخوض معها معركة ثانية ، وبحيث لم يترك عدواً آخر يحتاج إلى أن يقهره .

عدد ١١ : (كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ، ولكن احياء لله) : وفى كلمات أخرى عيشوا كما لو كنتم قد دخلتم فى حياة القيامة . إن هذا الحسبان ليس ممارسة باطلة لا جدوى من ورائها ، بل هى فى الحقيقة ممارسة ذات ثمار معنوية لأن الروح القدس يحقق فى المؤمنين فاعلية ما عمله المسيح من أجلهم ، فيعطيهم القدرة على أن يصيروا فى الخبرة اليومية بقدر ما يمكن أن يكونوا عليه فى ظروف الحياة الحالية ــ ما هم عليه فعلاً (فى المسيح) وما سيصيرون إليه فى حياة القيامة ، وهذا هو موضوع الأصحاح الثامن ١ : ٢٧ .

(بالمسيح يسوع ربنا) والقراءة المبسطة لها : « فى المسيح يسوع » . إن العبارة الإضافية (ربنا) ، ربما تكون قد وجدت طريقها إلى النصوص المتأخرة تحت تأثير ما جاء فى (٥ : ٢١ ، ٦ : ٢٣) .

عدد ١٢ : (لكى تطيعوها فى شهواتها) : إن أفضل نص محقق لهذه الآية يلغى (فى) ومن ثم تكون قراءتها (لكى تطيعوا شهواتها) . أى (تطيعوا شهوات الخطية فى جسدكم المائت) .

عدد ١٤ : (فإن الخطية لن تسودكم ، لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة) : إن الناموس تطلب الطاعة ، ولكن النعمة تعطى القوة على الطاعة ، وعلى هذا تنقض النعمة سيادة الخطية ، وهو ما لم يكن فى سلطان الناموس أن يفعله .

(٣) القياس التمثيلى بسوق العبيد (٦ : ١٥ ــ ٢٣) :

يستخدم بولس بعد ذلك قياس التمثيل لسوق العبيد ، لتوضيح فكرته أن العبد مقيد بأن يطيع سيده ، إلا أن هناك مرحلة لا يكون فيها لسيده سلطان

عليه ، وهى مرحلة الموت . فعندما يموت العبد يستطيع سيده أن يستمر فى إعطاء أوامره إلى جثته إلى أن تغطى الزرقة وجهه ، لكن الجثة لن تعيره أدنى انتباه . ويقول بولس : «إنكم كنتم يوما عبيداً للخطية . وكانت الخطية سيداً لكم ، وكنتم مجبرين على أن تفعلوا كل الأمور الشريرة التى تأمركم الخطية أن تفعلوها ، فلم تكونوا تملكون القوة لأن تقولوا : « لا » ، ولكنكم الآن قد متم فيما يختص بعلاقتكم بها ، ولم تعد بكم حاجة إلى المبالاة فى ما بعد بالأوامر التى تمليها عليكم الخطية .

[أو لنعرض لهذا الأمر بطريقة أخرى فنقول : لا يعود للسيد السابق للعبد أدنى سلطان عليه حين تنتقل ملكية العبد إلى سيد آخر ، وذلك هو ما حدث لكم . لقد انتقلتم من عبودية الخطية إلى عبودية الله وعبادته . إن مهمتكم الآن أن تفعلوا كل ما يريده الله ، لا ما تمليه عليكم الخطية . هناك اختلاف كبير حقاً بين نوعية الأمور التى تفعلونها كعبيد لله . والأمور التى اعتدتم أن تفعلوها وأنتم عبيد للخطية . وليس هناك اختلاف فى طبيعة الأمور فى هذين النوعين من الخدمة فحسب بل إن هناك فرقاً كبيراً بين أهداف وغايات هذين النوعين من الخدمة . إن الخطية تدفع أجوراً لخدامها ، والموت هو أجرة الخطية . لكن الله لا يدفع لنا أجوراً عن تقديم ذواتنا له ، بل شيئاً أفضل ، وأسخى وأكرم ، فهو يعطينا بنعمته الحياة الأبدية كعطية مجانية . تلك الحياة الأبدية التى صارت لنا باتحادنا بالمسيح] .

ما الذى يمكن أن نفكر فيه فى شأن هذه المناقشة ؟ أتكون قضية قانونية ، أو موعظة تدفعنا إلى أن نجمع ذواتنا معا ، ونبدأ معا بداية جديدة ، وبعزم صالح بأن نفعل أفضل ما نستطيع فى المستقبل ؟ (احسبوا أنفسكم أمواتاً فى علاقتكم بالخطية ، ولكن أحياء فى علاقة جديدة مع الله بفضل شركتكم مع المسيح) . هذا هو ما يقوله لنا بولس فى الآية (١١) . أيكون هذا مجرد جهد إرادى ، أو محاولة تخيلية فحسب ؟ لا ، إنها ليست كذلك بل هى شىء تبرهنت واقعيته فى حياة كثيرين ، لم يجدوا صعوبة فى فهم ما يعنيه بولس . ذلك أن الله الذى يتكلم عنه هو الإله الحى ، وعندما يقدم البشر (رجالاً ونساءً) ذواتهم له ، ليستخدمها فى خدمته فإنه يقبلهم كخدامه وعبيده ويعطيهم القوة لأن يفعلوا إرادته . كما أن المسيح الذى يتحدث عنه بولس ، هو المسيح الذى مات حقا وقام ثانية ، وهو موجود فى حياة الذين يؤمنون

به ويضعون ثقتهم فيه : إنه يحطم قوة الخطية التى أبطلها .

عدد ١٥ : (أنخطىء لأننا لسنا تحت الناموس ، بل تحت النعمة ؟) : هذه هى المجادلة المتناقضة كما فى الآية الأولى ، مع فارق بسيط فى شكل الكلمات ، يوحى بها ما جاء فى الآية ١٤ . إن الإنسان الذى هو تحت النعمة ، هو الإنسان الذى يشترك فى حياة المسيح . فكما أن حياة المسيح كانت بل وهى متميزة بالطاعة التلقائية وتجد مسرتها فى إطاعة إرادة الله ، فهكذا ستكون حياة اولئك الذين فى المسيح متميزة بنفس الطاعة . (أحب الله وافعل ما تشاء) هو قول مأثور بالنسبة للذين انسكب حب الله وفاض فى قلوبهم بالروح القدس الساكن فيهم ، ولن يكون من نتيجته إلا أن يفعلوا مسرة الله .

ولئن تجعل من كونك (تحت النعمة) عذراً للخطية التى ترتكبها ، فإن هذا معناه أنك لست على الإطلاق (تحت النعمة) .

عدد ١٦ : (أنتم عبيد للذى تطيعونه) : وهناك ترجمة أكثر حرفية لكلمة (للذى) للصيغة اليونانية الدالة على حالة من حالات النصب تكون فيها الكلمة مفعولا به غير مباشر . ولهذا جاءت فى ترجمة أخرى « أنتم عبيد للسيد الذى تطيعونه » .

عدد ١٧ : (نشكر الله أنكم كنتم عبيداً للخطية ، ولكنكم ..) : إذا قرأنا هذه الكلمات بصوت مرتفع ، فيجب أن نضع تأكيدنا على الفعل (كنتم) .. كما لو كنت تقول : (نشكر الله على أن ذلك الأمر أصبح الآن أمراً من الماضى) . أما ترجمة R.V : (نشكر الله ، فإنكم لما كنتم عبيداً للخطية فأصبحتم مطيعين .. ، ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التى تسلمتموها) . صورة التعليم أو (مثال التعليم) من المحتمل أن تكون خلاصته الأخلاقيات المسيحية ، المستندة إلى تعاليم المسيح ، والتى كانت تقدم بصورة منتظمة للمؤمنين فى الكنيسة الأولى لهدايتهم إلى طريقة الحياة التى يجب عليهم أن يسيروا عليها من ذلك الحين فصاعداً . إنها مجموعة التعليم التى أطلق عليها بولس فى ما بعد « التقليد » (قارن ١ كو ١٠ : ٢ ، تس ٢ : ١٥ ، ٣ : ٦) ــ إن الاسم اليونانى paradosis مشتق من الفعل المترجم « تُسلّم » ويمكن أن يستنتج من العديد من ملخصات هذه التعاليم فى الرسائل أنها رتبت فى شكل تعليمى فى عصر مبكر . ولكن « مثال التعليم » كان متجسداً فى

المسيح نفسه الذى ينتمون الآن إليه .

عدد ١٨ : (**وإذ أعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر**) : بمعنى أنكم وقد تحررتم من طغيان الخطية واستعبادها لكم ، وليس « تبرأتم » من الخطية كما فى الآية ٧ .

عدد ١٩ : (**أتكلم إنسانيا من أجل ضعف جسدكم**) : أى أننى أتكلم بطريقة البشر مستخدما أسلوب التماثل القياسى (قارن ١ كو ١٥ : ٣٢) لمساعدة قصور فهمكم وضعف إدراككم . (والاثم للاثم) : أى حسب ترجمة R.S.V (من اثم أعظم فأعظم) .

عدد ٢٠ : (**كنتم أحراراً من البرّ**) : أى أن الخطية (وليس البر) كان سيدكم فى ذلك الحين .

عدد ٢١ : (**لأن نهاية تلك الأمور هى الموت**) : قارن ١ : ٣٢ « حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه الأمور يستوجبون الموت » .

عدد ٢٢ : (**فلكم ثمركم للقداسة**) : (إن العائد الذى تنالونه هو التقديس) — وهذا فى الحقيقة هو موضوع هذا القسم من الرسالة (الأصحاحات ٦ — ٨) . إن أولئك الذين تبرروا قد تقدسوا الآن ، وإذا لم يتقدس الإنسان ، فلن يكون هناك أى سبب لاعتقاده بأنه قد تبرر .

الأصحاح السابع

ب ــ التحرر من الناموس (٧ : ١ ــ ٢٥)

(١) القياس التمثيلى بالزواج (٧ : ١ ــ ٦)

نستطيع أن نفهم جيداً حاجتنا إلى التحرر من الخطية ، ولكن لماذا كان اهتمام بولس على هذا النحو بضرورة التحرر من الناموس ؟ إن الناموس هو شريعة الله ، والناموس يحرم الخطية ، والناموس يأمر بالبر . وأكثر من ذلك ، فلقد وجد رجال الله فى إسرائيل فى الأيام الخوالى ، فى الناموس وقاية ضد الخطية .

ويقول أحد كتبة المزامير : (سلامة جزيلة لمحبى شريعتك وليس لهم معثرة) (مز ١١٩ : ١٦٥) . وكان فى مقدور آخر أن يقول : (ناموس الرب كامل يردُّ النفس) (مز ١٩ : ٧) .

ولكن بولس يتكلم بطريقة مختلفة ، هو يتكلم عنه من واقع خبرته الشخصية .

إن فى ناموس الله فى ذاته ليس فيه أى خطأ . إنه (مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة) . (رومية ٧ : ١٢) . أما الأمر الخاطىء حقيقة فهو مفهوم الديانة على أنها مجرد حفظ الناموس ، والفكرة القائمة على أن الاجتهاد فى التوافق مع أحكام الناموس وعدم التعدى عليها يمكن أن تكسب الفرد استحقاقا أمام الله .

وعندما وصف بطرس فى مجمع أورشليم الناموس على أنه « نير » لم يستطع أباؤنا ولا نحن أن نحمله (أع ١٥ : ١٠) ، فإنه تكلم عنه كعضو مثالى من جمهور أفراد الأمة اليهودية ، وكواحد من عامة الشعب . ومن المحتمل أن تفكيره لم يكن من الشريعة المكتوبة فحسب ، وإنما أيضاً تفسيراتها الشفاهية التى تسلموها من خلال أجيال متعاقبة من الكتبة . وقيل فى هذا التقليد الناموسى إن موسى قد تلقاه على جبل سيناء وسلمه إلى يشوع ، ومنه إلى الشيوخ ، ومن الشيوخ إلى الأنبياء ، ومن الأنبياء إلى رجال المجمع العظيم .

ويقول (شمعون البار) ، وهو أحد الذين بقوا على قيد الحياة من المجمع العظيم . إن هذا بدوره قد سلمه إلى (أنتيمونوس) من (سوكوه) . وبعد أُسلم بدوره إلى أربعة أزواج متتابعين من علماء الشريعة ، جيلاً بعد جيل ، ومن بعدهم تسلمه هليل وشماى ، مؤسسا المدرستين الرابيتين العظيمتين والتين كان لهما السيادة والسلطان فى زمن المسيح والرسل . ولم يكن لدى أحد غير هؤلاء الذين كرسوا حياتهم للحفاظ على الناموس من كل القلب ، مفسراً بحسب تقليد الشيوخ ، أى أمل فى تحقيق النجاح ، أما هم فكان ذلك بالنسبة لهم أملا حقيقيا . إن الشاب الناموسى الغنى الذى قال ليسوع إنه قد حفظ كل الوصايا منذ حداثته ، لم يكن كاذباً أو مرائياً (لو ١٨ : ٢١) . وعندما أرسل بولس بصره إلى الوراء أى بعد نحو عشرين سنة أو أكثر من اهتدائه إلى المسيحية ، متأملاً فى حياته السابقة كفريسى قال (من جهة البر الذى فى الناموس ، بلا لوم) (فيلبى ٣ : ٦) . وكان فى هذا الأمر متحدثاً بأسلوب متزن عن حقيقة واقعية من حياته السابقة . ومع ذلك فلقد وجد فى يسوع حياةً جديدةً ، وقوة جديدة ، وفرحاً جديداً ، وسلاماً جديداً . وهو الأمر الذى لم يسبق له على الإطلاق معرفته ، ومع هذا كله براً جديداً — ليس ... برًّ الذى من الناموس بل الذى بإيمان بالمسيح ، البر الذى من الله بالإيمان (فيلبى ٣ : ٩) .

ولكن فى هذا القسم من الرسالة إلى رومية يقول قولاً أكثر وضوحاً وجلاءً مما قاله فى أى موضوع آخر ، كيف أنه وجد الناموس غير كافٍ فى ذاته كطريق يضمن لنا موقفاً بارا أمام الله . ولقد سبق له أن ألمح إلى هذا الأمر فقال : (بالناموس معرفة الخطية) (رومية ٣ : ٢٠) . كما قد قال لقرائه من المسيحيين : (فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة) (رو ٦ : ١٤) .

ولكن ما دخل كونهم لم يعودوا فى ما بعد تحت الناموس فى تحريرهم من سلطان الخطية ؟

فلو أنه قال لهم : إن الخطية لن تسودكم ، لأنكم لم تعودوا تحت الخطية .. لكان فى استطاعتنا أن نفهمه بسهولة على الرغم من أننا قد نعتبر هذه العبارة حشواً وتكراراً للمعنى ولكن بولس كان يعرف جيداً ما يريد أن يقوله ، كما

تخيّر كلماته بدقة . إن التحرر من الخطية والتحرر من الناموس هما أمران سارا جنباً إلى جنب ، وتلازما فى علاقة وثيقة فيما بينهما ، وهو ما وقف عليه من خلال خبرته . فإذا كان قد أوضح فى الأصحاح السادس التحرر من الخطية بمصطلحات العلاقة بين العبد وسيده ، فإنه فى الأصحاح ٧ : ١ ــ ٦ يوضح التحرر من الناموس بمصطلحات العلاقة بين الزوجة وزوجها . فهو يقول إن الزواج علاقة تستغرق الحياة على امتدادها . إن الزوجة مرتبطة بزوجها طالما أنه على قيد الحياة ، فإذا ما تركته فى حياته إلى رجل آخر فإنها توصم كزانية . ولكن إذا مات ، تغدو حرة فى أن تصبح زوجة لرجل آخر بدون أن تتعرض لما قد يسيء إلى سمعتها أو يشينها . إن الموت يفصم رباط الزوجية ــ كما أن الموت ينقض علاقة الإنسان بالناموس . وعندما يطبق بولس هذا القياس التمثيلى فإننا نشعر على التو وندرك أنه قد حدث قلب للوضع ، ذلك أن المؤمن بالمسيح يقارن بالزوجة ، والناموس يقارن بالزوج ــ وحيث أن الزوج هو الذى مات فى هذا العرض التوضيحى ، أما فى التطبيق العملى فلم يكن الناموس هو الذى مات ، بل المؤمن ، إن المؤمن قد مات مع المسيح ، ومع ذلك فما يزال المؤمن هو الذى لم تعد له صلة أو ارتباط بالناموس ، وله حريته فى الاتحاد بالمسيح . ومهما يكن الأمر ، فإننا إذا وضعنا هذه المسألة فى كلمات أبسط ، فإننا نستطيع أن نعبِّر عن المعنى الذى قصده بولس فى سهولة تامة : فكما أن الموت ينقض الرباط القائم بين الزوج وزوجته ، فهكذا الموت ــ موت المؤمن مع المسيح ــ ينقض العلاقة السابقة التى تربطه بالناموس ، والآن أصبح حراً فى أن يدخل فى اتحاد مع المسيح . إن ارتباطه السابق بالناموس لم يكن من إنتاج ثمار البر ، إلا أن هذه الثمار الآن تنتج بدرجة متزايدة فى وفرتها منذ اتحاده بالمسيح . كانت الخطية والموت هما نتاج ارتباطه بالناموس ، فى حين أن البر والحياة هما نتاج ارتباطه الجديد ، ذلك (وكما عبر عنه بولس فى مكان آخر) لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى (٢ كو ٣ : ٦) .

إن مثل هذا الموقف تجاه الناموس لابد وأنه قد تبدّى للكثيرين من قرائه فى ذلك الوقت بأنه مناف للطبيعة أو العقل ، وأنه من المحال الأخذ به (ومنذ ذلك الحين لا يزال ينظر إليها هكذا من الكثيرين من القراء) ، إلا أن بولس يمضى فى توضيحه وشرحه فى ضوء خبرته الشخصية ، ويقدم لنا أعظم قطعة للاستنارة العقلية من سيرته الذاتية الروحية ــ وهى فى جزء منها فى الماضى

التام ، وفى جزء منها فى صيغة المضارع .

عدد ١ : (**لأنى أكلم العارفين بالناموس**) : ويفضل أن تترجم : (إننى اتحدث إلى أولئك الذين لهم بعض المعرفة بالناموس) ، ولا يهم فى هذه المرحلة من المناقشة ما إذا كانوا يعرفونه فى شكل الناموس اليهودى أو القانون الرومانى . وعلى أى حال فإن الأمر الواقع يقتضى بأن يكون الفرد خاضعاً للقانون طالما كان على قيد الحياة ، وليس بعد ذلك .

عدد ٢ : (**إن المرأة التى تحت رجل أى لها زوج هى مرتبطة بالناموس بالرجل الحى**) : فى بعض الترجمات تجيء القراءة (مع الناموس) بدلاً من (بالناموس) . وعلى العموم فإن هذه العبارة حقيقية سواء كان الناموس اليهودى أو القانون الرومانى . (ناموس زوجها) الذى يربطها بالرجل ويجعله سيدها .

عدد ٣ : (**تدعى زانية**) : (**قارن مرقس ١٠ : ١٢**) : إن الفعل اليونانى المستخدم هنا والمترجم **تدعى** هو الفعل اليونانى اللازم بمعنى تصبح معروفة جهاراً « ك » (واستعمل فى أعمال ١١ : ٢٦ عن إعطاء تلاميذ يسوع اسم مسيحيين) .

عدد ٤ : (**لكى تصيروا لآخر الذى قد أقيم من الأموات**) : فبعد أن قام المسيح من بين الأموات فإنه لا يموت أيضا (٦ : ٩) وعلى هذا فإن صلة الزواج هذه لن تنفصم بالموت ، كما كان الحال مع العلاقة القديمة .

(لنثمر لله) : إنه لأمر بعيد الاحتمال بعض الشيء أن نفكر فى أن الصيغة المجازية عن الزواج ظل مأخوذا بها ، بحيث يكون الإثمار الذى يتحدث بولس عنه هنا ينظر إليه على أنه نتاج للزواج الجديد . إن الثمر هنا يماثل قوله فى ٦ : ٢٢ (فلكم ثمركم للقداسة) . وهو يعنى به الحياة البارة التى تتميز بكوننا صرنا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها (أفسس ٢ : ١٠) .

عدد ٥ : (**لأنه لما كنا فى الجسد**) : أى عندما كنا غير متجددين . (كانت أهواء الخطايا التى بالناموس تعمل فى أعضائنا لكى نثمر للموت) : أى أن عواطفنا الخاطئة التى يستثيرها الناموس عملت فى أجسادنا لكى نحمل

ثمراً للموت . وتظهر لنا الآيات ٧ ـــ ١٣ كيف أن الناموس يمكنه أن يستثير العواطف الخاطئة . « لكى نثمر للموت » تتكون من الأعمال الشريرة التى نهايتها الموت بحسب ما جاء فى ٦ : ٢١ .

عدد ٦ : (وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذى كنا ممسكين فيه) : والأفضل أن نقول : (إذ قد متنا عن ذلك الذى كنا ممسكين فيه) . إنه بفضل هذا الموت (الموت مع المسيح ، والموت عن الخطية) قد تحررنا (أو بالأحرى بإسباغ الروح القانونية) ، (أعفينا من مسئوليتنا القانونية التى كان يقتضيها وضعنا السابق تحت الناموس) .

(بجدة الروح) أى بالحياة الجديدة التى يحياها المؤمنون فى الروح . قارن العبارة الأخيرة مع الآية ٨ : ٩ .

(لا بعتق الحرف) . إن الحياة القديمة السابقة للمسيحية ، لأولئك الذين كانوا ، مثل بولس ، قد نشأوا كحفظة للناموس ، تميزت بالخضوع لمجموعة مبادىء أو قواعد خارجية . ولكن الآن فإن الروح يسد حاجاتهم الداخلية ويشبعها من خلال هذا المبدأ القانونى التنظيمى ، والذى كان للناموس يوما (ومن ثنايا تنظيماته القانونية القاصرة) يسدها ويشبعها من النواحى الخارجية والظاهرية فحسب . إن المناقضة بين الروح و (الحرف) تشير إلى عصر جديد يتحقق فيه الميثاق الجديد الذى سبق لإرميا الإخبار عنه (إرميا ٣١ : ٣١ ـــ ٣٣) (قارن رومية ٨ : ٤) .

(٢) فجر الضمير (٧ : ٧ ـــ ١٣)

والآن كيف ثبت أن الناموس يستثير الخطية من واقع اختبار بولس الشخصى ؟ .

إنه يقول لنا إنه لم يكن لديه فى يوم ما إحساس أو شعور بالخطية ، إنه لم يكن فى أيامه الباكرة على علم ومعرفة بالناموس ، حيث كان يحيا حياة سعيدة مبتهجة خالية من الهم . ولكن ظلال بيت السجن بدأت تطبق على الفتى اليافع . فلقد أتى اليوم الذى صار فيه لزاما على بولس أن يلتزم بحفظ الناموس . وقد تكون المناسبة حفل (barmitzweh) الذى يصبح فيه الولد عندما يبلغ الثالثة عشرة ـــ ابنا للوصية .. بمعنى إقراره بمسئوليته الشخصية لحفظ الناموس ، أو تكون الفترة السابقة أو اللاحقة مباشرة على هذا الحفل .

إن الالتزام بحفظ الناموس يقتضى فى المقام الأول أن يعرف الوصايا العشر ، ويطيع أحكامها . ونظراً لكون المخطوطات موضوعاً للمعرفة العامة من الجميع ، فهى توقظ الميول الكامنة فى النفس للإقدام على عمل المحرمات ، ومثال ذلك فإن المدخن قد ينسى أن يدخن ولا يشعر بحاجته إلى التدخين إلا عندما تقع نظره على لافتة « ممنوع التدخين » .

وهنا إذاً كانت الوصايا العشر كلها فيما عدا واحدة ، محملة بالنواهى .

(لا) ، ولم يكن هناك ما يغوى بولس بأن يعبد تمثالاً أو صورة منحوتة أو أن يقتل ، أو أن يزنى ، أو أن يسرق . أما الوصية التى أثارت المشكلة فهى الوصية العاشرة التى تتعامل مع أحد النوازع الداخلية أكثر من تعاملها مع العمل العلنى والكلمة المباشرة الصريحة : لا تشته ؛ وقد كانت بمثابة حجر صدمة لبولس . إن الوصية فى صياغتها فى العهد القديم تحدِّد عدداً من الأمور التى لا يجب على المرء اشتهاءها — بيت قريبه ، وامرأته ، وعبيده ، وحيواناته ، أى أملاكه بوجه عام .

ولم يكفى فى كل هذه الأمور ما يستثير بولس بالضرورة إلى اشتهائها ، إلا أن المشكلة كانت بالنسبة إليه أعمق من ذلك بكثير . إن الشهوة فى ذاتها خطية ، بل إنها فى الواقع العنصر الأساسى فى معظم أشكال الخطية . وكما عبّر عنها بولس فى موضع آخر (كولوسى ٣ : ٥) . الشهوة عبادة صريحة للأصنام . قد تكون نزعة محظورة أو محرمة ، وقد تكون رغبة مشروعة فى حد دانها ، إلا أن عمق هذه النزعة وتمحورها حول عاطفة اعتبار الذات ، هى بمثابة اغتصاب للمكانة التى يحق لله وحده أن يحتلها فى نفوس البشر .

يقول بولس : (فإننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته) . ولكن هذه الوصية أقامت للخطية رأس جسر ، بدأت منه هجومها علىَّ ، ونتيجة لذلك أنشأت فىّ كل أنواع الشهوة . وبدون ناموس يحُرّك الخطية ويحيى فيها موات الأمل ، فإن الخطية تبقى كامنة ولا حراك فيها . ولكننى عندما أصبحت على وعى بالناموس ، دبت الحياة فى الخطية ، وصارت لها اليد العليا علىّ ، وصرت أنا فى الوضع المتدنى . وفى الواقع فإننا نجدها عبارة تبدو فى ظاهرها متناقضة حقا : (إن الناموس قد أعطى لكى يحفظه الإنسان ويحيا لكنه جاء له بالموت بدل الحياة) .

ويجب أن نشير إلى أن اعتبار الآيات (٧ : ٧ — ١٣) ، شرحا للسيرة الذاتية لبولس (وكذلك بالنسبة للآيات التالية لا تلقى اليوم القبول العام الذى كانت تلقاه سابقاً . ويقول أحد الكتاب المحدثين (إن هذا التفسير قد أحيل الآن إلى متحف السخافات التفسيرية) ولكنه أحسن طريق طبيعى لفهم هذا القسم من الرسالة ، كما أن المجادلات التى ثارت حوله لم تنته بعد إلى رأى حاسم . وبالطبع ، فإن بولس لم ينظر إلى خبرته الشخصية كأنها أمر فريد خاص به ، إنما هو يصفها كأنها تنطبق — بدرجة أو بأخرى — على الجنس البشرى بأكمله . ويقول ت . و . مانسون : (إن سيرة بولس الذاتية هنا هى سيرة حياة كل إنسان) . فالشهوة فى أى صورة كانت هى إحدى الظواهر العامة فى حياة البشر ، وقد تكون على هذه الصورة التى نراها هنا فى رومية ٥ : ١٢ — ١٤ ، كانت خطية آدم وتمرده على الله فى ذهن بولس كما كانت هى خطيته فعلاً . لقد لعبت الشهوة دورها فى سقوط آدم . وعندما يتكلم بولس عن الخطية ويصفها بأنها قد خدعته أو ضللته (الآية ١١) ، فإننا نتذكر اتهام حواء فى التكوين ٣ : ١٣ (الحية غرتنى فأكلت) ، ولكن بولس لم يكن ليروى قصة السقوط فى ضمير المتكلم لو لم يكن قد تعرف عليها باعتبارها وصفا حقيقيا أصيلاً لاختباره الشخصى ، وفى نفس الوقت وصفاً حقيقياً أصيلاً لاختبار سائر البشر .

ومن هذا المنظور ، كان بولس على الأقل ، يعرف نفسه على أنه (آدم نفسه فى صورة بولس) .

عدد ٧ : (بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس) : (قارن ٣ : ٢٠) : (لأن بالناموس معرفة الخطية) . وهكذا يصبح عمل الناموس تمهيدياً ، إذ يكشف للبشر خطاياهم وقصورهم ، كما يكشف لهم حاجتهم إلى التحرر ، وهو الأمر الذى لا تفعله سوى نعمة الله .

(لا تشته) : (خروج ٢٠ : ١٧ ؛ تث ٥ : ٢١) . إنه من الطبيعى لأفراد البشر أن يحتاجوا إلى بعض الأمور التى تعوزهم ، وعندما ينبهون إلى أن مثل هذه الأمور ممنوعة قانوناً ، يثور فيهم الميل أكثر إلى أن يطلبوها ، ويضعوا قلوبهم عليها .

عدد ٨ : (ولكن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية) : إن الخطية

تصوَّر فى هذه الآية والآيات التالية فى صورة العدو القوى . إن الكلمة المترجمة (فرصة) معناها قاعدة للعمليات الحربية . (انشأت فى كل شهوة) : إن (الشهوة) هنا هى ببساطة تعنى كل أنواع الرغبات الخاطئة ؛ ويشير (س . ك . باريت) إلى أن الشهوة والتى هى خرق أو نقض للناموس ، هى إساءة استخدام المحبة والتى هى (تكميل الناموس) (رومية ١٣ : ١٠) .

عدد ٩ : (**بدون الناموس كنت عائشاً**) : وعلى هذا فإن آدم لم يكن لديه أى شعور بالميول الخاطئة إلى وقت اختبار طاعته وامتحانها بالوصية « لا تأكل » . لكن بولس يفهم على نحو واضح جوهر قصة السقوط بصورة أفضل فى ضوء اختباره الشخصى .

(عاشت الخطية) والأفضل أن نقول : نبضت الخطية بالحياة .

عدد ١٠ : (**الوصية التى للحياة**) : إشارة إلى اللاويين ١٨ : ٥ واقتبست فى رومية ١٠ : ٥ (قارن رومية ٢ : ١٣) .

عدد ١١ : (**خدعتنى**) : إن الفعل المستخدم هنا مماثل للفعل المستخدم فى (٢ كو ١١ : ٣) (كما خدعت الحية حواء) ، وأيضاً المستخدم فى (١ تيموثاوس ٢ : ١٤) (لكن المرأة أغويت فحصلت فى التعدى) . قارن الفعل البسيط فى التكوين ٣ : ١٣ فى (غرتنى) . ولكن لا يجب التركيز كثيراً على التطابق التام مع قصة السقوط، ذلك أن تعليم بولس يقوم على أساس أن البشرية أخطأت فى آدم ، وليس فى حواء ، أما فى التكوين الأصحاح الثالث ، كما أشير فى تيموثاوس الأولى ٢ : ١٤ (لم يكن آدم هو الذى خُدع) .

عدد ١٣ : (**فهل صار لى الصالح موتا**) : (قارن إسدراس الثانى ٩ : ٣٦ و ٣٧) ، لأننا نحن الذين أعطينا الناموس ثم أخطأنا فإننا سوف نبيد ، ونحن وقلبنا الذى تلقاه ، أما الناموس فلن يفنى بل سيبقى فى مجده ، (بل الخطية لكى تظهر خطية منشئة لى بالصالح موتا) : بمعنى أنه لم يكن الناموس ، والذى ينص على أن من يطيع الناموس من البشر سوف يحيا ، هو السبب فى الوصول بى إلى حالة الموت . إن الناموس صالح ، ولا يمكن أن يفرز مثل هذه الحالة الشريرة .

إن الإثم هو الخطية ، فلقد انتهزت الخطية الفرصة التى قدمت لها عندما

أوضح لى الناموس ما هى الأمور الصالحة ، وما هى الأمور الخاطئة الشريرة (وهى القوة التى لم يكن الناموس معدا لكى يزود بها البشر) . ولقد اضطرتنى الخطية على الرغم من قدرتى على الحكم على ما هو صائب ، أن أفعل الأمور الشريرة التى سبق أن أوضح لى الناموس أنها خاطئة ، وبذلك أصبحت تحت الدينونة والموت . ونتيجة لهذا فلقد أدركت ، وعلى نحو لم يكن ممكنا لى أن أدركه ، كيف أن الخطية خاطئة جداً ، وأنها مضادة لله والتقوى ، وهو الوضع الحقيقى لها .

(٣) الصراع الداخلى (رومية ٧: ١٤ ــ ٢٥)

يستمر بولس فى هذا القسم متكلما فى صيغة ضمير المتكلم المفرد ، متخليا عن صيغة الماضى التام ، ومستخدماً صيغة الفعل المضارع . ليس ذلك فقط بل إن هناك توتراً داخليا ليس له وجود فى الآيات ٧ ــ ١٣ . هناك هاجمته الخطية بالخداع وأوقعته أرضاً ؛ أما هنا فإنه يمنطق نفسه بمقاومة عنيدة مؤلمة ، وإن لم يكن فى مقدوره أن ينهر العدو . هناك وصف ما حدث له فى هذا العصر الحاضر ، أما هنا فإنه يصف الدهر الآتى على أنه قد أتى فعلاً ، على الرغم من أن العصر القديم لم يمض بعد . إنه الآن يحيا كإنسان يعيش فى مستويين فى وقت واحد متطلعاً فى لهفة زائدة إلى أن يحيا الحياة التى تتناسب مع المستوى الأرفع ، ولكنه يحس فى لوعة وأسى بقوة الخطية الساكنة فى داخله ، والتى تشده فى غير هوادة إلى المستوى المتدنى والهابط ، وفى محاضرة عن وصف بولس لنفسه كإنسان (مبيع تحت الخطية) قال دكتور الكسندر هوايت (على كثرة ما يرسل إلى صاحب مكتبتى اليقظ كتباً جديدة [يمكن إرجاعها إن لم تعجبنى] ومنها الكتب التى تتناول رسالة رومية بالتعليق والشرح . فإنى أقبلها مباشرة باحثا عن الأصحاح السابع ، فإذا ما وجدت الشارح يقدم لى إنساناً زائفاً وهمياً ، فى هذا الأصحاح ، أسارع إلى إغلاق هذا الكتاب على الفور ، وأقوم على التو بإرجاعه إلى صاحب المكتبة الذى أتعامل معه وأقول له : لا ، شكراً لك .. ليس هذا هو الكتاب الذى يستحق أن أدفع فى مقابله شيئاً من المال الذى أبذل الجهد الشاق فى سبل كسبه) .

فما الذى عناه دكتور السكندر هوايت بهذا القول ؟

إنه يعنى أن وصف بولس الحاد الشديد واللاذع الذى جاء فى الآيات ١٤ ـــ ٢٥ للإنسان الذى يحب ناموس الله ، ويتوق إلى أن يعمل بمقتضاه ، إلا أن قوة خارجية تفوق قوته ترغمه على أن يعمل أموراً يكرهها ويمقتها ، إن مثل هذه المناقشة ليست بأى حال مجرد جدل ، بل هى فى واقع الأمر صدى للخبرة الشخصية لنفس مكروبة ؛ إن بولس نفسه يعرف معنى أن يكون الإنسان ممزقاً على هذا النحو ، حيث أنه بناموس ذهنه يريد أن يفعل ما يحقق إرادة الله ويستقيم معها ، فى حين أن ناموس الخطية والموت يشده إلى الطريق الآخر .

إن المسيحى فى الحقيقة يعيش فى عالمين فى نفس الوقت ، وطالما هذا هو الأمر بالنسبة له فإنه يعيش فى حالة دائمة من التوتر . فهو يحيا وإلى حين فى هذا العالم ، كبشر من لحم ودم ، خاضعاً لظروف الحياة الفانية ، إنه « ابن آدم » وهو ككل رفاقه خاضع للقانون القائل بأن « فى آدم يموت الجميع ؛ لكنه من الناحية الروحية قد انتقل من الموت إلى الحياة ، من عالم الظلمة إلى ملكوت النور ، وقد نشارك فى موت المسيح ودفنه وقيامته ، الذى فيه أقيم ليسير فى جدة الحياة ، مواطناً فى العالم الجديد ، وعضوا فى الخليقة الجديدة ، ولم يعد بعد « فى آدم » بل إنه الآن « فى المسيح » .

ولسوف يأتى اليوم عندما يمضى هذا النظام الحالى ويزول ، حينما يقام النظام الجديد فى مجد ، وحينئذ سوف يُحلّ التوتر القائم بين العصرين ، ولكن طالما يحيا المسيحيون « بين الأزمنة » ، فإن كلمات بولس فى رسالة أخرى تحتفظ بصلتها الوثيقة بهذا الموضوع : لأن الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون .

هنا إذاً نجد الصورة الذاتية لإنسان يحس بوجود الخطية وسلطانها الداخلى المتسلط على حياته ، إنه طاغية مستبد ، وهو يكره ما يمليه عليه ، ولكنه لا حيلة له فى نضاله ، ولا جدوى من محاولاته للتغلب على سلطانه القاهر . وعندما يرنم تحت ضغط القوة القاهرة لإطاعة إملاءات هذا المستبد الطاغية ، فإنه لا يقر الأعمال التى يرغم على القيام بها على أنها أعمال نابعة من إرادته ، بل هى فى حقيقة أمرها على العكس تماما مما يُريد أن يفعله . إن ما يريد أن يفعله هو ناموس الله ، والذى يبتهج ويسر به ، والذى يعترف بأنه « مقدس وعادل وصالح » .

ولكن مع كل إرادته لإطاعة ناموس الله ، يرى نفسه مضطراً بالقوة الشريرة الساكنة فى داخله إلى أن يعصاه « لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل » . هذا النضال غير المتكافىء ضد (ناموس الخطية الذى فى أعضائى) (كما يدعوه بولس) هو الاختبار الحقيقى للعدد الكبير من المسيحيين بحيث نستطيع أن نقرر فى ثقة أن بولس لم يكن يتحدث هنا عن سيرته الشخصية ـــ وأن يجىء حديثه هنا فى صيغة الفعل المضارع ـــ إن بولس يمكنه أن يناشد رفاقه : (بوداعة المسيح وحلمه) (٢ كورنثوس ١٠ : ١) ، ولكن هل جاءت إليه هذه الوداعة والحلم بطريقة طبيعية ؟ هناك سبب حقيقى يدعونا لأن نعتقد بأن رجلا مثله له هذه الغيرة المتقدة العنيفة ، لم يكن من السهل عليه أن يصلب الجسد ليحقق النصر على اللسان المتسرع ، وعلى الحكم غير الناضج ، واحتقار أى تجاوز لحقل خدمته الرسولية ، إن الإنسان الذى جعل من واجبه اليومى أن يقمع جسده حتى لا يصبح مرفوضاً فى حقل مصارعته من أجل القداسة . هذا الرجل الذى يسعى جاهداً ليصل إلى (دعوة الله العليا فى المسيح) . عرف أن الإكليل الذى لا يفنى الذى يسعى من أجله جاهداً « ليس بدون تعب وعرق .لقد كان بولس بصفة دائمة مُكرِّسا نفسه ليصور بكلماته طريق القداسة كسباق للجرى ، أو كمعركة علينا أن نقاتلها ، ومن هنا فليس لنا أن نتخيل أن نصره جاء فجأة وفى لحظة من الزمان : هذا صحيح ولكن النصر جاءه فعلاً . إن الفقرة الحالية تقودنا إلى أنشودة للنصر رغم أنها تستهل باعتراف حزين بالعجز . إن العجز يستمر قائماً وملحاً طالما تكلمت عن (أنا نفسى) ـــ بمعنى « أنا بقوتى الذاتية » ـــ أحارب المعركة . وطالما أنا أفعل ذلك ، كما يقول بولس ، فإننى قد أخدم بذهنى ناموس الله ، ولكن جسدى يسبينى إلى ناموس الخطية . فهل من نصيبى دائما أن أعرف الهزيمة ؟ هل يجب على دائماً أن أحمل هذا الكابوس على ظهرى ؟ ألن يأتى الإنقاذ إلى قط ؟ شكراً لله إنه فى الطريق إلىّ بيسوع المسيح ربنا .

عدد ١٤ : (وأما أنا فجسدى مبيع تحت الخطية) : إن الطبيعة التى ورثتها فى آدم تجد أن الناموس غير مناسب لطبيعة الإنسان وحاجاته . إن الناموس (روحى) لأنه ناموس الله ، ولكن طبيعتى الخاصة ليست روحية ،

بل هى مستعبدة لقوة لا ترتضيها إرادتى بل تمقتها . هناك شىء فى الإنسان — حتى الإنسان المتجدد — يعارض الله ويسعى للاستقلال عنه . هذا (الشىء) هو الذى يدعوه بولس هنا (جسده) (قارن الآية ١٨) ، والذى هو فريسة لاستبداد الخطية الساكنة فيه . إن عبارة (مبيع تحت الخطية) هى تذكير لنا بما جاء فى الحكمة ١ : ٤ حيث قيل إن الحكمة (لا تسكن الجسد المرتهن للخطية) .

عدد ١٥ : (ذلك لأن الذى أفعله لست أسمح به) : إننى لا أعترف حتى بما أفعله بأنه أفعالى . وفى الترجمة العربية (إذ لست أفعل ما أريده) . ذلك أن ما يجب أن أفعله ، فإنى لست أفعله ، (ولكن ذلك الذى أبغضه فإياه أفعل) . ومن المألوف أن نقتبس ما يماثلها من الآداب الكلاسيكية من شعر هوداس ، حيث يقول : « إننى أمارس الأمور التى تسبب لى ضرراً ، وأجتنب الأمور التى أعتقد أنها صالحة » . أو من الشاعر أوفيد Ovid : « إننى أرى الطريق الأفضل وأعترف بأفضليته ، ومع ذلك فإننى أتبع الطريق الأسوأ » .

ويشير س . ك . باريت إلى مثل قريب من هذا الأمر من أبكتيتوس والذى يقول : « إن اللص لا يفعل ما يريده » ، ولكنه يشير أيضاً إلى أنه رغم أن هذه المقتطفات وثيقة الصلة جداً بالموضوع ، إلا أن أيا من أوفيد وابكتيتوس (ونضيف نحن من جانبنا إلى مقولة باريت أقوال الشاعر هوداس) ، لم يقل تماما نفس ما يقوله بولس ، إن فى داخل بولس شاهد مستقل ، هو صوت الضمير (قارن الملاحظة عن الآية ٢ : ١٥) ، الذى فى إدانته لعجزة عن حفظ الناموس ، يشهد للناموس بأنه مقدس وعادل وصالح .

عددى ١٧ و ٢٠ : (فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فىَّ) : لكن حالما توافق إرادتى عليه ، حينئذ فإننى أنا الذى أفعله ، حتى ولو لم يكن الأمر كذلك من قبل .

عدد ١٨ : (لأن الإرادة حاضرة عندى وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد) : وهى تُقرأ فى ترجمة أخرى (لأنى أريد فإن الإرادة حاضرة معى ، ولكن أن أفعل الحسنى فلست أفعل) . (أفضل النصوص المحققة تلغى « فلست أجد ») .

عدد ٢٢ : (فإنى أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن) : وحينئذ

أستطيع أن أرتل : (كم أحببت شريعتك . اليوم كله هى لهجى) : وبكل ما جاء فى المزمور المائة والتاسع عشر ، ومع ذلك أنا هنا غير مبرأ . الإنسان الباطن هو الإنسان الجديد ، (المخلوق فى المسيح والذى يتجدد يوما فيوما على صورة خالقه (قارن ٢ كورنثوس ٤ : ١٦ ؛ كولوسى ٣ : ١٠) .

عدد ٢٣ : (**ناموس الخطية**) : هو المبدأ الشرير ، أو استبداد الخطية الساكنة فىّ .

عدد ٢٤ : (**ويحى أنا الإنسان الشقى**) : المؤمنون كاملون بالنظر إلى تبريرهم ، أما تقديسهم فلقد ابتدأ فحسب . إنه عمل تدريجى . عندما آمنوا بالمسيح عرفوا القليل جداً عن ينبوع الفساد الساكن فيهم . وعندما أظهر المسيح ذاته لهم بصفته مخلصهم ، وحبيب نفوسهم ، فإن الذهن الجسدى بدا وكأنه قد مات ، ولكنهم ما لبثوا أن تبينوا فى ما بعد أنه لم يمت . ومن ثم فلقد مر بعضهم بخبرات وتجارب روحية بعد إيمانهم ، أكثر مما مرّوا به عندما تيقظ فيهم الشعور بحالة الضلالة التى هم عليها .

لذلك ستظل صرختهم : (ويحى أنا الإنسان الشقى ! من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟) .. إلى أن تنتهى حياتهم إلى كمال القداسة . ولكن (ذلك الذى ابتدأ فيهم عملاً صالحاً سيكمل إلى يوم يسوع المسيح) . (من ينقذنى من جسد هذا الموت) .. يمكن لأى واحد أن يجد تماثلات لفظية لمثل هذه الصرخة فى الآداب الكلاسيكية ، وفى أى مكان آخر . إن (فيلو) التلميذ المخلص للفيلسوف أفلاطون أكثر من كونه تلميذا للأنبياء — يتكلم عن الجسد قائلاً عنه إنه : « تلك البنية من الطين ، ذلك التمثال المسبوك ، ذلك المسكن الوثيق الصلة بالنفس ، التى لا تتخلى عنه ، بل تحمله معها كجثة من المهد إلى اللحد — ياله من حمل مرهق !! » .

ويتحدث ابكتيتوس عن نفسه أنه (نفس ضعيفة مقيدة إلى جثة) ، ولقد حاول بعض المعلقين والشراح إلقاء مزيد من الضوء على كلمات بولس بالإشارة إلى رواية الشاعر فرجيل عن فرينتيوس ملك الأتروسكيين الذى قيد أسراه الأحياء إلى جثث متحللة (الإنيادة) . لكن بولس لا يفكر فى الجسد المكوّن من لحم ودم ، فإن الشر فى نظره كان أكثر تأصلاً وعمقا (جسد هذا الموت) ، آه (جسد الموت هذا) هو مثل (جسد الخطية) (رومية

٦ : ٦) ، ذلك الميراث عن الطبيعة البشرية والخاضع لناموس الخطية والموت ، والذى يتشارك فيه مع كل أبناء آدم ، تلك (الكتلة) المعقدة للهلاك ، والتى تنضوى تحت لوائها الخليقة القديمة كلها ، والتى على الرغم من توقه إلى الخلاص منها ، وجهاده الدائب للخلاص منها ، لن يستطيع الفكاكَ منها بجهوده ومحاولاته الخاصة .

عدد ٢٥ : (**أشكر الله بيسوع المسيح ربنا**) : من المدهش أن تأتى نشوة الانتصار هذه مباشرة فى أعقاب صرخة الحزن والأسى « من ينقذنى ؟ » . ولكن هنا الجواب : (الله فقط بيسوع المسيح ربنا ! الشكر لله) . ولسوف نجد تفصيلاً أكثر فى الأصحاح الثامن عن كيفية الإنقاذ من الخطية الساكنة فى جسده . فى هذه اللحظة بعد هذا العرض الوجيز أن يقول إن الموقف ليس ميئوساً منه ، ثم يرتد ببصره إلى الوراء ليلخص الأزمة الأخلاقية فى الأصحاح السابع ١٤ ــ ٢٤ ، (إذاً أنا نفسى بذهنى أخدم ناموس الله ، ولكن بالجسد ناموس الخطية) .

ليس من الضرورى أن نعامل هذه الجملة كما ولو أنها قد جاءت فى غير موضعها . إن موفات يجعلها تقف كجملة اعتراضية بعد الآية ٢٣ ، حيث يقول : (يبدو أن هذا هو وضعها الأصلى والمنطقى قبل الذروة التى فى الآية ٢٤) .

وعن ذلك التغيير للوضع يقول (س . هـ . دود) : (إنه بالتأكيد الوضع الصحيح) ، فى حين يرى (ج . زنطس) أنها ربما تكون إضافة قام بها بولس نفسه ، أو تلخيص قام به أحد القراء القدامى . وعلى أى حال ، إن وضعها الحالى غير مناسب ، ويوحى بكونها تحشية أقحمت على النص .

ومهما يكن الأمر فقد ظهرت فى وضعها الحالى ، فى المصادر القديمة ، وإنه لعمل محفوف بالمخاطر أن نحاول إعادة ترتيب كلمات بولس من أجل سهولة التتابع المنطقى . (أنا نفسى) هى صيغة للتأكيد : إنه (أنا نفسى) الذى اختبر الهزيمة والإحباط ، ولكن (أنا) كمسيحى لم أترك (لنفسى) . إن (ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع) قد جاء ليسكن فى داخلى ، وحضوره وقوته سينتج عنهما فارق ضخم .

الأصحاح الثامن

جـ ــ التحرير من الموت (٨ : ١ ــ ٣٩)

(١) (الحياة فى الروح) (٨ : ١٠ ــ ١١)

الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد ، وهذان يقاوم أحدهما الآخر . (حتى تفعلون ، ألا تريدون) : هذه الكلمات من غلاطية ٥ : ١٧ سبق لنا أن اقتبسناها كتلخيص للموقف الذى وضعه بولس بإسهاب عظيم ، وبأسلوب لغوى شخصى دافق الحيوية فى رومية ٧ : ١٤ ــ ٢٥ . ولكنه كان قد سبق له القول قبل هذه الكلمات مباشرة : « اسلكوا بالروح فلا تكملو شهوة الجسد » (غل ٥ : ١٦) . إن الصورة المتطابقة تماما مع هذه النصيحة تقع تحت أنظارنا الآن فى رومية ٨ : ١ ــ ١٧ لم يجىء أى ذكر عن الروح القدس فى الأصحاح السابع ، ولكنه ينتشر فى ثنايا الأصحاح الثامن والذى يصف حياة الغلبة والرجاء لأولئك (السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح) (٨ : ٤) ، أولئك الذين (فى المسيح يسوع) (٨ : ١) . وطالما هم يقومون بهذه الحرب معتمدين على قواهم الذاتية وجهودهم ، فلابد أنهم يمارسون معركة خاسرة ، ولكنهم عندما يسلّحون أنفسهم بمصادر الحياة والقوة التى لهم فى المسيح يسوع ، فإنهم يغدون أكثر من منتصرين ــ وعلى هذا ، لم يعد هناك أدنى سبب يدعو أولئك الذين هم فى المسيح أن يستمروا فى حياة عبودية العقاب ، مقيدين بتنفيذ ما يمليه عليهم طغيان ناموس الخطية والموت . إن المسيح يسكن فى داخلهم بروحه ، وروحه ينفث فيهم المبدأ الجديد ــ ناموس الحياة ــ والذى هو أقوى من سلطان الخطية الساكن فيهم ، وهو يحررهم من طغيانها . ولقد كان مستحيلاً فى ظل النظام القديم أن يفعلوا إرادة الله ، وإذا كان ذلك النظام القديم لا يزال متسلطاً وسائداً على حياة البشر . فسيظل فعلهم لإرادة الله أمراً مستحيلاً . أما أولئك الذين تنقاد حياتهم بالروح ، أولئك الذين ينقادون لتوجيهاته ويخضعون لهدايته ، فيسهل عليهم عمل إرادة الله من كل القلب . وروحهم التى كانت قبلاً ميتة وعديمة الإحساس ، صارت الآن مفعمة بالحياة التى يضيفها عليهم روح الله ، وربما تبقى أجسادهم لبعض الوقت خاضعة لناموس الموت الناتج عن دخول

الخطية إلى العالم . ولكن تبقى الكلمة الأخيرة لروح الحياة . فإن الروح لا يبقى على الحياة والقوة ويحفظها فى نفوس المؤمنين هنا ، والآن فقط ، بل إن سكناه الحالية فى داخلهم ، هو الرمز والدليل على أن أجسادهم التى ماتزال خاضعة لناموس الموت ، سوف تقوم إلى حياة جديدة على النحو الذى قام به جسد المسيح .

إن الجسد لم يستبعد من مزايا الفداء الذى عمله المسيح . ولقد سبق أن استخدم بولس هذه الحقيقة فى نداء قدمه إلى أعضاء كنيسة كورنثوس لكى يراعوا أجسادهم ، وأعمالهم الجسدية بروح المسئولية المسيحية : لقد اشتريتم بثمن ، فمجدوا الله فى أجسادكم (١ كورنثوس ٦ : ٢٠) . إنه هنا يوحى بأن أساسيات الخلود الآتى وجوهره ينقله الروح إلى المؤمنين حتى فى هذا الزمن الذى يسود فيه الموت على أجسادنا ، وهذه هى إحدى الطرق الكثيرة التى يتحقق فيها فى هذا الزمن بعينه بسكنى الروح فينا ، بواكير ميراثنا للمجد العتيد ، أما الذين يسلكون فى توافق مع النظام القديم فإن حكم الموت يكون فى داخلهم ، أما أولئك الذين يعتبرون النظام القديم من مخلفات الماضى الميت ويسلكون منقادين بإرشاد روح الله فهؤلاء قد ضمنوا أن حياة الخلود قد بدأت فى داخلهم فعلاً . إن فى حقيقة تجاوبهم مع قيادة روح الله لهم ، هو الدليل الواضح الجلى على أنهم أولاد الله .

وبالنسبة لبولس ، فإن إرشاد روح الله للمؤمنين ، ليس مسألة دافع مؤقت ، وإنما هو الاختبار المألوف للمؤمن ، وهو المبدأ الجوهرى لحرية الحياة المسيحية : (ولكن إذا انقدتم بالروح فلستم تحت الناموس) (غل ٥ : ١٨) .

إن العبودية الناموسية القديمة قد طرحت ، وقاد الروح المؤمنين إلى علاقة جديدة كأبناء أحرار لله . إنه الروح الذى يدفع المؤمنين أن يخاطبوا الله تلقائيا كأبيهم ، مستخدمين نفس التعبير الذى اعتاد يسوع أن يستعمله فى حديثه مع الله كأبيه — وهو تعبير مناسب لجو العلاقة العائلية الحميمة . فلا عجيب أن نجد عبارة مماثلة فى غلاطية يقول فيها بولس إن (الله أرسل روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب) (غل ٤ : ٦) . وبعبارة أخرى إنهم أخذوا نفس الروح الذى حل بالقوة على يسوع أثناء معموديته (مرقس ١ : ١٠) ،

ذلك الروح الذى قاده إلى البرية (مرقس ١ : ١٢) ، وأمدّه بالقوة لعمل أعماله العظيمة (متى ١٢ : ٢٨) . وكان المحرك لكل حياته وخدمته (مرقس ١ : ٨ ، لوقا ٤ : ١٤و١٨) .

وعلى هذا يحمل روح الله وروح المؤمن المسيحى ذات الشهادة المتوافقة مع حقيقة كون المسيحى ابنا لله . وأكثر من ذلك ، فإن أبناء الله هم ورثته ، ورثة ذلك المجد الذى للمسيح كحق مطلق فريد ، والذى بالنعمة يتشارك فيه مع إخوته المؤمنين والذين هم أيضاً بدورهم ورثته . إن أولئك الذين من خلال اختباراتهم اليومية يشاركونه فى آلامه ، يحق لهم أن يتطلعوا إلى مشاركته فى مجده .

وتتكرر فى العهد الجديد فكرتا (آلام الزمان الحاضر) ، (المجد العتيد) ، وهى حقائق وثيقة الصلة بحياة المسيحيين الأوائل : ويقول بولس وبرنابا للمؤمنين فى غلاطية الجنوبية . (إنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت السموات) (أعمال ١٤ : ٢٢) . ويتكرر نفس التحذير فى كل مجتمع مسيحى جديد يتكون ، وسرعان ما تؤكده وتثبته اختبارات المؤمنين : (إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه) (٢ تيموثاوس ٢ : ١٢) . ومعنى هذا أن المؤمنين من خلال حياتهم ، إنما يمثلون بوضوح كامل نفس حياة سيدهم ، الذى بمقتضى التدبير الإلهى اجتاز الآلام نيابة عن البشر وهكذا دخل إلى مجده (لوقا ٢١ : ٦ ؛ ١ بط ١ : ١١ ؛ ٥ : ١) .

عدد ١ : (إذاً لا شىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع) : إذا كانت الدينونة هى ببساطة الضد للتبرير ، فلابد أن بولس يُريد أن يقول إن أولئك الذين فى المسيح هم الذين تبرروا ، ولكن هذه المرحلة من المحاجة قد وصل إليها فى (٣ : ٢١ ــ ٢٣) .

إن كلمة Katakrima من المحتمل أن لا تعنى « الدينونة » بل العقاب الذى يلى صدور الحكم ، أو عقوبة الأشغال الشاقة . ليس هناك من سبب يدعو الذين أصبحوا فى المسيح ، إلى المضى فى عبوديتهم للخطية ، كما لو أن خطاياهم لم تغفر أبداً ، ولم يحرروا من بيت سجن الخطية قط .

(فى المسيح يسوع) (أو « فى المسيح » أو « فى الرب ») : هو الوصف الذى استخدمه بولس ليصف به النظام الجديد الذى دخل إليه البشر رجالاً

ونساءً نتيجة الإيمان بالمسيح . إن المعمودية المسيحية تحسب معمودية « فى المسيح » ؛ وعن طريق وحدة الإيمان بالمسيح يحسب شعبه كأنهم ماتوا معه ، ودفنوا معه ، وقاموا معه من بين الأموات . إنهم لم يعودوا هم الذين يحيون ، وإنما المسيح هو الذى يحيا فيهم . إن الحياة العادية فى جسد المسيح هى بذاتها حياة قيامته التى يتشارك فيها مع شعبه ، فإن كان المسيح من إحدى وجهات النظر يحيا فيهم ، فمن ناحية أخرى فإنهم يحيون فيه . كانت فكرة العهد القديم عن الشخصية (المتحدة) ، ما تزال حية فى النفوس وعلى استعداد لأن تكون فى متناول فكر ولغة إنسان مثل بولس ، وعلى أساس هذا المفهوم عن الشخصية المتحدة ، لم يكن من الصعب على ذهنه أن يتحرك إلى الوراء وإلى الأمام بين المسيح فى ذات شخصه ، وبين المسيح كشخصية متحدة ، تتكون من المسيح الممجد الآن والقائم عن يمين الله وجميع شعبه الذين يشاركونه حياته . لأن تكون فى المسيح ، يعنى أن تكون عضواً فى الكنيسة ، وليس مجرد أن يكون اسمك مدونا فى سجلاتها . ولكن بالمعنى الحقيقى أن تكون عضواً فى جسد المسيح ، معتمداً عليه ، وخاضعاً لإرادته مكرساً ذاتك لمقاصده .

إن الإضافة (السالكين ليس حسب الجسد) ، والإضافة التالية لها (بل حسب الروح) ، ليستا أجزاء من النص الأصلى للآية الأولى ، ولكن أُدخلت تحت تأثير الآية (٤ ب) . ومن المحتمل أن يكون هناك موضعهما الصحيح .

عدد ٢ : (لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى ..) : قارن ٢ كورنثوس ٣ : ١٧ (وحيث روح الله فهناك حرية) ، وأيضا غلاطية ٥ : ١٣ (فإنكم إنما دعيتم إلى الحرية) . ومن المحتمل أن الناموس هنا يعنى المبدأ ، إنه ناموس الروح بالمقابلة مع ناموس الخطية الكائن فى أعضائى (٧ : ٢٣) ؛ إنه (ناموس الحياة) فى مقابل (ناموس الموت) .

وربما يكون من الأفضل أن نأخذ بصيغة المضاف إليه فى الاثنين (للروح و للحياة) واعتبارهما سويا معتمدين على (الناموس) ؛ إن ناموس الروح هو ناموس الحياة . إن التأثير الحاسم للروح ينشىء فعلاً صريحاً . وبصرف النظر عن الإشارة السابقة للروح فى رومية ٥ : ٥ حيث قيل عن مجيئه إنه يسكب محبة الله فى قلوب المؤمنين . والإشارة الموجزة فى ١ : ٤ إلى روح القداسة ، وارتباطه بالمسيح المقام من الأموات ؛ فإن هذا هو الموضع الأول فى الرسالة

حيث نجد دور روح الله فى الحوار .

وليس من قبيل الصدفة أنه مع دخول روح الله لم يعد هناك حديث بعد عن الهزيمة . إن الصراع الدائر بين الطبيعتين ما يزال قائما ، ولكن حيث يأخذ الروح القدس بزمام الأمور ، فإن الطبيعة القديمة تُرغم على الاستسلام .

وبالنسبة لضمير المتكلم فى حالة الإضافة لضمير المتكلم فى « قد أعتقنى » ، فإن بعض المصادر التى لها وزنها (ومن بينها المخطوطتين الشرقيتين Aleph ، B والمخطوطة الغربية G والتى يسير عليها نص (نستل كيلباتريك Nestle Kilpatrick تضع ضمير المخاطب بديلاً عن ضمير المتكلم السالف ذكره لتصبح (قد أعتقك)

عدد ٣ : (فى شبه الجسد الخاطىء) : وحرفيا (فى شبه جسد الخطية) ، كما فى الترجمة العربية .

لقد اختبرت الكلمات بدقة فائقة (فى شبه جسد) هى فى ذاتها يمكن أن تكون دوسيتية (Docetic) . أما روح الرسالة الرسولية فهى أن ابن الله قد أتى (فى الجسد) وليس فى (شبه الجسد) فقط . وكان فى إمكان بولس أن يقول ببساطة فى الجسد ، ولكنه قصد أن يؤكد أن الجسد البشرى هو المجال الذى حصلت فيه الخطية على موطىء قدم وسادت على الموقف إلى الوقت الذى اقتربت فيه نعمة الله . وعلى هذا فلم يقل ببساطة « جسد » ، وإنما قال « الجسد الخاطىء » ، أو « جسد الخطية » . ولكن أن يُقال بأن ابن الله قد جاء فى الجسد الخاطىء قد يتضمن أنه كانت هناك خطية فيه ، فى حين أنه (كما قال عنه بولس فى موضع آخر) « لم يعرف خطية » (٢ كورنثوس ٥ : ٢١) . ومن هنا قيل عنه إنه قد أرسل فى شبه الجسد الخاطىء .

(ولأجل الخطية) : وهى العبارة المعتادة المستخدمة فى الترجمة السبعينية لنقل العبارة العبرانية hattath التى تعنى (ذبيحة الخطية) ، ومن هنا صارت لها قوتها ، ومن ثم كانت الترجمة التى تقول : (كتقدمة لأجل الخطية) ترجمة صحيحة ، أو (كذبيحة لأجل الخطية) . ومن المحتمل أن تكون هذه هى قوة الخطية أيضاً فى ٢ كورنثوس ٥ : ٢١ حيث قيل عن المسيح إنه قد جُعل .. خطية لأجلنا ؛ (على الرغم من أن الكلمة المستعملة هنا هى الاسم البسيط hemartia وليست الجملة (peri hamrtia .

(**دان الخطية فى الجسد**) : وهذا يعنى أن الحكم قد صدر ضد الخطية ونفذ على الخطية فى جسد المسيح ، أى فى طبيعته البشرية ، أى فى ناسوته ، وعلى هذا انحلت قوة الخطية وانزاح سلطانها عن أولئك الذين اتحدوا بالمسيح (قارن ٦ : ٦ ـــ ٧) .

عدد ٤ : (**لكى يتم بر « حكم » الناموس فينا**) : إن مطلب البر الذى للناموس قد لخص لنا فى الأصحاح ١١ : ٩ فى الوصية الوحيدة (أن تحب قريبك كنفسك) . وقد استخدمت هنا الكلمة اليونانية Dikaiōna وأيضاً فى ٢ : ٢٩ .هنا نجد تتميم نبوة إرميا عن الميثاق الجديد (والمقتبسة جزئياً فى ١١ : ٢٧) والتى قال الله فيها : « بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب ، أجعل شريعتى فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً . ولا يعلمون بعد كل واحدٍ صاحبه وكل واحدٍ أخاه قائلين اعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم » (إرميا ٣ : ٣٣و٣٤) . قارن النبوة المماثلة لها فى حزقيال ٣٦ : ٢٦ ـــ ٢٧ ، حيث يقول الله : (وأعطيكم قلبا جديداً وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم ، وأجعل روحى فى داخلكم وأجعلكم تسلكون فى فرائضى وتحفظون أحكامى وتعملون بها .

ويُسلِّم كتبة العهد الجديد فى الإنجيل بإتمام هذه النبوات القديمة .

إن القداسة المسيحية ليست مسألة الاجتهاد فى تكييف المرء نفسه وأعماله وفقاً للمفاهيم الذاتية لمدونة قانونية خارجية ، إنها بالأحرى مسألة الروح القدس وانتاجه لثمره فى حياة المؤمن ، منتجا تلك النعم التى تتجلى فى كمالها فى حياة المسيح . وصف الناموس حياة القداسة ، ولكنه كان عاجزاً عن إنتاج مثل هذه الحياة ، بسبب عدم كفاية الجسد البشرى الذى كان عليه أن يعمل فيه . ولكن ما كان الناموس عاجزاً عن عمله قد قام الله بعمله والآن ، وقد أرسل الله ابنه فى شبه الجسد الخاطىء ، أو فى شبه جسد الخطية ، فإنه قد بذل حياته كذبيحة خطية من أجل خطايا شعبه ، وهكذا صدر حكم الموت على الخطية الساكنة فى الجسد . إن الخطية لم تجد موضع قدم فى حياة يسوع ، وفى موته أدينت الخطية فعلاً وتمت الغلبة عليها واقعيا ، وأصبحت ثمار هذه

النصرة والغلبة على الخطية لصالح وخير أولئك الذين هم « فى المسيح » . إن كل ما تطلبه الناموس عن طريق التوافق مع إرادة الله قد تحقق الآن فى حياة أولئك المنقادين بالروح القدس والذين قد تحرروا من عبودية النظام القديم . لقد أصبحت أوامر الله الآن مستطاعة لأنه جعلنا قادرين على عملها .

ويقول القديس اغسطينوس : (إن النعمة قد أعطيت حتى يمكن تتميم الناموس) .

[لم يصبح ممكناً أن يرسل الله روح ابنه فى قلوب البشر الضالين اليائسين إلا بعد موت المسيح وقيامته ، ومجيء الخليقة الجديدة إلى حيز الوجود ، ومع الروح جاءت الحياة ، والحرية ، والقوة . وكما يقول بولس إن أولئك الذين يحيون بالروح ، ينتجون ثماراً للروح . إن الكرمة لا تنتج عنبا بقرار من البرلمان ، وإنما هو ثمار حياة الكرمة نفسها ، وهكذا فإن السلوك الذى يتوافق مع معايير الملكوت لا يأتى نتيجة لطلب ما ، حتى ولو كان مطلباً من الله ، وإنما هو ثمر تلك الطبيعة الإلهية التى أعطاها الله لنا نتيجة ما قد عمله فى المسيح وبالمسيح] (س . هـ . هوك) .

(السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح) (قارن غلاطية ٥ : ٢٥) ، (إن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بحسب الروح) (وأيضاً غلاطية ٥ : ١٦) . وقد يصعب علينا من النظرة الأولى أن نقرر ما إذا كانت Spirit (Preume) تدل على روح الله أو روح الإنسان . عندما نستخدم (الروح) مقابل (الجسد) ، فمن الطبيعى أن يكون المقصود به روح البشر . ومع ذلك فإن الأمر الغالب فى هذه المناقشة يشير بوضوح إلى (روح الله) ، ويجب فهم المناقشة على هذا الأساس ، حتى وإن ذكر الروح فى مقابل (الجسد) كما هو الحال فى هذه الآية ، وأيضاً فى الآية (٩) فيما عدا لو كانت القرينة تلغى ذلك المعنى . وأيا كان الأمر ، فإن الروح البشرية ليست مستبعدة حيث يكون روح الله . وفى نظر بولس فإن الروح البشرية تكون فى حالة كُمون أو موت ، حتى يقيمها (روح الله) إلى الحياة ، ومن هنا فإن تعبير (السالكين بحسب الروح) يتضمن عمل الروح البشرية بإرشاد من روح الله .

عدد ٥ : (فإن الذين حسب الجسد فيما للجسد يهتمون ، ولكن الذين

حسب الروح فيما للروح) : (قارن غلاطية ٥ : ١٧) .

عدد ٦ : (لأن الاهتمام الجسدى .. ولكن الاهتمام الروحى) : أما الترجمة الحرفية كما جاءت فى الترجمة العربية : (لأن اهتمام الجسد .. ولكن اهتمام الروح) (قارن المناقضة فى غلاطية ٥ : ١٩ ـ ٢١) بين (أعمال الجسد) وبين (ثمر الروح) .

عدد ٩ : (ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له) : إذا لم يكن لإنسان ما روح المسيح ، فإنه لا يكون مسيحياً . ومن حيث أن الروح فحسب هو الذى يأتى بالبشر إلى علاقة حية مع المسيح ، فلن تكون هناك مثل هذه العلاقة بعيداً عن سكنى الروح فيهم .

عدد ١٠ : (وإن كان المسيح فيكم ، فالجسد ميت بسبب الخطية) : ومن الأفضل أن تبدأ الترجمة بعبارة (الجسد ميت) ، وذلك لأن الأمر هنا هو الجملة الشرطية « إن كان المسيح فيكم » .

وبذلك يكون المعنى « الروح هو الحياة بسبب البر » . وقد ترجمت أيضاً إذا كان المسيح ساكناً فيكم ، فإنه على الرغم من أن الجسد ميت لأنكم أخطأتم ، ولكن الروح هو الحياة لأنكم قد تبررتم ؛ وتعنى عبارة « الجسد مبت » أنه « ممات » أو « خاضع للموت » . (وأما الروح فحياة بسبب البر) ، هل الروح هو (روح الله) ، أو الروح البشرية التى للمؤمن . إن العبارة صحيحة مهما كان التفسير الذى نفضله ، لكن ماذا قصد بولس بعبارته ؟ وبالنظر إلى معنى « الروح » فى الآيات السابقة واللاحقة مباشرة ، فمن المحتمل أن يكون قصده « روح الله » ومن ثم يمكننا أن نعيد صياغة الجملة بشكل آخر مع الحفاظ على المعنى فنقول : (إن كان المسيح ساكناً فيكم) ، حينئذ فإنه بينما جسدكم ما يزال خاضعاً للموت المؤقت الزمنى والذى هو نتيجة للخطية ، فإن الروح الذى سكن فيكم ، الروح الحى المحيى ، سيمنحكم الحياة الأبدية التى هى نتيجة التبرير (قارن الآية ٥ : ١٨ تبرير الحياة) .

عدد ١١ : (إن الذى أقام المسيح من الأموات سيحيى أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم) : (قارن ١ كورنثوس ٦ : ١٤ ؛ ٢ كورنثوس ٤ : ١٤ ؛ ١ تسالونيكى ٤ : ١٤ حيث أن قيامة المؤمنين قد جعلت فى جميع هذه الآيات معتمدة على قيامة المسيح . (انظر الملاحظة على ١ : ٤) . وهنا

تأكيد على العلاقة القائمة بين روح الله والقيامة ، كما لم يحدث فى الفقرات السابقة ، ولكن (قارن مع ٢ كورنثوس ٥ : ٥) (ولكن الذى صنعنا لهذا عينه (أن نلبس الجسد السماوى) هو الله ، الذى أعطانا أيضاً عربون الروح .

عدد ١٣ : (ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد) : (تميتون) مرادفة لـ (احسبوا أنفسكم أمواتاً) فى الآية ٦ : ١١ حيث يحث المؤمنين على أن يحسبوا أنفسهم أمواتاً عن الخطية ، فإنهم هنا يقال لهم بأن يحسبوا أعمالكم السابقة الخاطئة ميتة بالنسبة لهم (وهكذا أيضاً في كولوسى ٣ : ٥ و ٦) . ويمكن أن نقارن بين غلاطية ٥ : ٢٤ (ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات) . أو بحسب التعبير الواضح الذى قاله ربنا عن قلع العين وقطع اليد أو الرجل أو العضو الذى يعثر ويؤدى بالإنسان إلى الخطية (مت ٥ : ٢٩ و ٣٠ ، مرقس ٩ : ٤٣ — ٤٥) .

عدد ١٤ : (لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله) : (قارن غلاطية ٥ : ١٨) (ولكن إذا انقدتم بالروح فلستم تحت الناموس) ، يقارن بولس فى غلاطية ٣ : ٢٣ — ٤ : ٧ بين العبودية السابقة للعبيد (كنا محروسين تحت الناموس) وبين الحرية الجديدة للأبناء الذين (أرسل الله إلى قلوبهم روح ابنه صارخاً ياأبا الآب) .

عدد ١٥ : (إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف ، بل أخذتم روح التبنى) : (قارن ١ كورنثوس ٢ : ١٢) (ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله) ، ٢ تيموثاوس ١ : ٧ (لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة ، والمحبة والنصح) . هنا سلسلة جميلة من الآيات العملية ، صيغت فى نفس القالب ، وجميعها مؤسسة على نفس النموذج ، بالسلب أولا وبالإيجاب ثانيا ، بالعبودية والدينونة والخوف من ناحية ، وبالنبوة والمواهب الروحية والقوة والمحبة وتقديس الفطرة السليمة (روح التبنى) : وقد دعيت هكذا لأن الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله (الآية ١٤) (روح التبنى) ، أو البنوية .. هى بمعنى آخر الروح الذى يجعل من المؤمنين أبناءً لله ، ويعطيهم القدرة على أن يدعوا الله أباهم .

ونراهم فى غلاطية ٤ : ٦ قادرين على أن يفعلوا ذلك (بروح ابنه) ؛

ذلك لأن المؤمنين حين يخاطبون الله بنفس الاسم الذى استعمله يسوع ، فمن الواضح أن روحه قد أصبح الآن فيهم . إن مصطلح (التبنى) قد يكون له أثر من التصنع فى آذاننا ، ولكن فى القرن الأول الميلادى كان الابن المتبنى يختار بتروٍّ وإعمال للفكر من جانب الآب المتبنى لحفظ اسمه وليخلفه فى طبقته الاجتماعية ويرث ممتلكاته ، ومن ثم فلم يكن يقل أبداً فى منزلته عن الابن المولود بالطريق الطبيعى ، بل كثيرا ما كان يحظى بالمحبة الكاملة للآب أكثر من الابن الحقيقى ، وذلك إذا ما أظهر هذا المتبنى بأخلاقه أنه يستحق بجدارة مثل هذا التكريم بل وأكثر منه .

(أبا الآب) . هذه العبارة تظهر فى موضعين آخرين فى العهد الجديد .. فى مرقس ١٤ : ٣٦ وفى غلاطية ٤ : ٦ (انظر الملاحظات السالفة) . وهى فى اليونانية Abba ، Hopater ، حيث thr Father) Pater الآب) تدل ببساطة على معنى الكلمة الأرامية غير اليونانية Abba أبا . (فى صيغة التأكيد) والتى دخلت للاستعمال بين اليهود (وما تزال تستعمل إلى يومنا هذا فى الأسر المتكلمة بالعبرانية) . كمصطلح عادى مألوف يخاطب الأبناء به آباءهم[١] . وفى مرقس ١٤ : ٣٦ يمثل لنا يسوع مستعملا إياها فى صلاته فى جثسيمانى . ومغزى هذا الأمر يكمن فى أن اليهود لم لا يستخدمون هذا المصطلح فى مخاطبتهم لله كأبيهم .

ولكن الحقيقة تكمن فى أن تلك الكلمة الأرامية قد وجدت طريقها إلى المعجم اللغوى التعبدى فى الكنائس الأممية ، يوحى بقوة بأن هذه الكلمة قد استخدمت بواسطة يسوع بنفس الطريقة ، وهذا ما يثبته مرقس ١٤ : ٣٦ . وهناك استدلال قوى أيضاً بالقرينة على أنه عندما علّم يسوع تلاميذه أن يستهلوا صلواتهم بقولهم : « أبانا .. ليتقدس اسمك » (لوقا ١١ : ٢) .

فإن الكلمة التى استعملها (الآب) كانت أبا Abba . وهذا يكفى لشرح كيفية انتقال هذا المصطلح الأرامى إلى الاستعمال بين المسيحيين المتكلمين باللغة اليونانية .

ويقول لوثر عن (أبا الآب) إن هذه مجرد كلمة صغيرة ، ومع ذلك

---

(١) وهى كلمة مستعملة أيضاً فى العربية آبا بمعنى يا أبى .

فهى تفسر أموراً كثيرة . ليس الفم هو الذى يتكلم ، وإنما هو الشعور النابض من القلب الذى يتكلم على هذا المنوال . فعلى الرغم من أننى قد أكون معرضاً للضغوط الناجمة عن الأحزان والمخاوف التى تحاصرنى من كل حدب وصوب ، مما يظهر معه أننى قد أصبحت مرفوضاً ومنبوذاً من حضرتك يارب . إلا أننى ابنك ، وأنت أبى لأجل خاطر المسيح : لقد صرت حبيبا من أجل (ابنك) الحبيب . وحيثما تنغرس هذه الكلمة الصغيرة (الآب) فى أعماق القلب ، فإنها تفوق فى بلاغتها وتسمو بما لا تدانيه بلاغة ديموستين ، وشيشرون ، وأعظم الخطباء الذين وُجدوا فى العالم ، إن هذه المسألة لا يُعبّر عنها بالكلمات ، ولكن بالأنات والتأوهات ، والتى لا يمكن أن ننطق بها بأية كلمات ، أو بأية اساليب بيانية ، لأن أى لسان يعجز عن التعبير عنها . (عن رسالة غلاطية ٤ : ٦ ترجمة ميدلتون) .

عدد ١٦ : (أولاد الله) : إن الكلمة هنا تعنى أطفال ، وليست تلك التى تعنى (أبناء) كما فى الآية ١٤ . ولكن سياق المحاجة يجعل من الواضح أن بولس قد استخدم الصيغتين الاسميتين بطريقة تعاوضية . ففى غلاطية ٣ : ٢٣ ـــ ٤ : ٧ يميز بين مرحلة الطفولة وهى مرحلة القصور حين كان شعب الله محروسين بالناموس ، وبين مرحلة سن الرشد والمسئولية كأبناء الله حيث قد جاء إليهم الآن الإنجيل . وهو يصف المرحلة السابقة التى كانوا عليها بمصطلح (قاصر) وليس (طفل) . ولسنا نجد فى أى موضع آخر فى العهد الجديد تمييزا صحيحا بين كوننا (أولاد) الله ، و (أبناء) الله . وإننا لنقف من كتابات يوحنا الرسول عن الصلة القائمة بين كلمة «tekna» (قارن يوحنا ١ : ١٢ ؛ ١ يوحنا ٣ : ١ و ٢) والكلمة huios والتى احتفظ بها وخصّ بها المسيح كابن الله .

عدد ١٧ : (فإن كنا أولاداً فإننا أيضاً ورثة) : (قارن غلاطية ٤ : ٧) : (إذاً لست بعد عبداً ، بل ابناً ، وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح) . ويقول س .أ . أندرسون سكوت : [إن التغير المفاجىء فى ما دعى اهتداء جون وسلى « للمسيحية » « جاء « وكما عبر عنه فى كلماته » عندما استبدل إيمان العبد بإيمان الابن] .

(ورثة الله ووارثون مع المسيح) . إنهم ورثة يشاركون المسيح ، لأن المجد

الذى سيرثون هم بالنعمة هو نفس المجد الذى أعطاه له الآب عن استحقاق (قارن يوحنا ١٧ : ٢٢ ــ ٢٤) . (إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه) . إن الألم هو المقدمة التى لا غنى عنها للمجد . وعلى هذا فإنه حين يقول بولس فى (٢ كورنثوس ٤ : ١٦) : « بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوما » فإنه يقصد أن نفس الآلام وأنواع الحرمان التى قد تفنى (الإنسان الخارجى) ، هى الوسيلة التى يستخدمها روح الله لتجديد الإنسان الداخلى حتى يختفى أخيراً الإنسان الخارجى كلية ويتشكل الإنسان الداخلى تماماً على صورة المسيح (قارن ٢ كورنثوس ٤ : ١٠) حاملين فى الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكى تظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا .

(٢) المجد العتيد (رومية ٨ : ١٨ ــ ٣٠)

لكن المجد الآتى يفوق بكثير الزمان الحاضر . إن الآلام خفيفة ومؤقتة حين تقارن بالمجد الأبدى الفائق . وعلى هذا فإن بولس كان يكتب من منطلق خلفية الظروف الحاضرة للضيقة التى لا مثيل لها (حتى بالنسبة له شخصياً) مؤكداً للمؤمنين فى كورنثوس قبل عام أو عامين . (إن خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً) (٢ كو ٤ : ١٧) .

إن هذا المجد ليس مجرد تعويض لهم عن الضيقات والآلام ؛ بل إنه ينبثق فعلاً من هذه الضيقة . إن هناك علاقة عضوية بين الاثنين بالنسبة للمؤمن تماما كما كانت بالنسبة لسيده (الرب يسوع المسيح) .

وعندما يلوح فجر المجد ، فإن ذلك المجد سوف يتجلى على نطاق عام فى شعب الله ، الجسد الممجد للمسيح . إن بعض هذا المجد منظور الآن فعلاً . إن بولس يرى فى موضع آخر شيئاً من هذا البهاء الرائع فى الكنيسة متمثلاً فى شركة من تصالحوا مع الله ، ويعتقد فى كونها وقد تبدّت للعيان حتى فى الوقت الحاضر للكائنات السماوية على أنها عمل الله الرائع فى المصالحة : (لكى يُعَرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة) (أفسس ٣ : ١٠) .

ولكن ما يُرى الآن بشكل محدود ومشوه إلى أبعد الحدود ، سوف يرى

فى كماله حين يتحقق لشعب الله فى آخر الأمر الهدف الذى ارتأى الله تحقيقه لهم وهو المشابهة الكاملة مع ابنه المُمجد . ولكن ليس المسيحيون فقط هم الذين سيكون من نصيبهم رجاء المجد .

إن بولس يقول إن كل الخليقة تنتظر فى شوق عظيم هذا اليوم حين يظهر كل أبناء الله فى المجد . أما الآن ، وكما أعلن الجامعة قديما : « باطل الأباطيل ، وكل ما هو تحت الشمس باطل ، وعلى المدى الواسع » . لكن هذا البطل — هذه الحالة من الإحباط والعبودية — هى فى واقع الأمر مؤقتة ، كقصور الإنسان حاليا عن بلوغ مجد الله ، وهكذا ، فإن كل الخليقة فى مجموعها ليس فى مقدورها أن تحقق الهدف الكامل الذى من أجله قد خلقت . فالخليقة مثل الإنسان يجب أن تفدى ، لأنها مثل الإنسان قد خضعت أيضاً للسقوط . إن هذا التعليم عن السقوط الكونى متضمن فى الرواية الكتابية من تكوين الأصحاح الثالث (حيث قد لعنت الأرض من أجل الإنسان) ، إلى الأصحاح ٢٢ : ٣ من سفر الرؤيا (لا تكون لعنة فيما بعد) ؛ وهو أمر مطلوب من أية وجهة نظر عالمية تحاول إنصاف التعليم الكتابى عن الخليقة ، وحقائق الحياة كما نعرفها . إن الإنسان جزء من الطبيعة كلها التى (هو جزء منها) قد خلقت صالحة ، ولكنها خضعت للإحباط والبطل بواسطة الخطية ، ومصيرها فى نهاية الأمر هو الفداء . وليس مصادفة أن نرى فداء الطبيعة يتزامن مع فداء جسد الإنسان — ذلك الجزء المادى من تكوينه الذى يربطه مع الخليقة المادية . لقد جعل الإنسان مسئولاً عن الخليقة الأدنى . ومن ثم فلقد كانت معه ضمنيا فى سقوطه ، وبالعمل الفدائى للإنسان الثانى ، فإن ما استتبع كنتيجة لابد منها للسقوط قد نقض ليس فقط بالنسبة للإنسان نفسه ، بل أيضاً بالنسبة للخليقة المعتمدة عليه ، وحتى الآن فالإنسان ، الذى باستثماره الأنانى للموارد الطبيعية يستطيع أن يُحوِّل الأرض إلى إناء ترابى ، فإن فى مقدوره أيضاً بأمانة المسئولية أن يجعل الصحراء تتحول إلى جنة وارفة الظلال تتفتح فيها الأزهار . فكم يكون تأثير البشرية حين يتم فداؤها على الخليقة التى وضعت تحت مسئوليتها ، لكى تحفظها وترعاها بعنايتها ؟ عندما تطلَّع إشعياء بنظره إلى الأمام إلى عالم السلام الذى يرعى فيه الذئب مع الخروف فى العصر المسيانى عبّر عن أمله بلغة شاعرية ، ولكن شعره لا ينطوى على خلع المشاعر أو الصفات البشرية على الطبيعة الجامدة ، وإنما هى على الأغلب حقائق كتابية مادية: [لا يسوؤون

ولا يفسدون فى كل جبل قدسى ، لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب كما تغطى المياه البحر] (إش ١١ : ٩) .

إن المسيحى لن يكون من رأيه الآن (كل شىء هو للأفضل فى أحسن الأكوان الممكنة ، كما أنه (لن يشطب العالم من فكره باعتبار أنه ينتمى إلى إبليس) .

إن العالم هو عالم الله ، ولسوف يتمجد الله بجميع أعماله . وعندما يتمجد الله ، فإن البركة ستحل على جميع مخلوقاته . وإذا كان للكلمات أى معنى ، فإن كلمات بولس هذه لا تشير إلى الغاء هذا الكون المادى الحالى فى يوم إظهار كل شىء ، ليحل محله عالم جديد تماما ، بل إلى تغيير الكون الحاضر حتى يحقق القصد الذى من أجله خلقه الله . وهنا أيضاً نجد صدى لرجاء من العهد القديم ، رجاء خلق سموات جديدة وأرض جديدة يسكن فيها البّر (٢ بط ٣ : ١٣ ؛ مقتبسة من إشعياء ٦٥ : ١٧ ؛ ٦٦ : ٢٢ ؛ قارن الرؤيا ٢١ : ١)[1] . ولكن تغيير هذا الكون يعتمد بالدرجة الأولى على تغيير الإنسان بعمل نعمة الله .

ولقد بدأت نعمة الله عملها على التو فى حياة المُبَرِرين ، ويتثبت عملها المستمر بكفاية بسكنى الروح ، وهى ذات النعمة التى فى يوم المسيح ، سوف تكمل العمل الإلهى الذى كان قد ابتدأ .ولكن سكنى الروح ليست وحدها الدليل على استمرار عمل نعمة الله معنا حالياً ، بل هى الضامن للمجد الآتى ـــ وهى أكثر من ضامن ، إنها الدفعة المقدمة من المجد الآتى . وليس هناك أى انقطاع بين ما هو واقع الآن ، وما سوف يحدث فى ما بعد ، فيما يتعلق بعمله فى شعبه ومن أجلهم .

فإذا كانت الخليقة الجامدة تتوق إلى يوم التحرر وهى معصوبة العينين ، فإن مجتمع المفديين ، الذين يرون المجد مشرقاً أمامهم ، يجهدون أنفسهم بذهن متوقد ، فى تطلعهم لتحقيق ذلك الرجاء . وبالنسبة لهؤلاء المفديين ، إنه التبنى بمعنى إنه اليوم الذى يعترف بهم على الملأ ، وعالميا أنهم أبناء الله ، وهو يعنى

---

(١) يمكن فهم وإدراك اللغة الرؤوية لما جاء فى (رؤ ٢٠ : ١١ ، ٢١ : ١) على ضوء الأقوال الأكثر واقعية كالتى أمامنا ... والعكس ليس صحيحا .

بالنسبة لهم أيضاً (فداء الجسد) . يوم القيامة ، حين يتحول جسد التواضع الحالى إلى شبه جسد المسيح الممجد ، وحين تختبر شخصية الإنسان بكاملها فى نهاية الأمر فوائد عمله الفدائى .

هذا هو رجاء شعب الله (المسيح فيكم رجاء المجد) كما عبّر عنه بولس فى رسالة أخرى (كولوسى ١ : ٢٧) . هذا الرجاء هو عنصر أساسى فى خلاصهم ، هذا الرجاء يساعدهم على تقبل تجارب الحاضر ، بحيث يصبح فى إمكانهم عن طريق احتمالهم وصبرهم أن يربحوا حياتهم عن طريق التلازم بين الرجاء والإيمان والمحبة ، النعم التى تتوج حياة المسيحى ومن العلامات المميزة لحياته .

إن الروح الساكن فى المؤمنين يساعدهم بشفاعته أيضاً فى كل التجارب والمحن التى يتعرضون لها فى الوقت الحاضر . إن الطموحات للقداسة والمجد التى يستثيرها سكنى الروح فى حياة المؤمنين ، هى على درجة عظيمة من التعمق فى أغوار نفوسهم إلى درجة يصعب معها وصفها أو التعبير عنها فى كلمات . وفى مرحلة معينة من حياة التدين ، تعتبر الصياغة الدقيقة للكلمات أمراً ضرورياً لتعطى للصلاة فاعليتها ، أما حين تكون روح الإنسان فى تناغم وثيق مع روح الله ، فإن الكلمات لا تبدو قاصرة فحسب ، بل إنها قد تعوق الصلاة . ولكن الله ، الذى أمامه جميع أفكار كل البشر مثل كتاب مفتوح ، يتوقف فى هذه (الأنات غير المنطوقة) والعميقة فى قلوب شعبه على صوت الروح يشفع فيهم فى تآلف مع إرادته الذاتية ويستجيب لهم بحسبها .

حقا إن نعمة الله الضابطة لكل شيء والتى تعمل كل شيء لخير شعبه ، حتى فى تلك الأمور التى يبدو فيها حالياً أنها تدعو إلى اليأس وتبعث الحيرة فى النفوس وتنوء كواهلها عن حملها ، وكما يقول بولس كأحد الذين مرّوا بمثل هذه الضيقات ، واختبر حقيقة عمل النعمة الإلهية ، وكيف وجد أن العقوبات والمصاعب التى لاقته قد آلت إلى تقدم الإنجيل (فيلبى ١ : ١٢) ، وأن أقسى تجاربه وأعنفها ، كانت جميعها سبيله إلى أن تحل عليه قوة المسيح (٢ كورنثوس ١٢ : ٩ و ١٠) .

وإنه الآن يطلق العنان لذهنه ليرتد به إلى الخلف ويتقدم به إلى الأمام ليقوم بعملية مسح شامل للمسار الكامل لتعاملات الله مع شعبه . لقد سبق الله

فعرفهم قبل تأسيس العالم ، والذين عرفهم سبق فعينهم . إنه سبق فعينهم ليوم الفداء النهائى ، حينما يتطابقون تماما مع صورة ابنه . إن ابن الله هو نفسه صورة الله غير المنظور (كولوسى ١ : ١٥ ؛ ٢ كورنثوس ٤ : ٤) . لقد كان خلق الله للإنسان على صورته ، مرحلة مُبكرة فى اتجاه إنجاز قصده السرمدى ، ليكون له خاصة من خليقته يشاركونه مجده إلى التمام على النحو الذى تستطيع فيه الكائنات المخلوقة أن تشارك خالقها . وعندما تشوهت صورة الله فى الخليقة القديمة بالخطية ، بحيث أن الإنسان بالحالة التى هو عليها الآن ، يقصر عن بلوغ هذا المجد الذى من أجله قد خُلق . فإن قصد الله لم يبطل . وعند الوقت المناسب ، فإن الصورة الإلهية قد أظهرت للبشرية بالإنسان الجديد ، والذى يتغير إلى صورته تدريجيا أولئك الذين اتحدوا معه بالإيمان ، وذلك من مجد إلى مجد ، إلى أن يأتى اليوم الذى نقتبس فيه كلمات يوحنا : (الآن نحن أولاد الله ، ولم يظهر بعد ماذا سنكون ، ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو) (١ يوحنا ٣ : ٢) .

عدد ١٨ : (أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا) . (قارن لوقا ٦ : ٢٢ و ٢٣) : (طوباكم إذا أبغضكم الناس ..افرحوا فى ذلك اليوم وتهللوا . فهوذا أجركم عظيم فى السموات) .

عدد ٢٠ : (إذا أخضعت الخليقة للبطل) : بالإضافة إلى فكرة عدم الجدوى ، فإن البطل كما جاءت فى موضع آخر من الكتاب المقدس اليونانى (قارن أعمال ١٤ : ١٥) وبما تعنى عبادة الآلهة الكذبة ، وإن الخليقة قد استعبدت لقوى شريرة (قارن ١ كو ١٢ : ٢) .

(بل من أجل الذى أخضعها) : من المرجح أن يكون المقصود هو الله . وهناك رأى قديم يقول إن المقصود هو آدم ، من حيث أن خطيته جلبت الموت إلى العالم ولعنت الأرض بالتبعية بسبب هذه الخطية . وقد خرج علينا حديثاً كارل هايم قائلاً (العامل الفاعل هو القوة الثورية للخطية ... « القوة الشيطانية » والتى وجدت قبل الإنسان والتى أتت به تحت سلطانها بتجاربها الخادعة ؛ ولكن هذه المقولة تأتى بنا إلى الثنائية التى لا يُقرها بولس ، وعلى أى حال فإن مثل هذه القوة الشريرة لا يمكن أن يقال عنها إنها أخضعت العالم لعدم جدوى أن يكون له رجاء .

عدد ٢١ : (لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد) : من المحتمل أنه يجب أن يحل (ذلك أن) محل (الآن) ، على أن تؤخذ الجملة التى يعرفها كأنها مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالكلمة الأخيرة من العدد السابق فتصير (على الرجاء ، ذلك أن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد) (إلى حرية مجد أولاد الله) : لأجل الفكرة الأساسية .. قارن رسالة يعقوب ١ : ١٨ « شاء فولدنا بكلمة الحق لكى نكون باكورة من خلائقه » .

عدد ٢٢ : (أن كل الخليقة تئن وتتمخض معا إلى الآن) : ربما كان فى ذهن بولس التوقُّع اليهودى السائد (أوجاع ميلاد العصر المسيانى) زمن الكرب والضيقة الذى يواكب العصر المسيانى (قارن مرقس ١٣ : ٨) (هذه مبتدأ أوجاع ميلاد عصر جديد) فى ترجمة إنجليزية وإذا كان الأمر كذلك فإنه يعتبر أن كل البشرية ، بل والخليقة كلها مشاركة فى أوجاع الميلاد هذه ، ومتطلعة بأنظارها إلى الفرح والبهجة فى أعقابها .

عدد ٢٣ : (باكورة الروح) : إن سكنى الروح تعد هنا فى هذا الوضع وفى غيره من المواضع (الباكورة) بمعنى القسط الأول (أو الدفعة المقدمة) من ميراث المجد الأبدى الذى فى انتظار المؤمنين . ويستخدم بولس نفس هذا التعليم عن الروح فى ٢ كورنثوس ١ : ٢٢ ؛ ٥ : ٥ ؛ أفسس ١ : ١٤ مستعملاً كلمة (عربون) (وتعنى الكلمة فى اليونانية الحديثة خاتم الخطوبة كعربون لضمان إتمام عقد الزواج) .

وقد اعترض البعض قائلين إن بعض قراء هذه الرسالة ربما يستنتجون من استخدام بولس لكلمة (باكورة) فى هذا الموضع أن الروح القدس بالنسبة للمؤمن هو بطاقة تحقيق الشخصية نظراً لوجود ما يدل على هذا المعنى فى بعض المخطوطات البردية . وعلى الرغم من أن هذا لم يكن على وجه التحديد هو ما قصده بولس هنا ، فهذا المعنى لا يعد انحرافاً بهذا الاستنتاج ، حيث أن شيئاً من هذا النوع متضمن فى استخدام بولس لمصطلح (ختم) (الروح) فى أفسس ١ : ١٣ ، ٤ : ٣٠ . وللوقوف على استخدام آخر لمصطلح العربون كرمز ، انظر رومية ١١ : ١٦ (نحن أنفسنا أيضاً نئن فى أنفسنا) قارن ٢ كورنثوس ٥ : ٢ فإننا فى هذه أيضاً (فى خيمتنا) أو (جسدنا) نئن مشتاقين إلى أن نلبس فوقهما مسكننا الذى من السماء . (متوقعين التبنى فداء

أجسادنا) . إن التبنى هنا هو الاستعلان الكامل لحالة المؤمنين كأبناء الله (قارن الآيات ١٤ و ١٥) ، ودخولهم إلى الميراث الذى هو استحقاقهم بفضل هذه الحالة التى أصبحوا عليها . (فداء أجسادنا) ، إن القيامة هى الفكرة التى توسع فيها بولس فى ٢ كورنثوس ٤ : ٧ ــ ٥ : ١٠ . إن نفس الرجاء المنتظر لهذه الفرصة يدعى (يوم الفداء) فى أفسس ٤ : ٣٠ حيث قيل إن المؤمنين يختمون فيه بخاتم الروح .

عدد ٢٤ : (لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً) : من المرجح أننا ربما نفضل القراءة الأقصر التى جاءت فى المخطوطة P46 ، وكذلك القراءة الرائعة التى فى المخطوطة B (لأن من يرجو ما يراه ؟) .

عدد ٢٥ : (إننا نرجو ما لسنا ننظره) : قارن ٢ كورنثوس ٤ : ١٨ ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى تُرى بل إلى التى لا تُرى ، لأن التى تُرى وقتية ، وأما التى لا ترى فأبدية .

عدد ٢٦ : (الروح أيضاً يعين ضعفاتنا) : فى صيغة المفرد (عجزنا) وجاءت أيضاً (ضعفنا) . (الروح نفسه يشفع فينا) قارن أفسس ٦ : ١٨ مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح ؛ وعندما يصلى المؤمنون فى الروح .. فإن الروح نفسه يشفع فيهم . (بأنات لا ينطق بها) : أو بأناتنا التى لا نتلفظ بها . ربما يتضمن المعنى « التكلم إلى الله فى الروح بألسنة (١ كو ١٤ : ٢) ، ولكنها تشمل تلك الاشتياقات والطموحات والتى تندفع متدفقة من الأعماق الروحية والتى لا يمكن حبسها داخل حدود الكلمات اليومية . وقد استطاع (جيمس مونتجمرى) أن يدرك جيداً المعنى الذى قصده الرسول عندما كتب :

الصلاة هى الرغبة الأمينة للروح

منطوقة كانت أم غير منطوقة .

وحركة نار داخلية خافية

تتأجج فى أعماق الصدر

الصلاة هى ثقل تنهيدة

وسقوط دمعة

نظرة ترتفع من العين

عندما لا يكون هناك سوى الله قريب إلينا .

إن الروح الساكن فينا هو الذى يرفع إلى الله مثل هذه الصلاة ، والآب الموجهة إليه يقرأ مباشرة ما فى ذهن المصلّى . وأكثر من ذلك فإن هذه الأنات غير المنطوقة لا يمكن إلا أن تكون مرتبطة بالأنات فى الآية ٢٣ ، والتى من خلالها يتوق المؤمنون (معا مع جميع الخليقة) إلى مجد القيامة الآتى والذى سوف يحقق الاستجابة لكل صلواتهم .

عدد ٢٨ : (ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله) (نحن نعلم) تعبر عن المعرفة الإيمانية . « كل الأشياء » قد تكون إما فاعلاً أو مفعولاً للفعل « تعمل معاً » وهى على أكثر الاحتمالات مفعول به ، وحينئذ يكون الفاعل (هو) حيث أن بعض النصوص القديمة تجعل النص أكثر وضوحاً بإضافة اسم « الله » (وهى إضافة تضفى عمقاً بالغ القوة على الجملة . ومن هنا جاءت ترجمتها فى هامش الترجمة المنقحة لأولئك الذين يحبون الله ، فالله يعمل معهم كل الأشياء للخير ؛ وفى ترجمة أخرى فإنها تعرِّب كل الأشياء على أنها ظرف ، وتترجم الجملة على النحو التالى : (نحن نعلم أن الله ــ فى كل شيء ــ يعمل للخير مع الذين يحبونه) . وأيا كان الأمر ، فإن إحدى الترجمات تحيى تفسيراً قديماً جذاباً لم يلق اهتماماً كبيراً من المترجمين والمفسرين ، حيث يكون الفاعل للفعل « تعمل معاً » هو الفاعل فى الجملة السابقةــ الروح ــ ومن هنا جاءت الترجمة (إنه يلتمس من أجل شعب الله الخاص ، وبأسلوب الله الخاص ، وفى كل شيء كما نعلم ، يتعاون للخير مع الذين يحبون الله .. (قارن ١ كورنثوس ٢٥ : ٩ عن البركات المعدة للذين يحبون الله) . (الذين هم مدعوون حسب قصده) : المدعوون ليست فى المعنى العام الذى يحمل أن (كثيرين مدعوون) ، ولكن قليلين يختارون ؛ وإنما بمعنى أن الدعوة الفعالة والتى هى عمل روح الله ، والذى بواسطته نقتنع بخطايانا وتعاستنا ، وتنير أذهاننا فى معرفة المسيح ، وتجدد إرادتنا ، وتحثنا وتمكننا من تقبل يسوع المسيح ، الذبيحة المجانية المقدمة لنا فى الإنجيل ؛ قارن رومية ١ : ٦ (مدعوو يسوع المسيح) رومية ١ : ٧ « مدعوين قديسين » ،

رومية ٩ : ١١ (بل من الذى يدعو) .

عدد ٢٩ : (لأن الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين) : إن قصد نعمة الله مشروح فى الآيتين ٢٩ و ٣٠ بواسطة التركيب اللغوى الذى يسمى (القياس المتسلسل) ، والذى فيه المحمول المنطقى لإحدى العبارات هو الفاعل المنطقى للعبارة التالية . هنا الخليقة الجديدة ، المجمع البشرى من الرجال والنساء يشابهون صورة المسيح (الذى هو نفسه « صورة الله » ٢ كو ٤ : ٤ ؛ كو ١ : ١٥) ينظر إلى هذا المجتمع من البدء على أنه موضوع علم الله السابق ورحمته . إن إتمام هذا القصد يراه كتبة العهد الجديد متضمنا فى الكلمات المنسمة بالإبداع والخلق فى التكوين ١ : ٢٦ لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ؛ إن الخليقة القديمة فى ذاتها غير كافية لتحقيق هذا الهدف . فهى فى حاجة إلى العمل الفدائىّ للمسيح ووصفه الذى ترتب عليه كرأس الخليقة الجديدة (ليكون بكرا بين إخوة كثيرين) . فى النظام القديم (لأن كل الأشياء به وله قد خُلقت .. صار أيضاً رأسا للنظام الجديد بالقيامة فهو فى البداءة بكر من الأموات) (كولوسى ١ : ١٥ — ١٨ R.S.V) .

أما بالنسبة للكلمات (الذين سبق فعرفهم) ، فإنها تحمل مفهوم اختيار النعمة والذى كثيراً ما يتضمنه الفعل « يعرف » فى العهد القديم . وعندما يعرف الله شعباً بهذه الطريقة الخاصة فإن اختياره يقع عليهم . قارن عاموس ٣ : ٢ (إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض) ، هوشع ١٣ : ٥ : « أنا عرفتك فى البرية ؛ وربما يمكننا مقارنة لغة بولس فى كورنثوس الأولى ٨ : ٣ (إن كان أحد يحب الله فهذا معروف عنده) ، غلاطية ٤ : ٩ (إذا عرفتم الله بل بالحرى عُرِفتم من الله) . إن هذا النوع من المعرفة الإلهية نرى تأكيدا له فى « مخطوطة نظام المجتمع لجماعة قمران » ، (من إله المعرفة يجىء كل ما هو كائن وما سيكون . وحتى قبل أن توجد فهو كان قد وضع الخطة الكاملة لها ، وعلى النحو الذى سبق له تعيينهم ، فقد جاءوا إلى حيز الوجود ، وهم يتممون أعمالهم بحسب قصده المجيد .

عدد ٣٠ : (والذين سبق فعينهم ، فهؤلاء دعاهم أيضاً) : (والذين دعاهم فهؤلاء برَّرهم أيضاً) . إن شعب الله يتجاوب مع دعوته بالإيمان ،

وبالأيمان يُبَرّرون .

(**والذين برّرهم ، فهؤلاء مجدهم أيضاً**) : إن تمجيد شعب الله هو مشابهتهم الكلية والكاملة (لصورة ابنه) : (متى أظهر المسيح حياتنا ، فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه فى المجد) (كولوسى ٣ : ٤ قارن ١ يوحنا ٣ : ٢) .

هذا إذاً هو قصد الله من نعمته التى تسبق فتعين الذين سبق له دعوتهم — خلق جنس جديد يظهرون مجد خالقهم . وهو يتقدم بقصده هذا إلى مدى أبعد بدعوة وتبرير أولئك الذين سبق فوقع عليهم اختياره . والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً .

سبق المعرفة وسبق التعيين هما من خصائص الخطة الإلهية الأبدية ، أما الدعوة والتبرير فلقد اتخذا موضعهما فى اختبار شعبه وخبرتهم ، ولكن مجده ، فيما يتصل باختبارهم وخبرتهم ، إنما يقع فى المستقبل ، فلماذا استخدم بولس معه نفس صيغة الماضى التام كما فعل مع باقى أعمال الله ؟ ربما كان فى ذلك محاكيا الاستعمال العبرانى للماضى النبوى ، والذى بواسطته يتم تمييز أية حادثة تم التنبؤ بها واعتبار إتمامها يقينيا ، ومن ثم توصف وكأنها قد حدثت فعلاً[1] .

ومن حيث الوضع التاريخى فإن شعب الله لم يكن قد تمجّد بعد فيما يختص بالقرار الإلهى ، إلا أن مجدهم قد تقرر منذ أبد الدهر ، ومن ثم فهؤلاء مجدهم أيضاً .

لماذا ينتقل بولس هنا مباشرة من التبرير إلى المجد ، بدون أن يقول شيئا عن الاختبار الحاضر للمسيحيين بتقديسهم بقوة الروح ؟ لا شك أن ذلك مرجعه جزئياً إلى أن المجد الآتى كان سائداً على فكره ، بل وأكثر من ذلك حيث أن الاختلاف بين التقديس وبين المجد هو اختلاف فى الدرجة فقط وليس فى النوع . فالتقديس هو التشابه التدريجى مع صورة المسيح هنا والآن (قارن ٢ كورنثوس ٣ : ١٨ ؛ كولوسى ٣ : ١٠) ؛ أما المجد فهو التشابه الكامل مع صورة المسيح هناك وفى ما بعد . إن التقديس هو بداية التمجيد ، والتمجيد

---

(١) يوجد مثال مشابه فى استخدام الماضى للدلالة على المستقبل فى رسالة يهوذا ١٤ « هوذا قد جاء الرب فى ربوات قديسيه » .

هو التقديس الكامل . وبولس يتطلع إلى الأمام نحو إتمام العمل ، هذا العمل المضمون منذ بدايته « والذين برَّرهم فهؤلاء مجدهم أيضاً » .

(٣) انتصار الإيمان (رومية ٨ : ٣١ ــ ٣٩)

هل هناك ما بُعد تشجيعاً أقوى على الإيمان من التأمل فى قصد الله الخلاصى لشعبه ، وعمله نحو إتمام هدفه المعين ؟ ولما كان الله هو خلاصهم القوى ، فمن يستطيع أن يقف ضدهم ؟ ومن حيث أن محبته لهم قد أظهرت بجلاء وجلال فى ذبيحة ابنه من أجلهم ، فهل يحجز عنهم شيئاً من الخير ؟ يتخيل للحظة الموقف على شكل مجلس القضاء ، حيث يقف المؤمن لمحاكمته .

ولكن من الذى يجرؤ على أن يتقدم كالمدعى العام (يشتكى) ؟ إن الله نفسه ديان الجميع ، قد سبق وأن أصدر نطقه الإلهى بالتبرئة والتبرير ، فمن ذا الذى فى مقدوره أن يجادل فى حكمه ؟ إن المدعى لا يجرؤ على المخاطرة بالظهور ، ذلك أن مجلس الدفاع حاضر ومستعد . (المسيح هو الذى مات ، بل بالحرى ، قام أيضاً ، والذى هو أيضاً عن يمين الله ، والذى يشفع فينا) ، ولن يستطيع أى شيء أن يقف بين محبته وشعبه ، ولا كل التجارب والضيقات التى سبق أن مروا بها ، أو التى سوف تلحق بهم فى ما بعد . ولقد توحدت معا وتكتلت جميع القوى الجبارة الطبيعية والفائقة للطبيعة فى الصراع الروحى ضد شعب المسيح ،لكنهم تغلبوا عليها جميعاً فى المسيح وظلوا ثابتين تحيطهم وتقويهم محبته التى لا تتبدل .

عدد ٣٢ : (والذى لم يشفق على ابنه) : هنا صدى لما جاء فى التكوين ٢٢ : ١٢ حيث يقول الله لإبراهيم : « إنك لم تمسك ابنك وحيدك عنى » . وربما يلعب (ربط اسحق) (وهذا العنوان التقليدى الذى أطلقة اليهود على قصة التكوين الأصحاح ١٢) دوراً أكبر فى تفكير بولس عن ذبيحة المسيح أكثر مما يبدو على السطح . فهو ينظر إليه فى التفسير اليهودى باعتباره المثال الممتاز الذى يمثل العناية الفدائية للاستشهاد . (كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء ؟) (قارن متى ٦ : ٣٣) : (وهذه كلها تزاد لكم) . عددى ٣٣ و ٣٤ (الله هو الذى يبرر .. من هو الذى يدين ؟) : نستطيع أن نتبين فى اللغة القضائية لهذه الفترة صدى لا يمكن أن نخطئه للتحدى المماثل لعبد الرب فى إشعياء ٥٠ : ٨ و ٩ (قريب هو الذى يبررنى ، من يخاصمنى .

لنتواقف . من هو صاحب دعوى معى ليتقدم إلىّ .. هوذا السيد الرب يعيننى . من هو الذى يحكم علىّ ؟) وأحسن توضيح لنص العهد القديم هو صمت الشيطان ، المدعى العام الرئيسى فى مجلس القضاء السماوى ، حينما يعلن الله قبوله ليهوشع الكاهن العظيم .

عدد ٣٤ : (الذى هو أيضاً عن يمين الله) : هى صدى للمزمور ١١٠ : ١ (قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك) . هذه الكلمات التى كان تفسيرها المسيانى حقيقة مقررة بديهية عند اليهود فى زمن المسيح (قارن مرقس ١٢ : ٣٥ و٣٧) قد طبقت واستعملت عن يسوع منذ الأيام الأولى فى الكنيسة ، وتكوّن الأساس الكتابى لتعليم تمجيده وصعوده وجلوسه على يمين الآب . أى فى موضع السيادة على الكون كله : لكن يوما ما ، بينما كنت أجتاز فى الحقل ، وضميرى مثقل أيضاً ببعض المخاوف خشية أن لا يكون كل شيء فى وضعه الصحيح ، وقعت هذه الكلمة على نفسى ، فجأة استقرت فى داخلى (برّك فى السماء) وخيل إلىّ كذلك ، أننى أرى بعينى الروحية ، يسوع المسيح جالساً عن يمين الله ؛ وقلت : [«هذا هو برى» لذلك فحيثما أوجد أو مهما أعمل فإن الله لا يرى فىّ إلا البر الذى يريده وهو المسيح] . ثم رأيت أيضاً أن صلاح قلبى لا يزيد برى ، كما أن فساد قلبى لا يقلل من برى لأن برى هو يسوع المسيح نفسه الذى هو أمساً واليوم وإلى الأبد] . يوحنا بنيان من كتاب النعمة المتفاضلة .

(الذى أيضاً يشفع فينا) : هذا صدى آخر للجزء الرابع من أنشودة العبد (إش ٥٢ : ١٣ ــ ٥٣ : ١٢) : (العبد) (يشفع فى المذنبين) (إش ٥٣ : ١٢) (انظر الملاحظة على رومية ٤ : ٢٥) . يتحدث (ترجوم يوناثان) عن العبد المسيا ، على أنه يقوم بالتوسل والضراعة من أجل التعديات ليس فقط فى إشعياء ٥٣ : ١٢ . ولكن أيضاً فى الآيات ٤ ــ ١١ . وعلى هذا فهناك شفيع للمؤمنين عن يمين الله ، وكذلك شفيع هنا (الآية ٢٧) ــ وأياً كان الأمر فليست هذه هى قوة الكلمة (أيضاً) التى تؤدى ببساطة إلى تعزيز الضمير الموصول المتكرر وهو (الذى) .

عدد ٣٦ : (كما هو مكتوب إننا من أجلك نمات كل النهار ، وقد حسبنا مثل غنم للذبح) : اقتباس من حز ٤٤ : ٢٢ ــ وهو تضرع إلى الله لسرعة

الإنقاذ فى وقت حزن شديد لشعب الرب .

عدد ٣٧ : (**فى هذه جميعها**) : ربما تكون صيغة عبرانية تعنى (على الرغم من كل هذه الأمور) (منْ أجل ذلك كله) (يعظم انتصارنا) أى (نحن منتصرون انتصاراً عظيماً) .

عدد ٣٨ : (**ولا قوات**) : هناك رأى بأن موضع هذه العبارة يجب أن يكون بعد عبارة (ولا أمور مستقبلة) ، فى ختام الآية ، بينما هناك رأى آخر أنها تأتى بعد (ولا رؤساء) باعتباره الموضع الأكثر مناسبة . وعلى أية حال فإن (الرياسات) و (القوات) هى قوى الشر فى العالم : (أجناد الشر الروحية فى السماويات) ، والتى وردت فى أفسس ٦ : ١٢ (وليست كل الرياسات والقوات قوى معادية للمؤمنين ، ولكن هؤلاء الذين طُبعوا على اتخاذ المواقف الودية من المؤمنين لا يحاولون على الإطلاق فصل المؤمنين عن محبة المسيح) . كما أنه ليس هناك أى شيء عن أبعاد القضاء (لا علو ولا عمق)[1] ، ولا فى مسيرة الزمان (لا أمور حاضرة أو مستقبلة) لا شيء على الإطلاق فى عالم الله (ولا أى كائن آخر) يمكن أن يفصل أبناء الله عن محبة الآب المكفولة لهم فى المسيح .

---

(١) (العلو) و (العمق) كانت تعبيرات فنية فى (علم التنجيم) وبعدها فى (الطقوسية) وقد لا تكون فى ذهن بولس هذه الأهمية عندما استخدم هذا التعبير ، لكن حتى لو كان ذلك فى ذهنه ، فإن هاتين الكلمتين تكونان وثيقتى الصلة بـ (الرياسات والقوات) التى كان يعتقد أنها تتحكم فى تحركات الأجرام السماوية وبخاصة النجوم . وبذلك فقد كانت تتحكم فى مصائر الكائنات الفانية ـــ لكن الحظ ـــ سواء كان حقيقياً أو خيالياً ، ليس له قوة على أولئك الذين (حياتهم مستترة مع المسيح فى الله) كولوسى ٣ : ٣ .

الأصحاح التاسع

خامسا : عدم إيمان البشر والنعمة الإلهية (رومية ٩: ١ — ١١ : ٣٦)

(أ) مشكلة عدم إيمان إسرائيل (رومية ٩ : ١ — ٥)

إن الأصحاحات ٩ — ١١ تشكل جملة اعتراضية فى مسار محاجّة بولس بالنسبة للقارىء فى العصر الحاضر . فلو أن بولس تقدم مباشرة من ٨ : ٣٩ إلى ١٢ : ١ ، فلن يكون لدينا أى إحساس بأية ثغرة أو فجوة فى حججه وبراهينه التى يسوقها . لقد وجه أذهان قرائه تواً نحو ذروة مقاصد الله من النعمَة ، والمجد الذى سوف يستعلن فى أبناء الله .

فما الذى كان يستطيع أن يقوله أكثر من أن يؤكد فى أذهان قرائه مسئوليتهم عن الحياة فى هذا العالم ، بما يناسب كونهم ورثة للمجد الآتى ؟ فلو أن : « فأطلب إليكم » (الآية ١٢ : ١) جاءت فى هذا الموضع ، فإننا كنا بالطبع سنكون مستعدين لها .

ولكن بولس لم يفعل ذلك . إن المشكلة التى يتقدم الآن للتشبث بها كانت من النوع الذى يهمه بدرجة كبيرة من الناحية الشخصية . فهو يفتخر بخدمته كرسول للأمم ، ويفرح ويبتهج لخلاصهم . ولكن إخوته أنسباءه حسب الجسد ، وهم الأمة اليهودية قد عجز الجزء الأعظم منهم عن قبول رسالة الخلاص المعلن لهم فى الإنجيل ، على الرغم من أنهم كانوا أول من قُدِّمت إليهم هذه الرسالة . فماذا إذاً ؟ هل يجب أن يشطبوا باعتبارهم غير مستحقين للحياة الأبدية ؟ بالطبع لا ، لقد كانوا شعبه الخاص ، وليس فى إمكانه أو فى مقدوره أن يفصل نفسه عنهم . وهو أيضاً ، مثل الكثيرين منهم ، قد سبق له أن قاوم الإنجيل ، إلا أن يسوع المقام قد أسره ووضعه على طريق المسيحية . وكم كان يتوق إلى أن تسقط القشور عن أعينهم : وفى الحق لو كان يمكن أن يشترى خلاصهم أو أن يصبح مداناً وملعوناً من أجلهم ، فإنه لن يتوانى عن أن يفعل ذلك لو أن هذا الأمر كان ميسوراً أن يكون محروما من المسيح من أجلهم . وبالنسبة لتجميع الأمم وإدخالهم إلى حظيرة المسيحية فإنه مهما بلغ شأوا

عظيماً ، فإن هذا لا يمكن أن يعوض القصور من جانب أمته الخاصة ، الأمر الذى سبب لبولس حزناً وألماً مقيماً .

وربما نستنتج أنه اهتم بهذا الموضوع أيضاً بسبب الحاجة التى دعت إليه فى الكنيسة الرومانية ويظهر أن المؤمنين الأصليين فى روما كانوا من اليهود ، ولكن بمرور الوقت فاقهم المؤمنون من الأمم فى العدد ، وربما ظهر اتجاه بين بعض المسيحيين من الأمم إلى النظر إلى إخوتهم اليهود كأقارب مستضعفين ، أنقذتهم رحمة الله من أمة مرتدة رافضة . وكان موقف بعض اليهود المسيحيين هو موقف رفض أى طعن أو تشهير بأمتهم ، والتأكيد على تكافلهم المستمر معها إلى درجة أنهم أصبحوا فى خطر الاستحقاق بالسمات المميزة للإيمان والحياة المسيحية والتى شكلت رابطة بينهم وبين إخوتهم المسيحيين من الأمم ، بدرجة أكثر من تلك التى تربطهم بإخوتهم فى الجسد من اليهود . (وربما نجد فى ما بعد مثل هذا الموقف فى مرحلة متأخرة فى الرسالة إلى العبرانيين) . وقد قدَّر بولس الحكمة فى أن يعرض لكلا الجانبين بالحديث بعض الشىء عن الدور الذى لعبه كل طرف ، سواء من اليهود أو الأمم فى قصد الله الخلاصى . ولكن فوق كل شىء آخر ، فالمشكلة الحقيقية كامنة فى إثبات عدل الله وصلاحه على الرغم من وجود الشر فى العالم ، وهو ما يعرف بالثيوديسية theodicy . وقد استدعى الموقف الحاضر عرضا كاملاً وبسطاً لحقائق الإنجيل ، وهو ما حفلت به الأصحاحات السابقة . لقد كان جوهر محاجَّة بولس أن الإنجيل الذى كرز به هو (ورفاقه الرسل) لم يكن بأى حال من الأحوال ابتداعاً ، بل لقد صدقت عليه الكتب المقدسة ، وشهدت على صحته .

إنه إتمام لوعد الله للآباء ، وهو يعلن أن طريق الله للبّر هو الإيمان ، والذى بمقتضاه بورك إبراهيم ، والذى ما يزال مفتوحاً أمام كل الذين يؤمنون على مثال ما فعل إبراهيم . فكيف حدث إذاً أن نسل إبراهيم هم الذين بزوا غيرهم فى عدم الإيمان بالإنجيل ورفضه ؟ ومن المؤكد أنه لو كانت دعاوى بولس صحيحة وشرعية ، لجاء الشعب اليهودى فى مقدمة من يعترفون بها . ولاشك أن مثل هذه الاعتراضات قد أثيرت ، ولابد أن بولس كان يدرك مدى قوتها وخطورتها ، على الرغم من أنه كان على وعى تام من كونها مجرد أفكار خاطئة . ومع ذلك فإن هذا الموقف كان ظاهر التناقض ولا نريد أن نقول

إنه كان موقفاً مخزياً ، ذلك أن الأمة التى أعدها الله بصفة خاصة لأجل هذا اليوم الذى تتحقق فيه وعوده لهم ، هذه الأمة التى كان لها أن تفخر بالعديد من المزايا الفريدة فى نوعها من النعمة الإلهية (والتى تتضمن فوق كل شيء الرجاء المسيانى) .

هذه الأمة التى ولد فيها المسيا فى ملء الزمان ، وفى الوقت المعين من الله ، هذه الأمة قد عجزت عن أن تعترف به حينما جاء ، بينما الرجال والنساء من الأمم الأخرى التى لم يسبق لهم أن تمتعوا بمثل هذه الامتيازات ، تقبلوا الإنجيل واحتضنوه فى شوق ولهفة بمجرد سماعه لأول مرة . كيف يمكن التوفيق بين هذا الموقف وبين اختيار الله لإسرائيل وإعلانه قصده بمباركة الأمم بإسرائيل ؟ إن بولس فى هذه الأصحاحات الثلاثة يتصارع مع هذه المشكلة . ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يفعل فيها هذا . إن محتويات هذه الأصحاحات الثلاث هى بلا شك ثمر سنوات طويلة من التفكير والصلاة من جانبه ، ومن هنا قيل إن هذه الأصحاحات قد وجدت قبلاً كمعالجة مستقلة ، وهذا أمر مشكوك فيه .

ويبدو من الواضح ، أنه بينما كان بولس يملى على ترتيوس ، كان يصارع مجدداً مع هذه المشكلة ، متجها إلى إيجاد حل لها تارة من هذا الطريق ، وتارة من ذاك حتى توصل فى النهاية إلى النور الكامل للحكمة الإلهية المتمثلة فى نعمته المهيمنة على كل شيء . وهو يبدأ بعبارة واحدة عن طرق الله فى الاختيار وينتهى بأخرى ، لكنه فى الختام يتعمق فى طبيعة وهدف الاختيار الإلهى أكثر مما فعل فى الاستهلال وهو يبدأ بالمشكلة الخاصة بالمقاومة اليهودية للإنجيل . ويختتم بالكشف عن (القصد الإلهى فى التاريخ)[1] بطريقة تتجاوز أى فقرة أخرى فى الكتاب المقدس بالمقارنة معها .

وأول إجابتين يقدمهما بولس لهذه المشكلة هما :

(١) هذه هى الكيفية التى جرت بها الأمور فى نظام القصد الإلهى للاختيار ، والذى لا يمكن تحديه (٩ : ٦ ــ ٢٩) .

---

(١) هذا هو عنوان الأصحاحات ٩ ــ ١١ فى تعليقات (دود) . أما (و . مانسون) فيعطيها عنوان (بر الله فى التاريخ) مما يبرز بصورة أفضل تكاملها ووحدتها مع الموضوع الرئيسى للرسالة .

(٢) إن إسرائيل بمقاومتها للإنجيل إنما تكرر سيرتها التى مضت فيها على امتداد تاريخها السالف ، إذ أنهم فى واقعهم « شعب معاند ومقاوم » ولا يستجيبون لمطالبة الله لهم بالرجوع إليه (٩ : ٣٠ — ١٠ : ٢١) .

ويتبع بولس هاتين الإجابتين ، بإجابتين أخرتين ، ممتلئتين بوعود أعظم :

(أ) إن كون (بقية) من إسرائيل قد آمنت فعلاً بالإنجيل هو رمز إلى أن إسرائيل بأجمعها سوف تفعل هذا الأمر (١١ : ١ — ١٦) .

(ب) إذا كان رفض إسرائيل الحالى للإنجيل كانت الفرصة لفيض من البركة للأمم ، فإن قبول إسرائيل للإنجيل سيكون بداية ليوم التجديد العالمى الواسع المدى للبشرية (١١ : ١٧ — ٣٢) .

عدد ١ : (وضميرى شاهدٌ لى بالروح القدس) : قارن الملاحظة على الأصحاح ٢ : ١٥ .

عدد ٣ : (فإنى كنت أود أن أكون أنا نفسى محروما من المسيح) : إن صلاة موسى بعد حادثة العجل الذهبى تقفز إلى ذهننا لتذكرنا بالمماثلة مع هذه الصلاة : (والآن إن غفرت خطيتهم . وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت) (خروج ٣٢ : ٣٢) . ولكن فى حين يرفض موسى أن يبقى حياً لو فنى شعبه . نرى بولس يكاد يتقبل أن يفنى شخصه إذا ما كان فى هذا خلاص إسرائيل .

عدد ٤ : (ولهم التبنّى) : أى أن شعب إسرائيل يطلق عليهم كلهم مجتمعين (ابن الله) (خروج ٤ : ٢٢و٢٣ ، هوشع ١١ : ١) ، وكأفراد « أبناء » الله (هوشع ١ : ١٠) .

(والمجد) : كانت السكينة رمزاً لسكنى الله فى وسطهم ، كما حدث فى خيمة الاجتماع التى أقامها موسى (خروج ٤٠ : ٣٤) . وفى هيكل سليمان (١ ملوك ٨ : ١٠و١١) . (والعهود) : هناك دليل له وزنه على القراءة فى صيغة المفرد (العهد) ،ويعنى فى هذه الحالة (العهد فى سيناء) (خر ٢٤ : ٨) . ولكن صيغة الجمع من المرجح أن تكون هى المفضلة (قارن أفسس ٢ : ١٢) . وبذا تتضمن العهود التى قطعها الله مع إبراهيم (تك ١٥ : ١٨ ، ١٧ : ٤ — ٦) ، ومع إسرائيل زمن موسى (خروج ٢٤ :

٨ ؛ ٣٤ : ١٠) ؛ (تثنية ٢٩ : ١ ــ ٩) ، (تثنية ٢٧ : ٢ ــ ٤) وعهد الله مع يشوع (يشوع ٨ : ٣٠ ــ ٣٢ ، ٢٤ : ٢٥) ، وعهد الله مع داود (٢ صموئيل ٢٣ : ٥ ؛ مزمور ٨٩ : ٢٨) ؛ ولسنا نذكر هنا (الميثاق الجديد) والذى هو أولاً لـ « بيت إسرائيل و .. بيت يهوذا » (إرميا ٣١ : ٣١) .

وإعطاء الشريعة (الاشتراع) . الناموس الموسوى (خر ٢٠ : ١ ــ ٣) . و (عبادة الله) طقوس العبادة الإلهية ، والتى جاءت بصفة خاصة فى سفر اللاويين ، والتى كانت ما تزال مرعية فى الطقوس الخاصة بالعبادة فى الهيكل فى الوقت الذى كان يملى فيه بولس كلماته هذه . و (المواعيد) : وتتضمن الوعود المسيانية « مراحم داود الصادقة » (إش ٥٥ : ٣ ؛ أعمال ١٣ : ٢٣ و ٣٢ ــ ٣٤) ، ويجب أن يحتل الوعد لإبراهيم ونسله مكانة فريدة بين هذه الوعود ، والتى كانت الأساس فى الحصول على البر بالإيمان (رومية ٤ : ١٣ ــ ٢١) .

عدد ٥ : (ولهم الآباء) : ويُقصد بهم الآباء (إبراهيم واسحاق ويعقوب ، والأسباط الاثنى عشر) والذين كانوا أول من تلقوا هذه الوعود التى أسلفنا ذكرها . (ومنهم أتى المسيح حسب الجسد) : قارن التأكيد على نسب المسيح الداودى فى الأصحاح ١ : ٣ ، وما جاء فى عبارة أخرى من أن المسيح (قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء) (رومية ١٥ : ٨) . وفيه تتحقق مواعيد الله لإسرائيل .

(الكائن على الكل ، إلهاً مباركاً إلى الأبد) : إن العلاقة بين هذه الكلمات ، وبين ما سبقها قد ثار حولها جدل . ومن الجائز على حد سواء أن نفسر العبارة اليونانية على أنها بدل أو « عطف بيان » عن المسيح ، أو أن نعتبرها عمداً وتسبيحا لله منسوب إلى المسيح يحض عليه ما ذُكر عن المسيح أن فيه بلغت بركات الله لإسرائيل ذروتها وأوجها .. (مبارك الله إلى الأبد على الكل) . إن البنية اللغوية السالفة أكثر تمشياً مع البنية اللغوية العامة للجملة (قارن ١ : ٢٥) حيث نجد أن الكلمات (الذى هو مبارك إلى الأبد آمين) ليست قائمة بذاتها لحمد الله وتسبيحه ، ولكنها تكوِّن الختام الصحيح المكمِّل للجملة . كما أنها تجد دعماً أكثر من هذا بالاعتبار القائم على الحاجة إلى وجود

من يتوازن مع عبارة (حسب الجسد) ، أى نسبه البشرى — وأنه جاء من خلال سلسلة طويلة من أسلاف إسرائيليين — ولكن من حيث وجوده الأزلى هو (الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد) . وهناك مجادلة أساسية لهذه المناقضة نجدها فى الأصحاح ١ : ٣ و ٤ حيث قيل عن المسيح إنه من نسل داود (من جهة الجسد) ، ولكنه تعين ابن الله بقوة (من جهة روح القداسة) . حقا لم يكن من عادة بولس أن يدعو المسيح (الله) بمثل هذا الأسلوب المباشر ، حيث احتفظ له بلقب (الرب) . ولكن لنا « إله » واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ، ونحن له ، ورب واحد يسوع المسيح ، الذى به جميع الأشياء ، ونحن به ، (١ كورنثوس ٨ : ٦) ؛ (قارن ١ كورنثوس ١٢ : ٣ — ٦ ؛ أفسس ٤ : ٤ — ٦) . ومن هنا فإن المسيح هو فى نظر بولس الذى « فيه » و « له » وبه كل الأشياء قد خُلقت (كولوسى ١ : ١٦) ، والذى فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا (كولوسى ٢ : ٩) و (كرسى الله) (رومية ١٤ : ١٠) ، والذى يُدعى فى ٢ كورنثوس ٥ : ١٠ (كرسى المسيح) . والأكثر من هذا ، فإن بولس حينما يدعو المسيح (ربًّا) ذلك لأن الله الآب نفسه هو الذى أعطاه هذا الاسم : (وأعطاه اسماً فوق كل اسم) (فيلبى ٢ : ٩) . ولقد أعطى بولس هذا الاسم ليسوع كمعادل للاسم العبرانى (يهوه) : بنفس الأسلوب الذى استخدم فيه إشعياء ٤٥ : ٢٣ (قارن رومية ١٤ : ١١) وطبقه على يسوع فى فيلبى ٢ : ١٠ و ١١ ، وهذا يوضح أن الاعتراف بأن « يسوع المسيح رب » يعنى أن يسوع المسيح هو يهوه . وإلى جانب ذلك فإن بولس كان مدركاً ككاتب الرسالة إلى العبرانيين لمعنى المزمور ٤٥ ، حيث قيل للملك فى الآية ٢ : (لذلك باركك الله إلى الأبد) ، هو نفسه الذى خوطب كالله فى الآية ٦ (كرسيُّك ياالله إلى دهر الدهور) (قارن العبرانيين ١ : ٨ و٩) . إن صياغة هذا المزمور قد تكون هى التى ردد بولس صداها فى هذا الموضع (قارن أيضاً المزمور ٢١ : ٦) .

(ب) اختيار الله المطلق (رومية ٩ : ٦ — ٢٩)

هل أخفقت خطة الله ؟ لا بالطبع ، كما يقول بولس . إن الموقف الراهن يتكشف عن نموذج جديد للعمل الإلهى لم يمط عنه اللثام بدرجة كافية فيما مضى . لقد فتح البعض قلوبهم لتلقى الإعلان الإلهى ، بينما قسَّى البعض الآخر

قلوبهم وأغلقوها دونه ، وحسب اختلاف تجاوبهم أظهروا إن كانوا من بين الذين اختارهم الله .

ولقد سبق لبولس أن ألمح (فى الأصحاح ٢ : ٢٨ و٢٩) إلى أن اليهودى حقاً هو ذلك الرجل الذى تمجد حياته الله ، وأن النسب الطبيعى والختان الظاهر ليسا من الأشياء التى تهم كثيراً . وهو هنا يُشير فى حزن وأسى إلى أن ليس كل نسل إبراهيم هم إسرائيليون بالمعنى العميق لهذه الكلمة ، وأن ليس كل نسل إبراهيم هم أبناء إبراهيم ، بالمعنى الروحى الذى فسره به فى الأصحاح الرابع . وعلى امتداد تاريخ العهد القديم فإن الله تحقق قصده فى جماعة مقربة أقلية مختارة ، وبقية أمينة مخلَّصة . لقد كان لإبراهيم عدة أبناء ، ولكن من خلال واحد فقط (إسحاق) ابن الموعد .

نستطيع أن نقتفى مسيرة وعد الله . ولقد كان لإسحاق بدوره ابنان ، ولكن من خلال واحد فقط هو يعقوب ، تسلسل النسل المقدس . ولم يكن اختيار الله ليعقوب وتخطيه لأخيه عيسو قائماً على أساس سلوك التوأمين ، أو شخصيتهما على الإطلاق ، بل لقد سبق الله فأعلن اختياره قبل مولد الأخوين التوأمين . وهذا هو أيضاً ما يلمح إليه بولس الآن ، فحين يتلقى البعض الإشارة ولا يتلقاها غيرهم ، هنا نميز الاختيار الإلهى ، والذى يعمل بصورة مسبقة على إرادة أو نشاط أولئك الذين كانوا موضع الاختيار . وإذا كان الله لا يكشف عن الأسس التى يقوم عليها اختياره ، فمن ثم ليس هناك من سبب يدعونا إلى أن نضع اختياره موضع التساؤل والجدل . إنه رحيم وعطوف لأن هذه هى مشيئته ، إن صفة الرحمة ليست متكلفة وخصوصاً عندما يكون الله هو الذى يظهر رحمته ، فإنه لو كان الله مرغماً على أن يكون رحيماً ، فإن رحمته فى مثل هذه الحالة لن تكون فقط أقل مما يجب أن تكون عليه ، بل إنه هو ذاته يكون قد فقد صفة (الإله) . إن هذا المبدأ القائم على الاختيار الإلهى المطلق لا يسرى فحسب على تعاملاته مع النسل المختار لجنس إسرائيل ، بل إننا نراه يسرى على فرعون ملك مصر فى قصة الخروج ، الذى أعلن فى عناد متكرر رفضه السماح لإسرائيل بالخروج من مصر . لماذا احتمل الله عناد فرعون طويلا ؟ إن الله يقدم لنا بنفسه الجواب : « لهذا القصد أبقيت على حياتك ، لأظهر فيك قوتى ، ولكن يُخبر باسمى فى كل الأرض » (خروج ٩ : ١٦) ، (ولكن لأجل هذا أقمتك لكى أريك قوتى ، ولكى يخبر باسمى

فى كل الأرض) (فى الترجمة العربية) . إن كل هذا التمرد والعصيان من جانب إنسان مثل فرعون لن يحول أو يعوق قصد الله ، ولسوف ينتصر مجد الله ، سواء أطاع الإنسان أم عصى .

وهنا يأتى الرد بحجة متعاكسة ، إذا كان الله قد سبق وعين طرق البشر بمشيئته الخاصة ، فلماذا يلومهم الله على طرقهم ؟ إنهم لا يعارضون إرادته ، بل إنهم يتصرفون وفقاً لمشيئته . وهنا يأتى رد بولس : (من أنت أيها الإنسان الذى تجاوب الله ؟) ، وهنا يأخذ بولس بالقياس التمثيلى بصانع الفخار والآنية التى يصنعها ، تلك المشابهة التى أخذ بها أنبياء العبرانيين ، وكذلك الشاعر عمر الخيام ، لقد تعلم النبى إرميا درساً عن معاملات الله مع شعبه يوم ذهب إلى حانوت صانع الفخار ورأى كيف يشكل الفخارى الطين على النحو الذى يتراءى له ، وكيف أنه يضغط على الآنية التى تشوهت ويحوِّلها إلى كتلة من الطين لا شكل لها ، ليعيد تشكيل آنية جديدة منها . « ويل » لمن يخاصم جابله . خزف بين أخزاف الأرض ! هل يقول الطين لجابله ماذا تصنع ؟ أو يقول عملك ليس له يدان (إش ٤٥ : ٩) . ربما نوافق أن تقوم هذه المشابهة والقياس التمثيلى بالفخارى وآنيته الخزفية بتغطية مظهر واحد من مظاهر علاقة الخالق بأولئك الذين قد خلقهم ، وبصفة خاصة البشر الذين خلقهم على صورته . إن الأوانى الخزفية لا تكون على صورة الفخارى ، وهى أيضاً لا تستجوبه بأى حال من الأحوال أو تجد نقصاً فى صناعته . أما البشر ، فلكونهم قد خلقوا على صورة الله ، فإنهم يصرون على مساءلتهم لله . ولكن هناك طرائق كثيرة لمحاجتهم مع الله . هناك تساؤل الإيمان كما هو الحال مع أيوب أو إرميا حين يطلب أى واحد منهما بياناً عن سبب تعامل الله معه على هذا النحو . حتى المسيح أيضاً فقد صرخ على الصليب قائلاً : لماذا تركتنى ؟ ولكن عندما يصرخ رجل الإيمان على هذا النحو ، فإن ذلك بكل تأكيد مرجعه إلى أن المقدمة المنطقية العظمى لتفكيره هى بّر الله وأيضاً قوته . ومن ناحية أخرى فإن تساؤل غير المؤمن والعاصى ، يكون محاولة من الإنسان أن يضع الله فى قفص الاتهام ، ويجعل من نفسه القاضى الذى يدينه . إن مثل هذا الرجل هو الذى يتوجه إليه بولس بالتوبيخ الصارم ، ويذكره بموقفه كمخلوق أمام خالقه . ولقد أسىء فهم بولس ووجّه إليه النقد غير العادل نتيجة الفشل فى إدراك أن الشخص المتمَرد الذى يتحدى الله وليس الشخص

المنذهل والمتحير الساعى فى طلب الله هو الذى يسد الله فمه على نحو بات وقاطع . إن الله بنعمته يسمح لشعبه مساءلته ، ولكنه لا يسمح على الإطلاق أن يكون فى موقف استجواب شاهد الخصم ، أو فى موقف المحاكمة من قلب قاس ، غير تائب أو نادم . وهنا يقول بولس ، نفرض أن الله يريد أن يُظهر عدالة حكمه وقوته ، فلماذا لا يحتمل بأناة كثيرة إناء مثل فرعون (وهنا تطبيق للمجاز) ؟ ولماذا لا يبين غنى مجده على آنية رحمة أخرى سبق فأعدها للمجد ؟ وهنا كان بولس أكثر يقظة ووعيا من بعض اللاهوتيين النظاميين ، فلا يقول بصراحة ومن غير تحفظ : إن الله يفعل هذا ، بل يقول: فماذا لو أن الله فعل هذا الأمر ؟ فمن ذا الذى يجيء به إلى المحاكمة ؟

وبينما لا يسمح بولس بمناقشة حق الله فى أن يفعل ما يريد فى خاصته ، فإنه لا يجعل تأكيده على غضب الله الذى يحل على المرفوضين ، بل يركز على إمهال الله وأناته على الذين استحقوا الهلاك منذ مدة طويلة ، وكما سبق أن أشرنا سابقاً (٢ : ٤) ، إن إمهال الله وأناته لإتاحة الفرصة للبشر لكى يتوبوا ، وإذا كانوا بدلاً عن ذلك ، يقسون قلوبهم أكثر مثلما فعل فرعون بعد العديد من الإمهالات ، فإنهم يختزنون لأنفسهم ثقلاً أكثر من الجزاء فى يوم الانتقام .

ومما يؤسف له أنه فى بعض مدارس الفكر اللاهوتى قد صيغ أن تعليم الاختيار (بدرجة كبيرة من المبالغة على أساس هذه المرحلة التمهيدية من محاجة بولس الحالية ، بدون أن يأخذوا فى الحسبان ـــ بدرجة كافية ـــ عرضه وتفسيره الذى بسطه فى ما بعد عن قصد الله فى الاختيار فى ختام محاجته (١١ : ٢٥ ـــ ٣٢) .

ومع ذلك فإن هذه المرحلة الحالية من المجادلة لا يمكن أن ننكر مسايرتها للحقائق المعترف بها جيداً عن الحياة والتى هى بمثابة مشكلة إثبات وتبرير عدالة الله وصلاحه على الرغم من وجود الشر فى العالم theodicy . قد تتوافر لبعض البشر فرص روحية أفضل من غيرهم ، وبالنسبة لأولئك الذين لهم فرص متساوية فإن بعضهم يستفيد منها ، والبعض الآخر لا يستفيد . إن بعض الأمم قد تلقت قدراً أكبر من نور الإنجيل أكثر من غيرها ، فصاروا بالتالى مسئولين أمام الله . إن الإنسان الذى اختبر نعمة الله الغافرة يتعجب على الدوام لماذا

أصبحت عيناه مفتوحتين ، بينما تظل عيون الآخرين مغلقة . إن النقطة التى يلح عليها بولس هنا هى أن جميع البشر خطاة فى نظر الله ، وليس هناك من يستحق نعمة الله . فإذا اختار الله أن يفيض نعمته على البعض ، فليس هناك من أساس يستند عليه الآخرون فى مجادلتهم حول عدم عدالة الله إذ لم يفض بنعمته عليهم . فإذا كانت العدالة هى ما يطلبونه ، فإنهم سوف ينالونها ولكن : (على الرغم من أن العدالة هى مطلبكم ، فضعوا هنا فى اعتباركم ، أنه فى مسيرة العدالة لن يرى أحدٌ منا الخلاص) .

ففى حقيقة الأمر ، وكما يظهر فى ما بعد من المحاجة الحالية ـــ بوضوح مبارك ـــ أن نعمة الله أوسع كثيراً مما كان يمكن أن يرجوه أى إنسان ، ولكن نظراً لكونها هى نعمة ، فلا يوجد من هو مؤهل أو مستحق لها ، وليس لأحد أن يقول إن على الله أن يعطى حساباً عن الأسس التى بموجبها يفيض بها .. أو لا يفيض .. أكثر مما يفعل فعلاً .

إن النعمة بمطلق سيادتها يمكنها أن تضع شروطاً ، ولكنها فى ذاتها ، لا يمكن أن تلتزم بها .

ولكن الله يُسر ويبتهج بأن يُظهر رحمته ، وهو يجود بها بسخاء على البشر رجالاً ونساءً ـــ من الأمم واليهود على حد سواء ـــ بغير حدود .

إن حقيقة كون الأمم من بين الذين دعاهم على حد سواء مع اليهود، وإنه أعدهم جميعا للمجد . يتضح لنا جليا من اقتباسين من هوشع (انظر شرح عدد ٢٥) .

لقد كان الشعب المختار يعتبر الأمم منذ قرون عديدة (ما عدا بعض الاستثناءات) كأوانى (معدَّه للغضب والهلاك) . ومن المؤكد أن الله قد احتملهم كثيراً بأناته وطول إمهاله ، ولكن الآن فإن القصد من أناته وإمهاله أصبح واضحاً ، لأنه لا يريد هلاكهم بل خلاصهم .

وإذا كانت إسرائيل حالياً قد انحرفت إلى حد بعيد عن الله ، فإن نفس النموذج من العمل الإلهى يمكن أن يجد طريقه ليثمر بينهم أيضاً . وهنا يعتمد بولس على إشعياء كشاهد على هذا الرجاء .

ففى يوم تفشى فيه الارتداد القومى رأى إشعياء أن الدينونة لا محالة واقعة

على كل من إسرائيل ويهوذا ، بحيث لا يتبقى معها منهم سوى ملء قبضة اليد ، مجرد (بقية) أمينة . إلا أنه رأى فى هذه البقية تجسيداً لرجاء المستقبل ، إن مقاصد الله ووعوده لشعبه إسرائيل ، ثم من خلالهم إلى الأمم الأخرى ، لن تفشل ، علماً بأن هذه البقية برزت إلى حيز الوجود من خلال المحنة القاسية من الهزيمة والسبى ، كنواة لإسرائيل الجديدة المتطهرة . إن هذه البقية التى (خلصت) ستكون بدورها بقية مخلّصة . ويرى بولس هذه البقية وقد تجسدت من جديد فى تلك الأقلية من اليهود ، الذين (على مثاله) ، قد اعترفوا بيسوع كربّ ، وهم وإن كانوا أقلية — إلا أن وجودهم كان ضماناً لتحول إسرائيل الجماعى إلى الرب فى يوم مقبل . وقد تطوّر بولس بهذا الرجاء إلى أبعد من ذلك فى الأصحاح الحادى عشر ، وفى نفس الوقت يوجه انتباهه إلى سبب آخر لبركات الإنجيل التى فاضت فى الوقت الحاضر على الأمم أكثر من إفاضتها على اليهود .

عدد ٧ : (**بإسحاق يدعى لك نسل**) : وهو اقتباس من التكوين ٢١ : ١٢ حيث أخبر الله إبراهيم بأن لا يعترض على طلب سارة طرد هاجر وإسماعيل ، لأن نسله سيحسبون من إسحاق ، وليس من إسماعيل (على الرغم من أن إسماعيل سيكون أبا لأمة ، لأنه من نسلك) .

عدد ٨ : (**ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلاً**) : (أبناء الموعد) ، هم حسب تفسير بولس أولئك الذين ، مثل إبراهيم يصدقون وعد الله ، وعلى هذا الاعتبار يحسبون النسل الروحى لإبراهيم : قارن (٤ : ١١ — ١٣) ، وأيضاً المجاز الذى يستنتجه بولس من حادثة إسحاق وإسماعيل فى غلاطية ٤ : ٢٢ — ٣١ .

عدد ٩ : (**أنا آتى فى هذا الوقت ويكون لسارة ابن**) : اقتباس من التكوين ١٨ : ١٠ . (إنى أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن) . هذا هو الوعد ، والذى بحسبه وُلد اسحاق ، الوعد الذى دفع سارة إلى الضحك (انظر التكوين ١٨ : ١٢ ؛ قارن ٢١ : ٦) .

عدد ١١ : (**ليس من الأعمال بل من الذى يدعو**) : قارن ٨ : ٢٨ عن (الدعوة) .

عدد ١٢ : (**الكبير يستعبد للصغير**) : هذا هو وحى الله لرفقة منذ

ميلادهما (تك ٢٥ : ٢٣) . هذه النبوة لا تخص أشخاص عيسو ويعقوب (إذ أن عيسو لم يقدِّم أية خدمة ليعقوب) وإنما تخص نسلهما ، إنها ذات علاقة بالعصور الطويلة التى استعبد فيها الأدوميون (نسل عيسو) لإسرائيل ويهوذا (قارن ٢ صموئيل ٨ : ١٤ ب ، ١ مل ٢٢ : ٤٧ ؛ ٢ مل ١٤ : ٧ الخ) .

عدد ١٣ : (**أحببت يعقوب وأبغضت عيسو**) : نستدل من القرينة فى ملاخى ١ : ٢ و ٣ على أن المقصود هما أمة إسرائيل وشعب أدوم ، أكثر من كونها تدل على أشخاص يعقوب وعيسو . إن الطريقة التى تذكر فيها المجتمعات باستخدام أسماء الأسلاف هو مثال للتأرجح الكتابى (وبصفة خاصة فى العهد القديم) فى التفكير والكلام بين الفرد والشخصية التى تمثل كيان الجماعة ، وهو الأمر الذى كان شائعاً بصفة خاصة فى ذلك الزمان (قارن ٥ : ١٢ ــ ١٤) . كانت إسرائيل هى (الأمة المختارة) ، فى حين انصب غضب الله على أدوم بسبب سلوكهم غير الأخوى تجاه إسرائيل فى زمن مأساتهم (قارن مزمور ١٣٧ : ٧ ؛ إشعياء ٣٤ : ٥ ــ ٨ ؛ إرميا ٤٩ : ٧ ــ ١٠ ؛ حزقيال ٢٥ : ١٢ ــ ١٤ ؛ عوبديا ١٠ ــ ١٢) .

عدد ١٥ : (**إنى أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف**) : مقتبسة من الخروج ٣٣ : ١٩ ، حيث يجيب الرب على طلب موسى أن يرى مجده ، وذلك بعد شفاعة موسى عن إسرائيل بسبب عبادتهم العجل الذهبى . إن قوة هذه الكلمات تظهر فى أن رحمة الله ورأفته لا يمكن أن تخضع لأى سبب خارج نعمته المجانية .

عدد ١٦ : (**فإذاً لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم**) : وهنا أيضاً التأكيد على أن رحمة الله سببها كامن فى ذات الله ، وليس هناك ارتباط بينها وبين إرادة الإنسان أو عمله . إن كلمة « يسعى » هنا تدل على النشاط البشرى المتزايد كما فى غلاطية ٢ : ٢ ؛ فيلبى ٢ : ١٦ .

عدد ١٧ : (**لأنه يقول الكتاب لفرعون**) : (الكتاب) ، (هنا الخروج ٩ : ١٦) .

يشخص هنا بصفة خاصة كبديل لاسم الله ، والذى هو المتكلم الحقيقى ، والفرعون هو فرعون الخروج (الذى خلف فرعون المظالم والذى نلاحظ موته

فى الخروج ٢ : ٢٣) . (إنى لهذا بعينه أقمتك) : أو كنت السبب فى وجودك فى هذا الموقع ، فهو هنا يترجم مباشرة عن النص العبرانى ، نى هذا تأتى الترجمة السبعينية قائلة : (لهذا أبقيتك) . إن الإشارة قد لا تكون هنا مجرد إقامة الله لفرعون ملكا ، بل إلى أناته فى الإبقاء عليه حياً ، على الرغم من عصيانه .

(لكى أظهر فيك قوتى ولكى يُنادى باسمى فى كل الأرض) : قارن الخروج ١٥ : ١٤ و ١٥ ؛ ويشوع ٢ : ١٠ و ١١ ؛ ٩ : ٩ ؛ ١ صموئيل ٤ : ٨ لمعرفة التأثير الذى أحدثته فى الأمم أخبار الخروج وما صاحبها من أحداث .

عدد ١٨ : (**فإذا هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء**) : إن الجزء الأول من هذه الآية هو صدى آخر للخروج ٣٣ : ١٩ (قارن الآية ١٥) ، فى حين يشير الجزء الثانى إلى المناسبات التى قيل فيها عن الله إنه يقسى قلوب فرعون والمصريين (الخروج ٧ : ٣ ؛ ٩ : ١٢ ؛ ١٤ : ٤ و ١٧) .

عدد ٢٠ : (**ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتنى هكذا**) : انظر بالإضافة إلى إشعياء ٤٥ : ٩ المقتبسة سالفاً ، إشعياء ٢٩ : ١٦ . (هل يحسب الجابل كالطين ، حتى يقول المصنوع عن صانعه ، لم صنعتنى ، أو تقول الجبلة عن جابلها ، لم يفهم) .

إن الله ليس مسئولاً أمام البشر عن ما يصنعه ، إلا أنه يمكن الاعتماد على أنه يمكن أن يقوم عمله بالتوافق مع شخصيته التى تكشفت فى أسمى مظاهرها فى المسيح . فلماذا يجادل شعب الله فى طرقه ، وهو الإله الجدير بأن يتوكّل عليه كل البشر .

عدد ٢١ : (**إناء للكرامة وآخر للهوان**) : قارن تيموثاوس ٢ : ٢٠ ، حيث الأوانى تصنع من مختلف أنواع الخامات ، وإن تلك التى للهوان ، هى ببساطة مخصصة لأغراض أقل فى أهميتها من تلك الأوانى « التى للكرامة » (وإن تكن ليست بالضرورة غير نافعة) .

عدد ٢٢ : (**آنية غضب مهيأة للهلاك**) : وهى ليست أدوات غضبه التى يستخدمها للهلاك (قارن إشعياء ١٣ : ٥ ؛ ٥٤ : ١٦ ؛ إرميا ٥٠ : ٢٥) ،

وإنما هى موضوع غضبه ، ولا تصلح إلا للهلاك .

عدد ٢٥ : (كما يقول فى هوشع أيضاً سأدعو الذى ليس شعبى شعبى والتى ليست محبوبة محبوبة) إن بولس يعيد صياغة النص فى كلمات جديدة يقدم فيها المعنى بألفاظ مختلفة على سبيل التوضيح للنص الذى جاء فى هوشع ٢ : ٢٣ . (وأرحم لورحامة ، وأقول للوعمى أنت شعبى) ؛ وربما كانت نبوءة هوشع شائعة الاستعمال فى الكنيسة الأولى كشاهد بهذا المعنى ، أما تفسيرها فى رومية ٩ : ٢٥ فهو ليس على وجه التخصيص من ميزات تفسير بولس للنصوص الكتابية . قارن التطبيق المماثل لهوشع ٢ : ٢٣ على المسيحيين من الأمم فى ١ بطرس ٢ : ١٠ . تعلم هوشع أن يرى مأساة حياته العائلية الخاصة كمثل للعلاقة القائمة بين الله وإسرائيل . فإنه عندما اتخذ جومر بنت ديلايم زوجة له ، أنجبت له ابناً فى حينه ، اعترف به ابناً له ودعاه (يزرعيل) .

أما الابنين الثانى والثالث فقد اقتنع أنهما ليسا من صلبه ، فكانت الأسماء التى أطلقها عليهما تعبران عن رغبته فى التحرر من أوهامه ـــ لورحامة (شخص لا يحس نحوه بأية عاطفة طبيعية) ـــ لوعمى (لا نسب له معى) . هذه الأسماء تدل على موقف الله نحو شعبه إسرائيل ، الذين نقضوا ولاءهم للعهد الذى قطعه معهم ـــ لورحامة (ليس موضوعاً لمحبتى أو رحمتى) ، ولوعمى (ليس شعبى) .

ولكن من أجل الأيام القديمة ، فإن الله لن يسمح لهذه العلاقة المنقوضة أن تبقى هكذا إلى الأبد . إنه يتطلع إلى الأمام .. إلى اليوم الذى فيه يتغير أولئك الذين ليسوا شعبه فى الوقت الحالى، ليصبحوا شعبه مرة أخرى ، ويصير فيه أولئك الذين ليس لهم نصيب فى مشاعره الطيبة حالياً ، موضوعاً لرحمته مرة أخرى .

إن ما فعله بولس هنا هو أنه أخذ هذا الوعد الذى يشير إلى وضع داخل حدود الشعب المختار ، ليستخلص منه مبدأ للعمل الإلهى ، الحالى الذى عاد فتواجد مرة أخرى وعلى نطاق واسع ، ذلك أنه من خلال خدمته الرسولية ، نجد أن أعداداً كبيرة من الأمميين ، والذين لم يكونوا قبلاً شعب الله ، والذين لم يكن لهم الحق فى الدخول فى عهد رحمته ، قد تدفقوا ليحسبوا بين شعبه

وليتقبلوا رحمته . إن مجال العمل الإلهى فى زمن بولس كان أوسع كثيراً مما كان عليه فى زمن هوشع ، وإن كان من الممكن التعرف على نفس المثال والمبدأ .

فمن خلال الخدمة الرسولية بين الأمم فى البلاد التى لم يكن فيها يوماً مثلين لشعب الله ، أصبحت الآن تعج بالمؤمنين الذين استحقوا أن يدعوا « أبناء الله الحى » .

عدد ٢٦ : (**ويكون فى الموضع الذى قيل لهم فيه لستم شعبى أنه هناك يدعون أبناء الله الحى**) : وهى مقتبسة من هوشع ١ : ١٠ .

عدد ٢٧ : وإشعياء يصرخ من جهة إسرائيل (وإن كان عدد إسرائيل كرمل البحر ، فالبقية ستخلص): مقتبسة من إشعياء ١٠ : ٢٢ أ . إن المعنى الواضح لهذه الكلمات هو أن إسرائيل وإن كان عددها هكذا كبيرا ، إلا أن بقية فحسب ، أقلية ضئيلة سوف تبقى بعد الدينونة التى ستحل بالشعب (والتى فيها سوف يستخدم الله الأشوريين كأداة له) ، وتعود من السبى ، ولكن إذا كانت البقية فقط هى التى ستبقى ، وأنها هى التى سوف تعود من السبى وتحمل بين جوانحها أمل تصحيح الأوضاع ؛ إن هذه البقية لن تعود فحسب من السبى ، ولكن : (ترجع البقية بقية يعقوب إلى الله القدير) (إشعياء ١٠ : ٢١) . إن هذه الفكرة المتكررة لنبوءة إشعياء قد أعطيت اسما لابنه الأكبر شآدياشوب (البقية سترجع) ، والذى أصبح على هذا النحو العلامة الحية للشعب عن رسالة الله إليهم من خلال أبيه (إشعياء ٧ : ٣ ؛ ٨ : ١٨) . ويطبق بولس تعليم (البقية) الذى استخلصه من إشعياء على الوضع الدينى فى أيامه هنا ، وأيضاً فى رومية ١١ : ٥ .

عدد ٢٨ : (**لأنه متمم أمر ، وقاضٍ بالبر** : (لأن الرب يصنع أمراً مقضياً به على الأرض) : يمتد هذا الاقتباس ليتماشى مع إشعياء ١٠ : ٢٣ بإضافة (بالبر) وهى تقرأ فى ترجمة أخرى (الرب سينفذ كلمته على الأرض متمما لها وقاضياً بها) ، أو (الرب سينفذ حكمه على الأرض بصرامة وبسرعة) .

عدد ٢٩ : (**لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلا لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة**) : فى وقت الخطر المحدق الذى يتهدد يهوذا وأورشليم ، وفى

ظلال الغزو الأشورى يستخدم إشعياء هذه اللغة (إشعياء ١ : ٩) ، ومعناها الفعلى هو أنه : لولا أن الله أبقى لنا بقية بيننا (مجرد بذرة أمة) ، فإننا لابد وأن يكون مصيرنا الإبادة الكاملة كسدوم وعمورة . (قارن التكوين ١٩ : ٢٤). (الصباؤت) هى نقل لحروف كلمة (الجنود) ، القوات فى العبرانية إلى ما يماثلها من الحروف فى اللغة اليونانية . ومن ثم يكون المعنى ببساطة (رب الجنود) (انظر يعقوب ٥ : ٤) .

جـ ــ مسئولية البشر (رومية ٩ : ٣٠ ــ ١٠ : ٢١)

(١) حجر الصدمة (رومية ٣٠ ــ ٣٣)

والآن وقد نظرنا إلى المشكلة من وجهة نظر الاختيار الإلهى ، فإن بولس الآن ينظر إلى وجهة نظر مسئولية البشر . فما الذى حدث فى حقيقة الأمر ؟ إن الإنجيل بإعلاناته عن البر الذى يهبه الله للمؤمنين ، جاء أولاً إلى اليهود ، وأيضا إلى الأمم ، ولكن الأمم هى التى تقتنيه أولاً . لقد استجابت الأمم شاكرة للرسالة التى أكدت لهم قبولهم من الله على أساس من إيمانهم ، وحُسب لهم براً .

أما اليهود فلقد استمروا (بصفة عامة) فى اتباع طريق البر بالناموس ساعين إلى قبولهم من الله على أساس حفظهم للناموس ، ومع ذلك فلم يتسن لهم تحقيق هذا الهدف قط . أما السبب فى هذا فكان بسيطاً : إنهم قد سلكوا الطريق الخطأ . إن القبول من الله يكون مؤكداً عن طريق الإيمان ، وليس بالأعمال المتصلة بالناموس . ولقد كان هذا الأمر درساً قاسياً لهم لكى يتعلموا أنه على الرغم من كل الامتيازات التى كانت لهم كإسرائيليين ، فإنهم يستطيعون أن ينالوا البر الإلهى فقط عن نفس الطريق الذى انفتح أمام الغرباء من الأمم والذين ظلوا مستبعدين عن الطريق المؤدى إلى معرفة الله وطرقه لأجيال عديدة ، فلا عجب إذاً إن كان الإنجيل حجر صدمة بالنسبة لهم .

إن مجرد حقيقة كونه حجر صدمة كان قد سبق التنبؤ بها . وهنا يقتطف ، بولس ثانية من إشعياء ، ويقدم لنا آية ذات نص مركب دمج فيها نبوءتين من إشعياء ٨ : ١٤و ١٥ ؛ إشعياء ٢٨ : ١٦ و١٧ ــ كان الاصطلاح العام فيهما هو الحجر الذى وضع إلهياً فى زمن الكارثة والدينونة .

عدد ٣١ : (يسعى فى أثر ناموس البر) : أى الناموس الذى يرجون

من خلال مراعاتهم لأحكامه أن يتبرروا أمام الله .

(لم يدرك ناموس البر) : فى أفضل النسخ المحققة حُذف من النص كلمة (البر) ومعنى هذا أن هؤلاء لم يستطيعوا أن يحققوا متطلبات الناموس باتباعهم لطريق ناموس البر ، فى حين أدرك بر الله أولئك الذين (لا يسلكون حسب الجسد ، وإنما يسلكون بحسب الروح) (رومية ٨ : ٤) .

عدد ٣٢ : (بأعمال الناموس) : تُقرأ ببساطة (بأعمال) وليس (بالأعمال الناموسية) كما فى ترجمة أخرى (فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة) . سبق إشعياء أن تنبأ فى ٨ : ١٣ ــ ١٥ كيف أن الغزو الأشورى سوف يتدفق على أرض إسرائيل كمياه طوفان جارف . ولكن سوف يكون هناك مكان واحد للالتجاء إليه للاحتماء من طوفان المياه الجارفة . إن الله نفسه سوف يُبرهن على أنه الملاذ لكل من يلجأ إليه ويحتمى به ، ويتكل عليه ، فهو الصخرة التى يقفون عليها آمنين . ولكن أولئك الذين لم يأتمنوا الله على أنفسهم ، وإنما وضعوا ثقتهم فى قوى أو مصادر أخرى سوف يجرفهم الطوفان إلى تلك الصخرة حيث ينفثون عندها عن أحزانهم ، ذلك لأنها لن تكون لهم مكاناً للالتجاء والاحتماء فيه ، بل بمثابة عقبة كأداء (حجر صدمة) و (صخرة عثرة) .

ولقد اقتبست هذه الفقرة لنفس الغرض فى (١ بطرس ٢ : ٨) حيث يوصف المسيح بأنه حجر صدمة ، وصخرة عثرة ، حتى بالنسبة لأولئك الذين يصطدمون بالكلمة ، لكونهم عصاة ، حيث أنهم معينون لهذا الأمر (بمعنى أنهم معينون بكلمة الله التى تكلم بها من خلال النبى إشعياء) .

عدد ٣٣ : (كما هو مكتوب ها أنا أضع فى صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة) : فى إشعياء ٢٨ : ١٦ وفى سياق الإنذار بالطوفان الجارف المتدفق عليهم من الغزو الأشورى مكتسحا أمامه (ملجأ الأكاذيب) ، الذى احتمى به الملك وشعبه ، جاءت كلمة الله إلى النبى : (هأنذا أدسس فى صهيون حجرا ، حجر امتحان ، حجر زاوية كريما أساساً مؤسساً ، من آمن لا يهرب) (والأفضل لا يخاف) .

ويبدو أن حجر الأساس هذا هو البقية البارة ، وجاء المستقبل والذى يتجسد شخصيا فى الرئيس الموعود من بيت داود . وقد أدمجت هذه النبوة

مع إشعياء ٨ : ١٤ (وأشير إلى ذلك فى الملاحظة عن الآية ٣٢ السابقة) . إن هذا للدمج للفقرتين كنبوة عن المسيح ، وخلاصه كان شيئاً مألوفا ، وعادياً بالنسبة للمدافعين الأوائل عن المسيحية ، وهو فى الحقيقة سابق على بولس .. وبالمثل نجدهما مندمجتين أيضاً فى ١ بطرس ٢ : ٦ — ٨ ويتصل بهما حجر ثالث هو حجر (الشهادة) ، وهو الحجر المرفوض فى المزمور ١١٨ : ٢٢ . (وفى لوقا ٢٠ : ١٧و١٨) نجد الحجر المرفوض الذى جاء فى المزمور ١١٨ : ٢٢ ؛ وحجر الصدمة الذى فى إشعياء ٨ : ١٤ ، ويرتبط معها حجر آخر هو حجر (الشهادة) — الحجر الذى قطع بلا يدين ، والذى حطم التمثال الذى رآه نبوخذ نصر ملك بابل فى حلمه فى (دانيال ٢ : ٣٤ و٣٥) .

(**وكل من يؤمن به لا يخزى**) : قارن ١٠ : ١١ . وهنا يقتبس إشعياء ٢٨ : ١٦ ، وهذا يعنى أن هؤلاء الذين يومنون بالله ليس لهم أن يخافوا من أن إيمانهم بالله لن يكون قائماً على أساس مكين . إن الله يثبت إيمان شعبه ، حتى لا يكون إيمانهم مصدر ضيق لهم ، حتى حين يقول البشر : (اتكل على الرب فلينجه ، لينقذه لأنه سر به) ، أما كما جاء فى مز ٢٢ : ٨ : (لقد أسلم أمره إلى الله ، فلينجه ، لينقذه لأنه سُرَّ به) .

وأياً كان الأمر ، فإن النص العبرانى يقرأ هكذا : من آمن لا يهرب ، بمعنى أن الإنسان الذى يستند على أساس الله : فإنه يحتفظ بعقله فى رأسه فى الوقت الذى يفقد فيه الناس عقولهم ويتوجهون باللائمة إليه ، إنه لا ييأس ، ولا يهرول هنا وهناك ، وإنما يبقى على اتكاله على الله ، وثقته فى تحقيق قصده فى الوقت الذى يعينه هو . ومن المحتمل أن الذين ترجموا السبعينية إلى اليونانية عن العبرانية قد قرأوا النص العبرانى «la yebosh» (لا يخزى) ، بدلا من Layahish (لا يهرب) ، إلا أن هذا الافتراض ليس أمراً ضرورياً .

الأصحاح العاشر

(٢) طريقا البر (رومية ١٠ : ١ ـــ ١٣)

لكل ذلك نجد أن بولس لم يتوقف عن الصلاة من أجل خلاص إسرائيل . إنه يفهم جيداً حالتهم الفكرية وأسلوب تفكيرهم أحسن من الكثيرين ، هناك غيرة الله ، ولكن ليس بحسب المعرفة ، والواقع أن هذا تعبير صادق عن موقف بولس قبل لقائه مع المسيح المقام . وهو يتحدث إلينا عن غيرته هذه فى موضع آخر ، عن غيرته على تقاليد آبائه والتى دفعته إلى أن يتفوق على أترابه فى انكبابهم على دراسة وممارسة الديانة اليهودية ، والتى زودته بتلك القوة المندفعة ضد الكنيسة الناشئة فى أورشليم (قارن غلاطية ١ : ١٣ و ١٤ ؛ فيلبى ٣ : ٦) . فهو أيضاً قد اصطدم بحجر الصدمة حتى سقطت القشور من عينيه ، ومن وقتها تغير اتجاه حياته . فإن طموحه الذى أخذ بجماع قلبه غدا متوجها كلية إلى أن يتمجد المسيح فى حياته ، ومن خلال عمله (قارن فيلبى ١ : ٢٠) .

وإذا كان هذا قد حدث له ، فلماذا لا يحدث نفس الشىء لشعبه ؟

حقاً إنهم لا يعرفون حالياً طريق الله للبر ، وإنما اتجهت محاولاتهم إلى تأسيس طريقهم الخاص ، ومع ذلك فإنه كما حدث أن وجد هو نفسه أن المسيح قد وضع نهاية للناموس كطريق للحصول على الحظوة والامتياز لدى الله ، هكذا يتحتم أيضاً على رفاقه اليهود أن يجدوا طريق الإيمان .

وقد رُسم الطريقان : طريق الناموس ، وطريق الإيمان ، بالاقتباس من أسفار موسى الخمسة . أما الطريق الأول ، فقد جاء من اللاويين ١٨ : ٥ : « فتحفظون فرائضى وأحكامى التى إذا فعلها إنسان يحيا بها » . ويقول بولس ، إن مبدأ البرّ بالناموس مُعَبَّر عنه بوضوح على هذا النحو : إن الإنسان الذى يفعل هذه الأمور ينال الحياة عن طريق هذه الأعمال . وقد يسأل أحدهم ، فما هو الخطأ فى ذلك ؟

وعلى هذا السؤال يمكن أن تأتى إجابة بولس على هذا النحو : لم ينجح أحد على الإطلاق فى القيام بجميع هذه الأعمال على وجه الكمال . وعلى هذا فلم ينجح أحد فى أن ينال الحياة عن هذا الطريق . وحتى عندما وصف بولس حياته السابقة بالقول : (من جهة البر الذى فى الناموس بلا لوم) (فيلبى

٣ : ٦) ، فإنه كان يعرف أنه بلا لوم فى أعين الناس، وليس أمام الله .

ولتوضيح البرّ الذى يأتى عن طريق الإيمان ، يمضى بنا إلى موضع آخر فى أسفار موسى الخمسة .. وهى موعظة موسى الوداعية لشعبه فى التثنية ٣٠ ـــ ويقتبس منها الآيات ١١ ـــ ١٤ : (إن هذه الوصية التى أوصيك بها اليوم ليست عسيرة عليك ، ولا بعيدة منك . ليست هى فى السماء حتى تقول من يصعد لأجلنا إلى السماء ، ويأخذها لنا ، ويسمعنا إياها لنعمل بها . ولا هى فى عبر البحر حتى تقول من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها . بل الكلمة قريبة منك جداً فى فمك وفى قلبك لتعمل بها) . ولقد وجد أن هذه الكلمات مناسبة جداً للغته عن (البر الذى بالإيمان) ، ويقدم لنا تعليقا موجزاً سريعاً عنها فى هذا المعنى . وهذا هو جوهر تعليقه [إن الله جعل خلاصه قريبا منا ، ففى المسيح لسنا فى حاجة إلى أن نتسلق الدرجات السماوية العالية للحصول عليه . حيث أن المسيح قد نزل به معه ، كما أننا لسنا فى حاجة إلى النزول إلى أعماق الأغوار للحصول عليه ، ذلك أن المسيح قد قام من بين الأموات لتأمين حصولنا عليه . إن الخلاص حاضر هنا ومتاح ، وليس مطلوباً منا سوى أن نقبله بالإيمان الداخلى ، ونؤمن فى قلوبنا بأن الله قد أقامه من بين الأموات ، وأن نعترف به على الملأ بأنه هو الرب .

الإيمان المخلّص هو إيمان القيامة . وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم . (١ كورنثوس ١٥ : ١٧) . كما أن الاعتراف بالمسيح يجب أن يكون اعترافاً على الملأ : يسوع هو الرب ، هو أقدم عقيدة إيمانية مسيحية ، وستظل هذه العقيدة الإيمانية المسيحية التى لا غنى عنها . إن أولئك الذين يضعون ثقتهم فى المسيح للخلاص ، يجدون الضمان الذى يُثَبِّت إيمانهم ويشدده فى ما جاء فى إشعياء ٢٨ : ١٦ ، والذى سبق أن اقتبسناه فى (٩ : ٣٣) ، أولئك الذين يسلمون ذواتهم للمسيح لا يسقطون على الإطلاق . هذا البّر الذى يهبه الله ، متاح بغير تمييز لجميع البشر رجالاً ونساءً يهوداً أو أمميين .

إن رحمته المخلصة يفيضها على الجميع بدون أدنى تمييز أو تحديد . إن كل الذين يدعونه ينالونها وفى مرحلة مبكرة . محاجة بولس ذكر عبارة (لا فرق) . ولقد كان لهذه العبارة وقعها المروع على نفوس الجميع من يهود وأمم .

إذ أدانتهم جميعاً بالخطأ ضد الله ، وعدم القدرة على نوال القبول لديه بمجهودهم الذاتى أو باستحقاقهم ؛ أما الآن فإن هذه العبارة أصبح لها الوقع السار، إذ أنها تعلن لكل من اليهود والأمم أن أبواب رحمة الله ما تزال مفتوحة على مصراعيها ليدخلوا منها ، وأن صفحه المجانى عن خطاياهم مؤكد فى المسيح لكل من يدعوه بالإيمان .

عدد ١ : (**لأجل إسرائيل**) : تُقرأ (لأجلهم) .

عدد ٢ : (**لأنى أسجل لهم**) : أى (أننى أشهد لهم) .

عدد ٣ : (**يطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم**) : إن التعبير الإنجليزى القديم يعنى (يحاولون) . قارن أعمال ٢١ : ٣١ (بينما هم يطلبون أن يقتلوه) .

عدد ٤ : (**لأن المسيح هو غاية الناموس للبّر لكل من يؤمن**) : أو (لأن غاية الناموس هى المسيح للبرّ لكل من يؤمن) [الترجمة العربية] : أو [أنهى المسيح الناموس وجاء بالبّر لكل من له إيمان . إن الكلمة العبرية المترجمة (غاية) لها معنى مزدوج . إنها قد تعنى (غاية أو هدف) أو (نهاية) .

فمن ناحية ، فإن المسيح هو الغاية المستهدفة من الناموس بمعنى أنه التجسيد الكامل للبر ، بتغطية الناموس وجعله إياه مكرَّماً ؛ (قارن إش ٤٢ : ٢١) ؛ وقد جرت كلماته فى متى ٥ : ١٧ على النحو التالى : (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل) . والناموس يكمُل فى حياة أولئك الذين « فى المسيح يسوع » (قارن ٨ : ٣ و٤) . ومن الناحية الأخرى (وهذه هى قوة لكلمات بولس) المسيح هو نهاية الناموس بمعنى أن به قد انتهى النظام القديم والذى يشكل الناموس جزءاً منه ، ليحل محله النظام الجديد : الروح ، وفى هذا النظام الجديد نجد الحياة والبر ، بالإيمان بالمسيح ، وعلى هذا فليست هناك أدنى حاجة لأية محاولة يبذلها الفرد لينال هذه البركات بواسطة الناموس .

عدد ٥ : (**إن الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها**) : لقد سبق أن اقتبس بولس اللاويين ١٨ : ٥ لمثل هذا التأثير والفعالية فى غلاطية ٣ : ١٢ ، موضحا أن الناموس ليس من الإيمان ، وهناك يجىء بالمناقضة الكتابية من حبقوق ٢ : ٤ : « البار بإيمانه يحيا » .

أعداد ٦ ــ ٨ : (وأما البر الذى بالإيمان فيقول هكذا) : هنا تجىء المناقضة الكتابية للاويين ١٨ : ٥ تجىء من التثنية ٣٠ : ١١ ــ ١٤ . ولكنها فى موضعها الأولى يكاد يكون معنى الأخيرة على درجة كبيرة من التماثل مع الاقتباس الأول من اللاويين ١٨ : ٥ . فهناك كانت الفرائض والأحكام الإلهية مفروض على أفراد الشعب القيام بها لكى يحيوا . وهنا بالمثل ، تجد أن وصية الله تقدم لكل واحد منهم قائلة : لتعمل بها . (هنا يحذف بولس متعمداً الجزء الأخير من الجملة) . وكون العمل بالوصية هو الطريق إلى الحياة يتضح من الكلمات لموسى التى تجىء مباشرة فى أعقاب تلك التى اقتبسناها : انظر ، قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر ، بما أنى أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك فى طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكى تحيا وتنمو (تث ٣٠ : ١٥و١٦) . ومن المسلّم به أن سفر التثنية يشع بالنبوة وبالروح الإنجيلية بشكل يفوق سفر اللاويين من التضمين فى صياغة كلمات التثنية ٣٠ : ١١ ــ ١٤ (فى فمك، فى قلبك) والتى تستبق وحى (الميثاق الجديد) فى إرميا ٣١ : ٣٣ . ومع ذلك فإنه ليس من السهل علينا كما كان الحال مع بولس ، أن نتمكن من التمييز بين كلمات اللاويين ١٨ : ٥ وبين كلمات التثنية ٣٠ : ١١ ــ ١٤ . وربما كان بولس على علم وتفسير مشهور لهذه الفقرة من سفر التثنية سهلت عليه تطبيقهما على الإنجيل . فإذا كان بولس معتادا على أن يرى فى هذه الفقرة إشارة إلى الحكمة (أشير إلى الحكمة فى سفر باروخ الأصحاح ٣ : ٢٩ و ٣٠) ، حينئذ فإن بولس الذى كان يرى فى المسيح حكمة الله (قارن ١ كورنثوس ١ : ٢٩ و ٣٠) كان يمكنه على الفور أن يعطيها تفسيراً مسيحياً .

وهنا أيضاً نجد أن لغته التى عرض بها لموضوع (البر بالإيمان) كانت لغة مناسبة تماما (وبالحرى فى الأسلوب الذى أصبح الآن مألوفا لنا من نصوص قمران) .

(**لا تقل لنفسك**) : من الذى يصعد إلى السماء ؟ أى ليحدد المسيح .. كما لو أنه لم يتجسد على الإطلاق ، ويعيش على الأرض) . ولا تقل من يهبط إلى الهاوية ، أى ليصعد بالمسيح من مثوى الأموات (كما لو أنه لم يكن قد قام فعلاً إلى جدّة الحياة) .

ماذا يقول إذاً ؟ .. هو يقول : (إن الرسالة قريبة منك ، على لسانك ، فى قلبك — أى رسالة الإيمان التى نعلنها ، فإذا اعترفت بلسانك أن يسوع رب ، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من بين الأموات ، خلصت . لأنه بالقلب يمارس البشر الإيمان الذى به يقبلهم الله كأبرار ، وإنه باللسان يعترفون به وبذلك ينالون خلاصه) .

عدد ٩ : (إن اعترفت بفمك بالرب يسوع) : إن الكلمات الثلاث الأخيرة يجب أن توضع بين قوسين . وفى ترجمة أخرى ، « إذا ما كان على شفتيك الاعتراف (يسوع هو رب) » . هذا هو الاعتراف والذى — كما يقول بولس فى ١ كورنثوس ١٢ : ٣ — (ليس أحد يقدر أن يقول يسوع ربّ إلا بالروح القدس) ، (قارن فيلبى ٢ : ١١) حيث الاعتراف (يسوع المسيح رب) ، وهو اعتراف من البشر بأن الله رفعه . وقد اعتقد بعض الشراح والمفسرين أن الاعتراف باسمه أمام الولاة والحكام (قارن لوقا ٢١ : ١٢ — ١٥ ؛ ١ بطرس ٣ : ١٣ — ١٦) ، وإذا كان لنا أن نفكر فى حصر الاعتراف فى مناسبة واحدة فقط ، فالأمر الأكثر ترجيحا أن نتوجه بفكرنا إلى ذلك الاعتراف الأول : « إجابة ضمير صالح » (١ بطرس ٣ : ٢١) ، والذى يتم عند المعمودية المسيحية .

عدد ١٣ : (لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص) : مقتبسة من يوئيل ٢ : ٣٢ ، حيث أنها على علاقة بالفترة التى تسبق : يوم الرب العظيم والمخوف ، حين ينسكب روح الله على كل جسد (قارن استخدام بطرس لنفس السفر لتفسير أحداث يوم الخمسين ، بل هذا ما قيل بيوئيل النبى (أعمال ٢ : ١٦) .

(٣) الإعلان العالمى الواسع المدى (١٠ : ١٤ — ٢١)

من ثم ظهرت الحاجة إلى المناداة بالإنجيل على نطاق واسع . ولقد طولب الناس أن يدعوا باسم الرب لكى يخلصوا ، إلا أنهم لن يدعوا باسمه ما لم يُحملوا على الإيمان به ، ولن يستطيعوا أن يؤمنوا به ما لم يسمعوا عنه ، وهم لن يستطيعوا أن يسمعوا عنه ما لم ينقل إليهم أحد الأخبار عنه ، ولن يستطيع أحد أن يخبرهم عنه ما لم يُكلف بهذا الأمر ويرسل إليهم لإبلاغهم . إن الكارز

هو الرسول بالمعنى الأولى للكلمة ، إنه البشير أو السفير الذى ينقل رسالة من مسئول كلفه بتسليم الرسالة . وهنا يمجد بولس وظيفة الرسول أو المبشر الإنجيلى ، وإنه لمصدر سرور كبير للرب مناداتهم بصفحه العام ، لتحل رحمته على الذين يؤمنون برسالته . ويتحدث النبى عن هؤلاء الذين يحملون هذه الأنباء السارة منذ قرون مضت فيقول : ما أجمل على الجبال قدمى المبشر المخبر بالسلام ، المبشر بالخير بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك (إشعياء ٥٢ : ٧ ب انظر الملاحظة على رومية ١ : ١) . ولكن كيف يطبق هذا على مشكلة عدم إيمان اليهود ؟

لقد جاءت الرسالة إلى اليهود كما جاءت إلى الأمم . بل الحقيقة أنها جاءت إلى اليهود أولا . ولكن اليهود (الجزء الأعظم منهم) لم يلقوا بالا إليها . حتى هذا لم يكن غير متوقع ، الأمر الذى يمكن إدراكه من سؤال إشعياء ٥٣ : ١ (من صدّق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب ؟) إن صلة هذه الكلمات بالإنجيل تتبدّى ليس فقط من القرينة العامة ، وسيأتى الكلام فى الأصحاحات ٤٠ ــ ٦٥ .

المميزة فى أنشودة عبد الرب الرابعة (إش ٥٢ : ١٣ ــ ٥٣ : ١٢) . والتى أسهمت بدور بارز فى تفسير آلام وانتصار يسوع عليها والمتضمنة فى العهد الجديد . وأيا كان الأمر ، فإن هذه الآية قد اقتبست فى موضع آخر من العهد الجديد كواحدة من العديد من الاقتباسات التى من إشعياء ، والتى استخدمت لتعليل عدم إيمان إسرائيل ، ولكن إذا ما تساءل الرسول المصاب بخيبة الأمل قائلاً : (من صدق برسالتنا وآمن بها ؟) فمن الواضح أن الرسالة كانت مخصصة لكى تثمر الإيمان . والرسالة نفسها أيضاً مستندة فى سلطانها على الأمر المباشر والتفويض بها من المسيح .

ومهما يكن الأمر فربما (يقول سائل يهمه الموضوع) إن شعب إسرائيل لم يسمع كله هذه الرسالة ؟ الواقع ــ كما يؤكد بولس ــ أنهم سمعوها ، إذ قد حُمل الإنجيل إلى كل موضع يوجد فيه مجتمع يهودى . وهو يقول قوله هذا مقتبساً إياه من كلمات المزمور ١٩ عن رسالة الأجرام السماوية . وهى ذات صلة وثيقة بالإنجيل . إن لغة هذا الاقتباس على الصورة التى استخدمت فيها كثيراً ما تبدو مبالغاً فيها ، ذلك أن الإنجيل حتى ذلك الوقت لم يكن

قد حُمل إلى أقصى الأرض ، ولا حتى إلى البلاد التى كانت معلومة لسكان العالم اليونانى الرومانى . وكان بولس يعى هذا تماماً ، فإنه حتى هذا الوقت لم يخطط لتبشير أسبانيا بالإنجيل ، وهى الولاية التى لم يكن اسم المسيح معروفاً فيها بعد . إن كل ما قصده بولس بكلامه أنه حيثما وجد يهود ، فلقد كرز هناك بالإنجيل .

وهنا ينبرى سائلنا مرة أخرى قائلاً : حسناً ، يبدو أنهم قد سمعوا ، ولكن كما يظهر ربما لم يفهموا ؟ ويتصدى بولس مرة أخرى للإجابة قائلاً : ليس هذا صحيحا . لقد فهموا الأمر بوضوح ، ولكنهم رفضوا أن يطيعوا . لقد أظهروا حسدهم وسخطهم عندما قبلت الأمم الرسالة ، فى الوقت الذى لم يقبلوا فيه أن يؤمنوا . ولكن هذا أيضاً لكى تتم كلمات النبوة . ففى نشيد موسى (تثنية ٣٢) نجد وصفا لعصيان وجحود إسرائيل ، وأن يصفهم بالوثنية (الآية ٢١) (هم أغارونى بما ليس إلهاً . أغاظونى بأباطيلهم . فأنا أغيرهم بما ليس شعبا ، بأمة غبية أغيظهم) .

لقد فسر بولس — وربما لم يكن وحده فى هذا — لغة هذه الجملة : (فأنا أغيرهم بما ليس شعباً) بأنها تشير إلى عالم الأمم . كيف يُغير الله إسرائيل بالأمميين « مما ليس شعباً » ؟ بأن يدع الله إسرائيل ترى البركات التى أفاضها على الأمم عندما تقبلوا الإيمان بالمسيح : إن الله لم يعد يتحدث عنهم قائلاً : «أنتم لستم شعبى » . بل إنه أصبح يدعوهم (شعبى) . ولقد أُغيظت إسرائيل بهذا المنظر ، وسألت : لماذا لا تكون مثل هذه البركات من حقهم ، وهم فى الواقع أحق بها من غيرهم ، وقد أعطى لهم التأكيد بأنها ستكون لهم على نفس الأساس — وهو الإيمان بالمسيح . إن هذا الرجاء يشرحه بولس بوضوح فى الأصحاح الحادى عشر من رسالة رومية ، ولكنه يلخص هذه المرحلة من المحاجة فى فقرتين متناقضتين ومتجاورتين (فى إشعياء ٦٥) وهو يطبق الآية الأولى من هذا الأصحاح على الأمم ، والذين عاشوا قروناً طويلة لا يعرفون شيئاً عن الإله الحقيقى ، والذين اتجهوا بقلوبهم وعقولهم يطلبونه . يقول بولس إن إشعياء قد مضى فى لغته إلى أقصى حد من الجرأة ، حين يتمثل الله قائلاً : (وجدت من الذين لم يطلبونى . قلت هأنذا لأمة لم تُسَمَّ باسمى) .

وفى ترجمة أخرى: (وجدت من الذين لم يطلبونى . وظهرت للذين لم

يسألوا عنى) . وفى الآية التالية التى يطبقها على إسرائيل : (بسطت يدىَّ طول النهار إلى شعب معاند ومقاوم) . وفى الترجمة العربية : (بسطت يدىَّ طول النهار إلى شعب متمرد سائر فى طريق غير صالح وراء أفكاره) (إ ش ٦٥ : ١و٢) .

عدد ١٤ : (**فكيف يدعون**) .. ؟ إن الفاعل غير محدّد ، وفى ترجمة أخرى : (ولكن كيف يدعو الناس .. ؟) .

عدد ١٥ : (**ما أجمل أقدام أولئك الذين يبشرون بإنجيل السلام ، المبشرين بالأخبار السارة بالخيرات !**) . إن الجملة : الذين يبشرون بإنجيل السلام قد أضيفت إلى نص بولس فى مخطوطات متأخرة ، بقصد جعلها على أكبر درجة من التوافق مع إشعياء ٥٢ : ٧ . إن بولس يقدم لنا هنا مفهومه اليونانى الخاص لجوهر النص العبرانى بديلاً عن استخدام الترجمة السبعينية التى تجعل المعنى غامضاً فى هذه الآية .

لقد قيلت هذه الكلمات فى المقام الأول عن أولئك الذين حملوا الأخبار السارة إلى أورشليم من بابل متضمنة أن أيام السبى قد انتهت وأصبح ميسوراً القيام بحركة تصحيح الأوضاع والإحياء القومى . أما فى العهد الجديد فإن هذا القسم بأكمله من سفر إشعياء من الأصحاح ٤٠ فصاعداً ، قد فُسِّر باعتباره عصر الإنجيل . إن الإنقاذ من بابل تحت حكم كورش ، هو على غرار الإنقاذ من مصر فى زمن موسى ، قد نُظِر إليه باعتباره مؤذناً بالخلاص الأكبر والكامل الذى قام به المسيح . إن صوت إشعياء ٤٠ : ٣ الذى يدعو إلى إعداد الطريق عبر البرّية ليقود الله شعبه المحرر إلى وطنهم .. إلى صهيون ، أصبح صوت يوحنا المعمدان يدعو فى البرية شعباً مستعداً للرب « سنة الرب المقبولة » (إشعياء ٦١ : ٢) والتى أعلنها يسوع مفتتحا بها خدمته فى الجليل ، وأمثلة أخرى لتمام تحقيق هذه الأقوال من وجهة النظر المسيحية تظهر على التوالى فى الآيات التالية .

عدد ١٦ : (**يارب من صدّق خبرنا**) : إن صيغة المنادى فى « يارب » هى إضافة من الترجمة السبعينية . ففى إشعياء ٥٣ : ١ وُجّه السؤال من أولئك الذين سمعوا الإعلان عن تمجيد عبد الرب المتألم (قارن الآية السابقة عليها مباشرة (إشعياء ٥٢ : ١٥ المقتبسة فى ما بعد فى ١٥ : ٢٢ . لقد تساءلوا

فى دهشة (من كان يمكن أن يصدق هذا الإعلان الذى سمعناه ؟) . وهم يسترجعون إلى أذهانهم مذلة وخزى العبد . إن الإعلان الآن يتجسد فى رسالة الإنجيل ، والتى ما تزال تقابل بالشك وعدم التصديق ، ويقول بولس إن هذا الإعلان ليس موقف ملوك وأمم إشعياء ٥٢ : ١٥ ، بل هو بالأكثر موقف جمع كبير من الشعب اليهودى . ولقد اقتُبِسَ إشعياء ٥٣ : ١ فى يوحنا ١٢ : ٣٨ لبيان تخلف الشعب عن الإيمان بيسوع على أنه المسيح خلال خدمته فى أورشليم ، والذى اقترن هناك أيضاً بالاقتباس من إشعياء ٦ : ٩ و ١٠ ، الذى كان شائع الاستعمال فى الأزمنة البدائية للمسيحية كشهادة تنبىء بعدم الإيمان اليهودى (قارن ١١ : ٨) .

عدد ١٧ : (**الإيمان يأتى بالسماع**) : والسماع بكلمة الله . إن السماع هى نفس الكلمة المترجمة (خبر) فى الاقتباس من إشعياء ٥٣ : ١ فى الآية السابقة ، وهى هنا تدل على الرسالة التى سُمعت . وبالنسبة لـ كلمة الله فإنها جاءت فى أفضل القراءات المحققة (كلمة المسيح) ، بمعنى البشارة أو الكرازة بالمسيح . أى رسالة الإنجيل التى توقظ الإيمان فى سامعيها .

عدد ١٨ : (**إلى جميع الأرض خرج صوتهم ، وإلى أقاصى المسكونة أقوالهم**) : ليس من الضرورى أن نفترض أن بولس اعتبر ما جاء فى المزمور ١٩ : ٤ كنبوة عن الانتشار العالمى الواسع النطاق للإنجيل ؛ إنه يعنى أن انتشار الإنجيل قد أصبح الآن واسع النطاق على مستوى العالم ، مثل النور المنبعث من الأجرام السماوية . (صوتهم) تساير الترجمة السبعينية فى مقابل العبارة العبرانية (فى كل الأرض خرج منطقهم) ، ذلك لأنه من الممكن أن يكون مترجمو السبعينية قد قرأوا الكلمة العبرانية golam (صوتهم) فى النسخة العبرانية التى بأيديهم ، بدلاً من أن يقرأوها (Gawwom) (منطقهم) . ولأجل الوقوف على ما يماثل هذا الانتشار العالمى ، المتضمن فى هذا الاقتباس قارن كولوسى ١ : ٥ و٦ (الإنجيل الذى قد حضر إليكم كما فى كل العالم أيضاً) . وكذلك فى كو ١ : ٢٣ (الإنجيل الذى سمعتموه المكروز به فى كل الخليقة التى تحت السماء) .

عدد ١٩ : (**موسى يقول**) : إن الاقتباس مأخوذ من نشيد موسى (تثنية ٣٢ : ٢١) .

ولكن موسى هنا يمثل الله كالمتكلم . لقد أمدّ نشيد موسى المسيحيين الأوائل بالعديد من الشواهد . وبدرجة واسعة المدى وإن لم تكن شاملة عن موضوع عدم إيمان إسرائيل (قارن ١ كورنثوس ١٠ : ٢٠ و٢٢ والتى تُردد صدى التثنية ٣٢ : ١٦ و١٧ ، فيلبى ٢ : ١٥ والتى تُردد صدى التثنية ٣٢ : ٥ ؛ والعبرانيين ١ : ٦ المقتبسة من التثنية ٣٢ : ٤٣) .

إن الكتبة المتأخرين والمدافعين عن المسيحية ، والذين يضادون اليهودية ، اعتبروها نقطة قوية فى محاجتهم ، إذ يقولون إن موسى نفسه يشهد ضد اليهود . ويظهر كذلك أن هذا النشيد قد لعب دوراً هاماً فى التفكير اللاهوتى لجماعة قمران (أنا أغيركم بما ليس أمة) ، ولكونهم قد أغاروا الله بعبادتهم لما هو ليس إلهاً ، فمن ثم فهو يغيرهم بما ليس شعباً no-people . وهذا يعنى أنه فى مسار التاريخ ، استخدم الله (كأدوات لدينونته على إسرائيل) . هذه الأمة أو تلك من الأمم الوثنية ــ أولئك الذين كانوا يعتبرونهم ليس شعباً ، بمعنى أنهم لم يدخلوا فى قصد اختيار الله كشعب على غرار ما فعله مع إسرائيل . ولكن بولس فى ضوء الفقرات التى اقتبسها من هوشع فى ما سلف (قارن ٩ : ٢٥ و٢٦) يعيد تفسير هذه الكلمات بالإشارة إلى الوضع الجديد للإنجيل . وبالنسبة لشخص له معرفة جيدة بالكتاب المقدس العبرانى كالوضع الذى كان عليه بولس ، فإن المقارنة بين كلمة «Lo» «am» التى جاءت فى نشيد موسى ، وبين لوعمى (lo-ammi) التى جاءت فى هوشع ، فإنها تفرض نفسها مباشرة (بأكثر مما لو أن الشخص اعتمد كلية على الترجمة السبعينية) . أما الكيفية التى فهم بها بولس إغارة الأمم لإسرائيل ، فهو ما سنراه فى رومية ١١ : ١١ .

بأمة غبية أغيظكم . لقد كانت الأمم الوثنية غبية «Foolish» من وجهة نظر اليهود حيث أنهم كانوا بعيدين عن معرفة الله الحقيقى .

عدد ٢٠ (ثم إشعياء يتجاسر) : أى أن إشعياء يمضى إلى أبعد حدود التجاسر والاجتراء ، أبعد حتى مما ذهب إليه موسى ، فى تأكيده على هذا التناقض الظاهر فى إفاضة الله لمراحم عهده على أولئك الذين لم يكونوا شعبه ، وليس لهم الحق فى إفاضة هذه المراحم عليهم .

(وُجدت من الذين لم يطلبونى) : إن هذه الكلمات فى سياقها الأصلى

فى إشعياء ٦٥ : ١ ، ربما تشير إلى إسرائيل المتمردة . وفى ترجمة أخرى (كنت مستعداً لأن أوجد لأولئك الذين لم يطلبونى ..) . ولكن بولس فى تطبيقه لنبوة هوشع يُقرر هنا المبدأ الذى كان ينطبق فى زمانه فعلاً على الأمم الوثنية .

عدد ٢١ (**أما من جهة إسرائيل فيقول**) : إذا كان بولس يجد أن إشعياء ٦٥ : ١ ينطبق على لهفة الأمم الوثنية لقبول الإنجيل ، فإنه فى نفس الوقت يرى أن إشعياء ٦٥ : ٢ ينطبق على نفس المستوى على الرفض اليهودى العام للإنجيل .

الأصحاح الحادى عشر

د ــ قصد الله لأجل إسرائيل (رومية ١١ : ١ ــ ٢٩)

(١) اغتراب إسرائيل عن الله ليس نهائيا (١١ : ١ ــ ١٦)

مهما يكن موقف إسرائيل « كشعب عاصٍ ومقاوم » فإن الله لم يفنهم الآن كما فى الأيام القديمة عندما رفضوا كلمته التى جاءتهم عن يد موسى والأنبياء ، حيث أن مبدأ (الذين سبق فعرفهم سبق أيضاً فعينهم) ، ما يزال ساريا لم يبطل بالنسبة لحالتهم . وكما فى أزمنة العهد القديم ، كذلك فى أزمنة الرسل ما يزال قصد الله فى اختيار شعبه محفوظاً ومحمياً ، بالحفاظ على البقية الأمينة . فى زمن إيليا ، وهى تلك الفترة التى بلغ فيها الارتداد القومى أقصى مدى وصل إليه إلحادهم ، كانت هناك أقلية ضئيلة من سبعة آلاف رفضوا أن يعبدوا البعل ، هكذا كان الحال فى زمن بولس ، فقد كانت هناك أقلية أمينة لم ترفض الإنجيل . وكان من المحتم أن يعرف ذلك لأنه كان واحداً منهم . إن انحداره من إبراهيم من خلال أحد أبناء إسرائيل ، كان أمراً معروفاً جداً ، ومع ذلك فلقد كان مؤمناً بيسوع ، كما كان الحال أيضاً بالنسبة لعدد أكبر من أنسبائه « بحسب الجسد » . وقد تكونت منهم البقية الأمينة ، المختارة بنعمة الله ، وكان وجودها فى حد ذاته برهاناً على أن الله لم يتخلَّ عن إسرائيل ولم يُبطل قصده من جهتهم . وحتى إذا كانت إسرائيل قد تخلفت عن تحقيق قصده فى مجموعها ، فإن البقية المختارة قد حققته . لقد سبق أن توقع الله العمى الذى أصاب الأغلبية . (وهنا وردت ثلاثة شواهد ، بالإضافة إلى الشاهد المركب عن الحجر ــ الصخرة فى ٩ : ٣٣ ــ وأحد هذه الشواهد من إشعياء ، وواحد من التثنية ، وواحد من المزامير) .

إلا أن هذه الحالة من الارتداد العام لم تكن لتبق دائما هكذا . لقد عثرت إسرائيل ، ولكنها لم تسقط إلى الدرجة التى يستحيل عليها القيام ثانية . ومن خلال عثرتها امتدت بركات الإنجيل فوراً إلى الأمم . ولقد تكرّر كثيراً فى أعمال الرسل القول إن رفض المجتمع اليهودى فى موضع أو آخر قبول الخلاص المقدم لهم ، كانت الفرصة للرسل لتقديم رسالة الخلاص مباشرة إلى الأمم الوثنية .

ولقد قال بولس وبرنابا جهراً إلى اليهود فى أنطاكية بيسيدية : كان يجب أن تُكَلَّموا أنتم أولا بكلمة الله ، ولكن إذ رفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة فى الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم ؛ (أعمال ١٣ : ٤٦ ؛ قارن أع ٢٨ : ٢٨) . فلو أن اليهود قد قبلوا الإنجيل ، لكانت قد أصبحت لهم ميزة تعريف الأمم به ، ولكن ما حدث أن الأمم سمعوا الإنجيل من غير وساطتهم — ولكن إذا كانت عثرة إسرائيل هى الفرصة المناسبة لفيض البركة على الأمم ، فماذا يعنى إحياء إسرائيل وعودتها لله إلا قيامة حقيقية .

وهنا يتوجه بولس بكلامه بصفة شخصية أكثر إلى الأمم من قرائه ، والذين قد يميلون فى تفكيرهم إلى الحط من منزلة إخوتهم اليهود ، ولا يفكرون إطلاقاً فى أولئك اليهود الذين لم يقبلوا الإنجيل . إنه يقول لهم : وكما أننى يهودى من حيث ميلادى ، فإننى أيضا رسول الأمم ، وافتخر بخدمتى لهم وأمجِّدها بدرجة كبيرة . إننى لا أفعل هذا فحسب للأمم الذين أحمل إليهم الإنجيل ، بل وأيضاً لأجل إخوتى اليهود . إننى أود أن أستثير غيرتهم حين يرون الأمم يدخلون إلى التمتع بالبركات الكاملة بالإنجيل . إننى أريد أن أجعلهم يقولون : لماذا يتمتع الأمم بكل هذه البركات ؟ لماذا لا يكون لنا نصيب فيها ؟ حسناً يقولون هكذا ، حيث أن هذه البركات هى تحقيق للرجاء الذى عاش أسلافهم فى انتظار تحقيقه ، وهى مرتبطة بإيمانهم بالمسيّا الخاص بهم . وعندما تتحرك إسرائيل فى نهاية الأمر وتستثار لطلب المسيا بكل البركات التى يجيء بها ، فإن الكلمات تعجز عن وصف البركات التى يعنيها اهتداؤهم إلى الإيمان بالمسيح بالنسبة للعالم .

إن هذا التحقيق ليس مجرد حلم تافه ، بل إن بولس يقرر أنه مضمون ومؤكد بقصد الله الذى لا يعتريه نقص أو تغيير . إن الكعكة الأولى التى أنتجت من هذه العجينة قد قدمت للتو إلى الله ويعنى تقديسها ، إن العجينة كلها مقدسة فى نطر الله . إن أصل الشجرة مقدس ، فلابد حتما من أن تشاركه الفروع فى قداسته .

عدد ١ : (هل رفض الله شعبه) : إن صياغة هذا السؤال فى اليونانية على

هذه الصورة يحتم أن تجيء إجابته « لا » ، فى حين أن العبارة فى الآية الثانية : لم يرفض الله شعبه ، هى صدى للترجمة السبعينية لصياغة المزمور ٩٤ : ١٤ : لأن الرب لا يرفض شعبه (قارن ١ صموئيل ١٢ : ٢٢) .

(من نسل إبراهيم) : هنا تستخدم هذه العبارة بالمدلول الطبيعى والروحى ، فى نفس الوقت (قارن ٢ كورنثوس ١١ : ٢٢) .

(من سبط بنيامين) : (قارن فيلبى ٣ : ٥) . إنه تزامن غير متعمد بين الرسائل البولسية وأعمال الرسل . ذلك أنه بينما علمنا من المصدر الأول أن بولس ينتمى إلى سبط بنيامين ، فإننا نعلم فقط من المصدر الثانى أن اسمه اليهودى هو شاول . وليس مما يثير الدهشة أن الآباء الذين ينحدرون بنسبهم من سبط بنيامين ويتعلقون بطموحات عالية من نحو الوليد الجديد ، يطلقون عليه الاسم الذى حمله أعظم أفراد السبط فى تاريخ إسرائيل وهو (شاول بن قيس) . ذلك الرجل من سبط بنيامين ؛ (وهنا يقتبس إشارة بولس نفسه إلى أول ملوك إسرائيل فى أعمال ١٣ : ٢١) ، (رو ١١ : ٢) (أم لستم تعلمون) . وهذه صيغة قديمة من المدهش أنها ظلت مستخدمة حتى أيام بولس (ماذا يقول الكتاب) : (قارن ٩ : ١٧) . الإشارة هنا إلى (١ ملوك ١٩ : ١٠و١٤) ، حيث أن إيليا هو المتكلم الفعلى .

(فى إيليا) — وباليونانية (الياس) ، وحين يظهر إيليا كاسم لذلك القسم من كتب الملوك ، لاسيما فى ١ مل ١٧ : ١ إلى ٢ مل ٢ : ١٨ ، والذى أخذ منه هذا الاقتباس (قارن مرقس ١٢ : ٢٦) حيث « فى العليقة » تعنى فى القسم الخاص من سفر الخروج المعنون (العليقة) .

عدد ٤ : (**جواب الله**) : مستخدمة بمعنى الإجابة الإلهية (الوحى) ، مثل الفعل المتعدى Chrematizō (قارن متى ١١ : ١٢ و٢٢ ؛ لوقا ٢ : ٢٦ ؛ أعمال ١٠ : ٢٢ ؛ العبرانيين ٨ : ٥ ؛ ١١ : ٧ ؛ ١٢ : ٢٥) . (أبقيت لنفسى سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل) : مقتبسة من ١ مل ١٩ : ١٨ ، فى صيغة أقرب إلى النص العبرانى مما فى الترجمة السبعينية (والتى تقرأ : أنت ستبقى) . وذلك على الرغم من أنه ليس فى العبرانية (أو فى السبعينية) ما يتوافق مع (لنفسى) . إن الأفضل ترجمة النص العبرانى فى صيغة المستقبل : ومع ذلك فإننى سأبقى . والإشارة هنا إلى البقية المكونة من السبعة

الآلاف الذين سوف ينجون من المذبحة بسيوف حزائيل ، وياهو وأليشع (١ مل ١٩ : ١٧) .

(**تمثال البعل**) : وهو ما توضحه الترجمة الرسمية A-V بالحروف المائلة ، ليس هناك كلمة فى النص اليونانى (أو فى النص العبرانى الذى أخذت عنه الترجمة اليونانية) أية كلمة تتوافق مع كلمة تمثال ، ولقد أدخلها المترجمون فى محاولة منهم ليوازنوا مع الظاهرة العجيبة لاسم البعل الذى تسبقه صيغة مؤنثة لأداة التعريف .

ونحن لا نجد هذه القراءة فى ١ مل ١٩ : ١٨ فى المخطوطات الموجودة لدينا من الترجمة السبعينية ، ولكن يبدو أنها تعكس نصاً عبرانيا تميّز باستبدال الاسم الوثنى للبعل (فى القراءات العامة على الأقل) بالاسم المؤنث (بوشيب) Bosheth بمعنى (خزى) .

عدد ٦ (وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة ، وإلا فالعمل لا يكون بعد عملاً : هذه الحاشية فى محاجة بولس ليست جزءاً من النص الأصلى ، ومن المحتمل أن تكون قد كتبت كملاحظة هامشية من أحد الكتبة أو القراء ، الذى اعتقد أنه يمكنه أن يعبر عن الحالة العكسية للمبدأ الذى جاء فى القسم الأول من الآية ، وما لبث هذا التعديل أن أدخل بدون قصد إلى النص .

عدد ٧ (وأما الباقون فقد أعموا) : (تقَسُّوا) فى الترجمة العربية . إن الفعل اليونانى يعنى يقسِّى ، أو (يجعله عديم الحساسية) أكثر مما يعنى (يعمى) ، قارن الاسم (القساوة) فى الآية ٢٥ والذى ترجم إلى (أعمى) فى بعض الترجمات . ويعنى مصطلح (العمى) فى اللغة الحديثة .. انعدام الحساسية الأخلاقية . ومن هنا جاءت ترجمة NEB : (لقد أعمى الباقون عن الحقيقة) .

وإذا ما سئلنا من الذى أعماهم أو قساهم ، تجيء الإجابة واضحة وصريحة فى الآية الثامنة . وليست هذه هى المرة الأولى فى هذه الرسالة (قارن ١ : ٢١ ب ، ٩ : ١٧ و ١٨) التى يصاب فيها البشر بانعدام الحساسية الأخلاقية كعقاب شرعى لهم على عدم انصياعهم لسماع كلمة الله .

عدد ٨ : (أعطاهم الله روح سبات ، وعيونا حتى لا يبصروا وآذانا حتى لا يسمعوا ، إلى هذا اليوم) : مقتبسة من إشعياء ٢٩ : ١٠ (لأن الرب قد سكب عليكم روح سبات ، وأغمض عيونكم) ، ومن التثنية ٢٩ : ٤ (ولكن لم يعطكم الرب قلباً لتفهموا وأعيناً لتبصروا وآذاناً لتسمعوا إلى هذا اليوم) . الإشارة إلى العيون التى لا ترى والآذان التى لا تسمع ، هى مذكر أيضاً بإشعياء ٦ : ٩و١٠ (اسمعوا سمعاً ولا تفهموا وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا ..) . وهى شواهد استخدمها الإنجيليون الأربعة كشهادة على تخلف إسرائيل عن الاعتراف بيسوع بأنه المسيح (متى ١٣ : ١٤ و١٥ ؛ مرقس ٤ : ١٢ ؛ لوقا ٨ : ١٠ ؛ يوحنا ١٢ : ٤٠ ؛ قارن أيضاً أعمال ٢٨ : ٢٦ و ٢٧) . انظر الملاحظة عن الأصحاح ١٠ : ١٦ .

إن الكلمة المترجمة (سبات) هى الكلمة اليونانية Katenuxis (انظر أيضاً إشعياء ٢٩ : ١٠) والتى تعنى حرفياً و (نخس) أو (وخز) ، ومن هنا استخدمت أيضاً عن (الخدر) الذى ينتج عن بعض الوخزات أو اللسعات (وبحسب ترجمة NEB ترجمت الروح) .

وليس هناك من سبب جيد على الإطلاق لوضع بعض الترجمات لهذه الآية برمتها باستثناء الكلمات الثلاث الأخيرة (إلى ذلك اليوم) ، كجملة اعتراضية . إن « إلى هذا اليوم » هو جزء من الاقتباس من التثنية ٢٩ : ٤ .

عدد ٩ : (وداود يقول لتصر مائدتهم فخاً) : الآيات ٩ و١٠ مأخوذة من المزمور ٦٩ : ٢٢ و٢٣ . هذا المزمور جرى استعماله على نطاق واسع فى الكنيسة منذ أيامها الأولى كشهادة على خدمة المسيح ، وآلامه بصفة خاصة (قارن الإلماعة إلى الآية ٤ فى يوحنا ١٥ : ٢٥ ؛ وإلى الآية ٩ فى يوحنا ٢ : ١٧ ورومية ١٥ : ٣ ؛ وإلى الآية ٢١ فى متى ٢٧ : ٤٨) .

فإذا كان المتكلم فى المزمور هو المسيح ، فإن أولئك الذين نطق بشكواه ضدهم قد فُسِّروا على أنهم أعداءه (قارن تطبيق الآية ٢٥ من المزمور على يهوذا الأسخريوطى فى أعمال ١ : ٢٠) . ويجب أن نلاحظ تكرار موضوع لتظلم أعينهم (الآية ١٠ المقتبسة من المزمور ٦٩ : ٢٣) ، وهنا تقع المطابقة الأساسية للاقتباس مع محاجة بولس الحالية ــ ذلك العمى المؤقت الذى غشينى (عين جميع بنى إسرائيل باستثناء الأقلية المؤمنة) .

عدد ١١ : (**بل بِذِلَّتِهِم صار الخلاص للأمم لاغارتهم**) : هذا هو تفسير بولس للكلمات المقتبسة من نشيد موسى (التثنية ٣٢ : ٢١) والتى أسلفنا اقتباسها فى الآية ١٠ : ١٩ . إنه من خلال البركة التى أفاضها على أولئك الذين لم يكونوا قبلاً (شعبا) بالنسبة له ، بالخلاص الذى قبلته (أمة غبية) بقبولها للإنجيل سوف يثير الله به غيرة إسرائيل .

عدد ١٢ : (**فكم بالحرىِّ ملؤهم ؟**) ملء اليهود يمكن لنا أن نفهمه بنفس معنى (ملء الأمم) (الآية ٢٥) وهو حركة الإيمان على المدى الواسع لأمم العالم الوثنى ، والذى سوف يلحق به إيمان على نطاق واسع لإسرائيل (قارن الآية ٢٦) .

عدد ١٥ : (**حياة من الأموات**) : ربما يكون المعنى أن تحوّل إسرائيل إلى الإيمان سيكون التمهيد العاجل لإحيائها ليتزامن مع ظهور المسيح (انظر الملاحظة على ١١ : ٢٦) .

عدد ١٦ : (**وإن كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين يكون أيضاً مقدساً**) : من المحتمل أن يكون التلميح إلى (العدد ١٥ : ١٧ — ٢١) ، حيث أن اليهود قد أصروا بتقديم (قرص) من أول عجينهم رفيعة كرفيعة البيدر هكذا يرفعونه .

إن تقديم هذا القرص يقدس كلَّ ما يخبزونه . ولقد جاء فى ١ كورنثوس ١٥ :٢٣ (المسيح باكورة) بينما الكلمة اليونانية تحمل نفس المعنى ، إلا أن الإلماعة هى بالحرى إلى حزمة الباكورة من حصاد الشعير.، والتى كان يجب (ترديدها أمام الرب يوم الأحد التالى للفصح) ، وبذلك يتقدس كل المحصول (لاويين ٢٣ : ١٠و١١) . ومن الأرجح أن الباكورة هنا تتكون من أولئك اليهود بالمولد الذين (مثلما حدث لبولس) قبلوا يسوع كالمسيح والرب (وإن كان الأصل مقدساً فكذلك الأغصان) الآن يغير بولس المجاز اللغوى إذ يقول : حيث أن صفات الشجرة هى من نوع واحد فى كل موضع منها ، فإن قداسة الأصل تقدس الأغصان .

ومن الطبيعى أن نجعل للأصل نفس الأهمية التى للباكورة . ولكن إذا كان تشبيه الأصل والغصن تشبيها قائماً بذاته ، فإنه يتحتم علينا أن نفكر فى آباء بنى إسرائيل بأنهم هم الذين يكونون أصل الشجرة التى أغصانها هم إسرائيليون

العصر المسيحى . إن هذا يمكن أن يكونوا على نفس الخط الذى سار عليه بولس فى ما بعد ، بوصفه لإسرائيل بأنهم أحباء من أجل الآباء (الآية ٢٨) . وربما كانت هناك نقلة فى تفكير بولس هنا ، حيث ينتقل من مجاز إلى مجاز لغوى آخر .

(٢) مثل شجرة الزيتون (رومية ١١ : ١٧ ـــ ٢٤)

تقود الإشارة إلى الأصل ، والأغصان ، بولس إلى أن يبسط تدريجيا مثله عن شجرة الزيتون ـــ وهو المثل الذى غالباً ما استشهد به ضد بولس إذ أنه يظهره كنموذج لساكن المدن ، الذى ليست له دراية أو معرفة بمعظم الظواهر الطبيعية فى الريف . ذلك أن البستانى لا يُطعِّم غصنا من شجرة فاكهة برية فى شجرة فاكهة طبيعية ، ذلك لأن البرعم أو الغصن ، هو الذى يؤخذ من الشجرة الطبيعية وتطعَّم به الشجرة من نفس النوع أو الأنواع المشتركة معها فى النوع أو الفصيلة . ولقد اقتبس سير ويليام رمزى القول : (كان من المعتاد فى فلسطين منذ ستين سنة مضت « بث القوة والنشاط فى شجرة الزيتون التى توقفت عن الإثمار ، وذلك بتطعيمها ببرعم أو غصن جديد من شجرة زيتون برية ، بحيث أن العصارة وهى السائل الذى يجرى فى أوعية الشجرة « يُعظِّم » ذلك البرعم أو الغصن البرى ، ومن ثم تبدأ الشجرة مرة أخرى فى حمل الثمار) .

والدليل على أن مثل هذه العملية كانت مألوفة فى العهود الرومانية واضح مما جاء على لسان (كولوميلا) المعاصر لبولس ، والذى بحسب مقولته إنه عندما تثمر شجرة زيتون ثمراً رديئا ، فإنه يؤخذ طعم (فرع) من شجرة زيتون برية وتطعَّم به ، وهذا ما يعطى لتلك الشجرة قوة وانتعاشاً .

وعلى أى حال ، فإن مثال بولس واضح . هنا شجرتا زيتون ـــ شجرة طبيعية ـــ وأخرى برية . والشجرة البرية تنتج ثمراً ضعيفاً ينتج زيتاً قليلاً ، فى حين أن الشجرة الطبيعية ـــ حسب عادتها ـــ تنتج ثمراً طيباً وجيداً . إن إسرائيل هى الزيتونة (الطبيعية) (كما فى إرميا ١١ : ١٦) ، أما الزيتونة البرية فهى عالم الأمم الوثنية . إلا أن الزيتونة الطبيعية أخذت فى الضعف ، وغدت غير مثمرة ، وعلى هذا بدىء فى قطع الأغصان القديمة ، وطُعِّمت بأغصان

من شجرة زيتون برية . وكان من الضرورى قطع الأغصان القديمة للسماح للطعم بأن يأخذ نصيبه اللازم له من الهواء والضوء ، وكذلك لمنع توزيع حيوية الشجرة على عدد كبير من الفروع (و . م . رمزى الذى أسلفنا ذكره) . إن الطعم الذى أخذ من شجرة الزيتون البرية ، يتمثل فى المجموع الكلِّى للمؤمنين من الأمم الوثنية ، والذين اندمجوا فى شعب الله ، فى حين أن الفروع القديمة التى قطعت من شجرة الزيتونة الطبيعية هم أولئك اليهود الذين رفضوا قبول الإنجيل .

ولقد قيل لنا إنه من خلال هذا التطعيم غير العادى ، أن كلاً من الطعم وساق النبتة الذى أقحم فيه الطعم قد استفاد من هذه العملية . فإن ساق النبتة الذى أقحم فيه الطعم قد تقوى وانتعش بالطعم الجديد ، كما أن الطعم الجديد قد استفاد بدوره من الغذاء الذى استمده من أوعية ساق الزيتونة التى أقحم فيها الطعم الجديد ، ومن ثم أصبح فى مقدوره أن يحمل ثماراً لا تستطيع الزيتونة البرية أن تأتى بمثلها قط ، وعلى المؤمنين من الأمم الوثنية ألا يقعوا فى تجربة احتقار اليهود الذين لم يؤمنوا .

فلولا نعمة الله التى طعمتهم فى شعب الله وجعلتهم رعية مع القديسين وأهل بيت الله (أفسس ٢ : ١٩) ، لكان من الممكن أن يظلوا إلى الأبد بلا حياة وغير مثمرين . إن الحياة الجديدة التى مكنتهم من أن يثمروا لله هى حياة شجرة إسرائيل القديمة التى طعموا فيها . إن إسرائيل ليست مدينة لهم ، وإنما هم المدينون لإسرائيل . وإذا ما قالوا إنهم على الأقل أفضل من الإسرائيليين الذين لم يؤمنوا ، (وهم الأغصان التى قطعت) ، فإن عليهم أن يتعلموا درساً مفيداً من قطع هذه الأغصان القديمة . لماذا قطعت هذه الأغصان ؟ إنها قد قطعت بسبب عدم الإيمان . وإذا ما أدَّى روح الكبر والتعجرف بالطعم الجديد ـــ كنيسة الأمم ـــ إلى نسيان اعتمادهم واتكالهم على النعمة الإلهية ، بحيث يستبدلون بالإيمان بالله الثقة بالنفس ، فإنهم ولا جدال سوف يعانون نفس مصير الأغصان القديمة ، أى أنهم أيضاً سوف يقطعون . إن العضوية فى شعب الله الحقيقى تكتسب عن طريق الإيمان والذى عن طريقه أيضا يحافظون على كونهم رعية مع القديسين وأهل بيت الله ، فى حين أنهم يخسرون كل شيء بعد الإيمان . ويقول بولس إن هذا المبدأ يطبق بلا أدنى تحيز أو محاباة ، على الأمم كما طبق أيضاً على اليهود . ومن الناحية الأخرى ـــ وهنا يترك بولس

وراءه العمليات الفعلية للتطعيم ، من أجل الحقائق الروحية التى قصد أن يوضحها بمثله ـــ إذا عاد هؤلاء اليهود الذين فقدوا بعدم إيمانهم منزلتهم الرفيعة التى كانت لهم ، وآمنوا فى آخر الأمر بالمسيح ، فإنهم يندمجون مرة أخرى فى شعب الله ، ويحسبون رعية مع القديسين وأهل بيت الله . وإذا ما طعمت الأغصان القديمة التى قطعت قبلاً من الزيتونة فى شجرة الآباء مرة أخرى ، وبدأت فى الإثمار ثانية ، فإن ذلك يكون بمثابة معجزة لم يسبق لها مثيل فى العالم الطبيعى . وعلى نفس المستوى فإن إعادة اندماج الأمة اليهودية فى رعية القديسين وأهل بيت الله ، حين يستبدلون عدم الإيمان القديم بالإيمان ، فإن هذا يكون بمثابة معجزة فى العالم الروحى ، وهنا يقول بولس إنها معجزة سوف يحققها الله .

عدد ٢٠ : (**وأنت بالإيمان ثُبّتَ**) : إن (بالإيمان) هى للتوكيد بالإيمان ثبت فى مكانك قارن رومية ٥ : ٢ .

عدد ٢٢ : (**أما اللطف فلك**) : وقد جاءت كلمة اللطف فى ترجمات أخرى بمعنى الصلاح : لكن نحوك الصلاح ، أو لكن نحوك صلاح الله وطيبته وجوده ، أو اللطف الإلهى . قارن رومية ٢ : ٤ (إذا ثبتَّ فى صلاحه ، وإلا فأنت أيضاً ستقطع) ، وفى الترجمة العربية (إن ثبتَّ فى اللطف ، وإلا فأنت أيضاً ستقطع) . إن الثبات والمداومة هى فى العهد الجديد محك للحقيقة . إن مثابرة القديسين هى عقيدة راسخة القواعد فى تعاليم العهد الجديد (وليست أقل رسوخاً فى الرسائل البولسية) ، والنتيجة الطبيعية أن القديسين فقط هم الذين يثابرون . وبما أن (الثبات بالإيمان) فإنه يكون من المفيد أن نصغى لنصيحة بولس لمسيحيى كورنثوس (جربوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان) (٢ كو ١٣ : ٥) .

عدد ٢٤ : (**بخلاف الطبيعة**) : يبدو أن بولس كان فى تفكيره أن ينزع مقدماً سلاح النقد بإظهار أنه يدرك أن هذا النوع من التطعيم الذى وصفه هو بخلاف الطبيعة ، ولكنه كان لا يحتاج أن يعنى أكثر من أن عملية التطعيم هى فى ذاتها « بخلاف الطبيعة » ـــ وهو رأى أخذ به الأقدمون بصفة عامة .

(٣) رجوع إسرائيل إلى الله (١١ : ٢٥ ــ ٢٩)

هنا نقف على سر مقاصد ضد الله السرمدية لإسرائيل ، وهى مقاصد كانت مخفية ، ولكنها أصبحت معلومة الآن . إن عمى إسرائيل هو عمى جزئى فحسب (ذلك لأن بعض الإسرائيليين قد استنيروا فعلاً) . وهو عمى مؤقت ، بالنظر إلى البركات التى أفيضت على الأمم الوثنية .

كان النظام المرعى فى المناداة بالإنجيل أن يكون إعلانه : « لليهود أولاً » ، ولكن من حيث مدى تقبل الإنجيل كان النظام هو : « بالأمم أولا وباليهود فى ما بعد » . وعندما تنجز الرواية الكاملة لإيمان الأمم الأمر الذى جعلته خدمة بولس الرسولية يزداد دنواً ــ حينئذ فإن كل إسرائيل (وليس البقية الأمينة بل الأمة فى مجموعها) سوف يرون خلاص الله . وإذا كانت زلتهم المؤقتة قد سبق للأنبياء أن أنبأوا بها ، هكذا كان الحال بالنسبة لعودتهم الجزئية والنهائية ، وصلاح أحوالهم (إشعياء ٥٩ : ٢٠ و ٢١ ؛ إرميا ٣١ : ٣٣ والتى اقتبست لهذا القصد) . إن الميثاق الجديد لن يكتمل ما لم يحتضن شعب الميثاق القديم . إنهم متغربون مؤقتا عن الله لفائدة الأمم ، ولكنهم من الناحية الأبدية موضوع محبة الله واختياره بسبب وعوده ، التى سبق له أن قطعها مع الآباء ، والتى لا يمكن أن تبطل .

ولقد اعترض على بولس أنه قد أطلق العنان لنزعته القومية لتسود على منطقه .

لقد سبق لبولس التأكيد أكثر من مرة فى الرسالة أن الانتساب الطبيعى إلى الآباء أمر غير مهم فى نظر الله ، وهو الآن يقول إنه بسبب وعود الله للآباء ، فإن نسلهم الطبيعى يجب أن يحفظ لهم علاقة العهد هذه ، ولكنه يكفى هنا أن نقول : إن للقلب أسبابه وتعليلاته .. ، ومع ذلك فإن هناك الكثير الذى يمكن أن نقوله . إن لدى بولس بصيرة أعمق وأكثر وضوحاً للنعمة الإلهية أكثر مما لدى ناقديه ، فلو كانت نعمة الله تعمل بحسب القواعد المنطقية الجامدة ، فإن المستقبل المتوقع سيكون كئيباً موحشاً لكل من اليهود والأمم على السواء .

وهناك ما هو أبعد من ذلك : إن فى كل ما يقوله بولس عن عودة اليهود

إلى الله ، فإنه لم يقل شيئاً عن إحياء مملكة أرضية داودية ، ولا عن عودة اليهود إلى الاستيطان فى أرض إسرائيل ، إن ما ارتآه لشعبه كان أفضل من ذلك كله .

عدد ٢٥ : (**فإنى لست أريد .. أن تجهلوا هذا السر**) : من المحتمل أن يكون المعنى الذى يقصده بولس من كلمة سر ، إن ما سيقوله هو إعلان جديد تلقاه (قارن ١ كورنثوس ١٥ : ٥١ ؛ كولوسى ١ : ٢٦ و ٢٧) .

إن مبدأ (البقية) فى الآيات ١ ــ ٧ كان موضوعاً للإعلانات النبوية القديمة ؛ أما إن كل إسرائيل سوف يخلصون ، فهذا هو الإعلان الجديد ، الذى نقل إليهم عن طريق بولس . لقد وُجِّه إليه الإتهام بأنه يحاول أن يأكل كعكته والحصول عليها ، بأن يجعل منها سبيلاً لتعزية نفسه بفكرة البقية بحسب اختيار النعمة . وفى نفس الوقت يصر على الإحياء الكامل لإسرائيل وصلاح أحوالها ، ورجوعها إلى الله .. ولكننا لو أخذنا زعمه بأنه قد تلقى إعلاناً جديداً ، بصورة جادة ، فإنه فى هذه الحالة لا يكون ملوما . وعلاوة على ذلك ، فإنه حتى فى نبوة العهد القديم ، فإن بقية إسرائيل القديمة ، هى فى نفس الوقت نواة إسرائيل الجديدة . وعلى هذا فإنه هنا يكون وجود البقية المؤمنة هو العربون للخلاص النهائى لجميع إسرائيل (إلى أن يدخل ملء الأمم) : قارن المترادفات الفعلية : قربان الأمم (رومية ١٥ : ١٦) ، إطاعة الأمم أو (طاعة الأمم) (رومية ١٥ : ١٨) . إن مجىء ملء الأمم « أو الاكتمال التام » للأمم سيجىء فى أعقابه « ملء » (رومية ١١ : ١٢) .

عدد ٢٦ : (**هكذا سيخلص جميع إسرائيل**) : من الصعب علينا أن نفكر فى أى تفسير يُعطى معنى لإسرائيل يختلف عن المعنى الذى لها فى الآية ٢٥ (أن القساوة) (العمى الروحى) قد حصلت جزئيا لإسرائيل ، وعن الاحتجاج بأن بولس لم يقل فى محاجته (آنئذٍ ، أنذاك ، بعدئذ) (ثم) سيخلص جميع إسرائيل ولكنه قال « كذلك ، هكذا (على النحو المشار إليه) جميع إسرائيل سيخلصون ؛ (كما لو أن حصاد الرواية الكاملة للأمم هى فى نفسها خلاص لجميع إسرائيل) » يكفى الاستدلال هنا بالاستخدام الجيد المحقَّق للكلمة اليونانية huctōs . هكذا فى هذا المعنى المرحلى . إن (جميع إسرائيل) تعبير متكرر فى الأدب اليهودى ، ولا يعنى كل يهودى بلا استثناء ،

بل يعنى إسرائيل فى مجموعها (لكل إسرائيل نصيب فى الدهر الآتى) ، وهذا ما تقول به رسالة (المشنا التجمعية) (١٠ : ١) ، وبعدها تتقدم مباشرة إلى تسمية الإسرائيليين الذين ليس لهم نصيب فى هذا الأمر . (سيخرج من صهيون المنقذ ، ويرد الفجور عن يعقوب) . مقتبسة من إشعياء ٥٩ : ٢٠ (ويأتى كالفادى إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية فى يعقوب) ويتوافق نص بولس مع نص السبعينية باستثناء ما جاء فيها (لأجل صهيون) بدلاً من (من صهيون) ، (والتى ربما تكون قد أخذت من المزمور ١٤ :٧ ليت من صهيون خلاص إسرائيل) . إن الإشارة هى عن استعلان الفادى الإلهى لإسرائيل ـــ ذلك الاستعلان الذى ربما تطابق فى ذهن بولس (عن حق) مع (ظهور المسيح) .

(انظر الملاحظة على الآية ١٥) .

وهناك تفسير مماثل له بالنسبة لما جاء فى أعمال ٣ : ١٩ ـــ ٢١ ؛ ٢ كورنثوس ٣ : ١٦ .

عدد ٢٧ : (وهذا هو العهد من قبلى لهم) ، متى نزعت خطاياهم) : وبالنسبة للكلمات القليلة الأولى فى هذه الآية يستمر بولس فى اقتباسه من إشعياء ٥٩ (حيث تمضى الآية ٢١ قائلة : أما أنا فهذا عهدى معهم قال الرب) ، ثم يعبر إلى الوعد (الميثاق الجديد) فى إرميا ٣١ : ٣٣ و ٣٤ . بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل .. لأنى أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد ؛ (انظر الملاحظة على ٧ : ٦ ؛ وعلى ٨ : ٤) .

عدد ٢٨ : (من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم) : إن اغترابهم الحالى عن الله كان الفرصة لكم أيها الأمم لتقبُّل بركات الإنجيل والمصالحة مع الله . (وأما من جهة الاختيار، فهم أحباء من أجل الآباء) : ولقد فسرت هذه الكلمات من منظور اصطلاحى استحقاقات الآباء ـــ حيث يقول التعليم اليهودى إن برّ الآباء هو ذخيرة من الاستحقاقات مؤتمنة لنسلهم ـــ إلا أن هذا ليس هو المعنى الذى قصده بولس هنا : إن المحاجة بأكملها والمتضمنة فى هذه الرسالة تقف على النقيض من مثل هذا المفهوم للاستحقاق (قارن ٤ : ٢) . إنه يعنى أن وعود الله التى قطعها مع الآباء عندما دعاهم هى مؤتمنة لنسلهم ، ولكن هذا الائتمان لا يقوم على أساس من الاستحقاق ، وإنما على أساس من أمانة الله مع كلمته .

(هـ) قصد الله للبشرية (١١ : ٣٠ ـــ ٣٦)

لقد تكشف الآن قصد الله النهائى للعالم ، إنه الرحمة لليهود والأمم على السواء . إن البقية الأمينة لم يقع عليها الاختيار بالنعمة حتى يكون مصير الباقى هو الفناء ، بل إن اختيارها رمز على أن الرحمة الإلهية سوف تشمل الجميع بلا استثناء (قارن ٨ : ١٩ ـــ ٢١) .

إن هناك عقيدة خلاصية جلية وواضحة تماما فى لغة بولس هنا ، حتى وإن كانت خلاصية أخروية (اسخاتولوجية) ، وليست خلاصية للوقت الحاضر ، أو خلاصية نيابية ، أكثر منها خلاصية فردية .[1] .

ولقد سبق أن أعلن بولس أن (الجميع اخطأوا وأعوزهم مجد الله) (٣ : ٢٣) . الجميع مدانون أمام محكمة العدل الإلهى ، وليس أحد منهم سواء من اليهود أو من الأمم (له حق المطالبة بالرحمة) . وإذا كان هناك ثمة رجاء لأحد ، فإنه يجب أن يعتمد فى هذا الشأن على نعمة الله وحدها وقد قدم الرجاء بلا حدود لأن قصد الله من الإغلاق على اليهود والأمم فى موضع واحد حيث يتكشف عصيانهم لناموسه ويعترفون جهراً بتمردهم . وتسلط عليه الأضواء ، وكل هذا كان لكى يفيض على اليهود والأمم على السواء رحمته التى لا يستحقونها على الإطلاق .

وهنا تصل محاجة بولس إلى ذروتها : هنا موضع لتقديم الحمد والتسبيح لله بغير حدود وبلا توقف . إن أنشودة الحمد والتسبيح التى فى الآيات ٣٣ ـــ ٣٦ تتوج ليس فحسب الأصحاحات ٩ ـــ ١١ بل إنها ختام للمحاجة بأكملها التى استغرقت الأصحاحات ١ ـــ ١١ : « ياالعمق غنى الله وحكمته وعلمه ! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء ! حسناً قال النبى :

---

(١) المقصود بـ (الخلاصية الأخروية ـــ أو الإسخاتولوجية ـــ هو الرجاء أنه فى النهاية سيشمل الاختيار كل العالم (كما يقول سبرجن فى أحد مؤلفاته) إنه فى المدى البعيد .. لتنمية الجنس البشرى سيصل فى النهاية إلى الخلاص الكامل وسيصافح عيوننا ذلك المشهد المجيد للعالم المخلَّص أما (الخلاصية النيابية) فالمقصود بها أنه (كان هناك قبول نيابى للإنجيل بواسطة أشخاص من مختلف الأمم والشعوب) .

« من عرف فكر الرب ؟

أو من صار له مشيراً ؟

او من سبق فأعطاه فيكافأ ؟

لأن منه وبه وله كل الأشياء : له المجد إلى الأبد آمين » .

عدد ٣٢ : (**لكى يرحم الجميع**) : أى سيفيض رحمته على الجميع بلا أى تمييز . إن تفكير بولس لا ينصرف هنا إلى هؤلاء الذين يرفضون بعناد رحمة الله مثل فرعون (ف ٩ : ١٧) . إنه (لا يقصد أن نعطى إعلاناً محدداً عن المصير النهائى لكل فرد من البشر . بل يقول إن رجاء البشرية أكثر ضماناً وليس أقل ضماناً ، ذلك لأنه رجاء ثابت فى حقيقة الله ، وليس بالحرى مرتبطاً بحقيقة الإنسان نفسه (س . ك . باريت) .

عدد ٣٤ : (**لأن من عرف فكر الرب ؟ أو من صار له مبشراً ؟**) : هو صدى لما جاء فى إشعياء ٤٠ : ١٣ : من قاس وجه روح الرب ومن مشيره فيعلّمه ؟) .

عدد ٣٥ : (**أو من سبق فأعطاه فيكافأ ؟**) هو أيضاً صدى لما جاء فى أيوب ٤١ : ١١ : (من تقدمنى فأوفيه ؟) .

الجزء الثانى

الأصحاح الثانى عشر

أسلوب الحياة المسيحية (١٢ : ١ ـــ ١٥ : ١٣)

(١) الذبيحة الحية (١٢ : ١ و ٢)

بالنظر إلى كل ما أنجزه الله لأجل شعبه فى المسيح ، فكيف يجب أن تكون عليه حياة شعبه ؟ إنهم يجب أن يقدموا ذواتهم لله ، ذبيحة حية مقدسة له .

إن الذبائح الحيوانية التى كانت تقدم فى الأيام السالفة قد عفا عليها الزمن بذبيحة المسيح ، إلا أنه ما يزال هناك دائماً متسع للعبادة الصادرة من قلوب أمينة مخلصة . فبدلا من الحياة وفق معايير العالم التى لا تتوانق مع الله ، فإنه مطلوب من المؤمنين أن يجددوا أذهانهم بقوة الروح التى غيرت حياتهم وجعلتها متطابقة مع إرادة الله .

ليس الهدف من إعطاء التعليم فى الكتاب المقدس هو مجرد أن يصبح معروفاً بل لكى يوضع موضع التنفيذ العملى (إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه) (يوحنا ١٣ : ١٧) . ومن هنا كان تكرار اتباع بولس لأسلوب عرض التعليم من منطلق الوعظ الأخلاقى ، مع الربط بين الاثنين بكلمة (لذلك) أو حرف (ف) فى اللغة العربية (قارن أفسس ٤ : ١ ؛ كو ٣ : ٥) . ومما تجدر ملاحظته ، علاوة على هذا أن النصائح والتحذيرات الأخلاقية فى هذه الرسالة وفى غيرها من رسائل العهد الجديد ، سواء كانت لبولس أو لغيره تحمل رسائل وثيقة الصلة بالتعليم الأخلاقى للمسيح المدون فى الإنجيل . إنها فى الحقيقة مؤسسة على ناموس المسيح ، كما أطلق عليه بولس (غلاطية ٦ : ٢ ؛ قارن ١ كورنثوس ٩ : ٢١) . وعلى وجه الخصوص يمكننا استخراج قائمة للتماثلات الفعلية بين (رومية ١٢ : ٣ ـــ ١٣ : ١٤) وبين الموعظة على الجبل . وبينما لم تكن الأناجيل القانونية المعروفة لنا موجودة فى ذلك الوقت ،إلا أن تعاليم المسيح التى دونت فيما كانت متداولة بين الكنائس ، وبالتأكيد كان ذلك فى صورة شفاهية ، وربما أيضاً فى صورة ملخصات مكتوبة .

عدد ١ : (قدموا أجسادكم) : (قارن ٦ : ١٣ و١٩) ، إن الفعل هنا

هو نفس الفعل (يخضع أو يسلم) . وهنا يبسط بولس بدرجة كبيرة من الدقة ما يتضمنه تقديم ذواتنا لله وتسليمها بالكامل لعبادته وفى خدمته .

(ذبيحة حية) : إن للنظام الجديد ذبائحه والتى لا تتكون من حياة الآخرين ، مثل الذبائح الحيوانية فى الأيام الغابرة (قارن عب ١٣ : ١٥و١٦ ؛ ١ بط ٢ : ٥) .

(عبادتكم العقلية) جاءت فى بعض الترجمات الأخرى بمعنى (عبادتكم الروحية) أو (العبادة التى يقدمها العقل والقلب) أو (العبادة التى يجب أن تقدموها ككائنات عاقلة) .

إن الاسم (عبادة) هو نفس الكلمة التى سبق استعمالها فى ٩ : ٤عن « عبادة الله » (العبادة) (العبادة فى الهيكل) المفروضة على الإسرائيليين . أما الصفة Logikos (المشتقة من Logos) والتى قد تعنى إما (العقلية) إذ أن (عبادة الأحياء المطيعين هى العبادة العقلية الوحيدة أو الاستجابة العقلية لنعمة الله) أو (الروحية) كما فى بطرس ٢ : ٢ ، حيث « لبن الكلمة » ويفضل ترجمتها (اللبن الروحى) . وفى العربية (اللبن العقلى) . وهنا من المحتمل أن تكون (العبادة الروحية) هى المفضلة ، وذلك بعكس الظواهر الخارجية للعبادة الإسرائيلية فى الهيكل .

عدد ٢ : (ولا تشاكلوا هذا الدهر) : (هذا العالم) كما فى ١ كورنثوس ١ : ٢٠ ؛ ٢ : ٦ ؛ ٣ : ١٨ ؛ ٢ كورنثوس ٤ : ٤ ، غلاطية ١ : ٤ ؛ تمييزاً لها عن (الدهر الآتى) ، أى « فى المستقبل » كما فى أف ١ : ٢١ (ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضاً) .

وبينما يطلق عليه فى غلاطية ١ : ٤ (العالم الحاضر الشرير) ، والذى يحكمه ويسود عليه (إله هذا الدهر) (الذى قد أعمى أذهان غير المؤمنين) (٢ كو ٤ : ٤) ، ومع ذلك فإنه من الممكن للبشر الذين ينتمون مؤقتا لهذا الدهر أن يعيشوا كورثة فى الدهر الآتى .. دهر التجديد وقيامة الحياة . وهؤلاء هم البشر الذين انتهت إليهم أواخر الدهور (١ كورنثوس ١٠ : ١١) ، هؤلاء البشر قد أصبحوا خليقة جديدة فى المسيح لأن الأشياء العتيقة قد مضت : هوذا الكل قد صار جديداً) (٢ كورنثوس ٥ : ١٧) . إنه بقوة الروح القدس الساكن فيهم صار لهم الحق فى أن يكونوا ورثة فى الدهر

الآتى ، ومن ثم يكون فى مقدورهم مقاومة الميل إلى مشاكلة (هذا الدهر) .

(**بل تغيروا**) : الفعل اليونانى هو الذى ترجم إلى (تغيرت هيئته) ، فى روايات التجلى ، فى متى ١٧ : ٢ ، مرقس ٩ : ٢ . أما المكان الوحيد الآخر الذى تظهر فيه فى العهد الجديد فهو فى ٢ كورنثوس ٣ : ١٨ عن المؤمنين الذين « يتغيرون » إلى شبه المسيح (من مجد إلى مجد) ، (بعمل الرب « الروح ») .

وقد جاءت فى الترجمة العربية : تتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح (٢ كورنثوس ٣ : ١٨) . وهى فقرة تساعدنا على تفسير الفقرة التى نحن بصددها الآن .

(٢) الحياة العامة للمسيحيين (١٢ : ٣ ـــ ٨)

إن التنوع وليس التماثل هو علامة عمل يدى الله .. وهو هكذا فى الطبيعة ، وهكذا أيضاً فى نعمته ، وأكثر ما يكون فى عمل يديه فى المجتمع المسيحى . هنا جمع كثير من البشر رجالاً ونساءً متنوعى النسب ، والبيئة والمزاج والمقدرة . وليس هذا فحسب ؛ ولكن منذ أن أصبحوا مسيحيين فقد أمدّهم الله بالعديد من المواهب الروحية المتنوعة . ومع تنوع هذه المواهب ، فإن فى استطاعتهم ان يتعاونوا من أجل الصالح العام . وأيا كان نوع الخدمة التى تؤدى فى الكنيسة ، فإنها ـــ يجب أن تؤدى من كل القلب ، وبأمانة من أولئك الذين هلوا إلهيا لها سواء أكانت تنبؤاً ، أو تعليماً ، أو إرشاداً ، أو إدارةً ، أو تقديم عطايا مادية ، أو افتقاد المرضى ، أو ممارسة لأى نوع آخر من الخدمة .

ولكى يوضح بولس ما يعنيه ، فإنه يستخدم رمز الجسم البشرى كما فعل فى ١كورنثوس ١٢ : ١٢ ـــ ٢٧ . إن لكل جزء من أجزاء الجسم عمله المميز والذى يتحتم عليه القيام به ، ومع ذلك فإنه فى الجسم السليم تعمل جميع أجزائه فى اتساق وتعاون متبادل ، للصالح العام للجسم بأكمله . وهذا ما يجب أن يكون عليه الحال فى الكنيسة ، التى هى جسد المسيح .

عدد ٣ : (بالنعمة المعطاة لى) : أى (النعمة) أو الموهبة الروحية الرسولية (قارن ١ :٥ ؛ ١٥ : ١٥) . وبحسب الآية (٦) فإن كل عضو فى الكنيسة قد نال « نعمة » خاصة بهذا المعنى ، والتى عليه أن يمارسها من أجل الصالح العام .

« مقداراً من الإيمان » ، إن الإيمان هنا له معنى مختلف عن ذلك الذى قصده فى الجزء المبكر من رسالته ، إنه يعنى هنا القوة الروحية التى أعطيت لكل مسيحى من أجل القيام بمسئولياته الخاصة ، قارن (بحسب نسبة إيماننا) فى الآية (٦) (بالنسبة إلى إيمان الشخص) ، وفى الترجمة العربية (بحسب النعمة المعطاة لنا) .

عدد ٥ : (جسد واحد فى المسيح) : قارن ١ كورنثوس ١٢ : ٢٧ (وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً) . ولقد استخدم بولس فى ١ كورنثوس وفى رومية (الجسد) لتوضيح الحياة المتحدة المشتركة المتعاونة للمسيحيين ، ولكنه يصل بهذه الفكرة إلى أبعد من ذلك فى كولوسى وأفسس . وفى هذه الرسائل الأخيرة يؤكد على العلاقة التى تربط أعضاء الكنيسة بصفتهم أعضاء فى الجسد بالمسيح الذى هو رأسه .وليس فى الكنيسة أى عضو يمكن مقارنته بالرأس ، أو لجزء من الرأس (كما هو الحال فى ١ كورنثوس ١٢ : ١٦ و ١٧ و٢١) ، وفى هذه الرسائل أيضاً يتوقف استخدام الجسد كتشبيه لغوى ، ويصبح بالأحرى مصطلحاً له فاعليته التى توصل إليها الرسول للتعبير عن الرباط الحيوى الذى يربط حياة المسيحيين بحياة قيامة المسيح .

عدد ٨ : (المعطى فبسخاء) : أو المعطى فبسماحة ، أو .. من كل القلب .. أو بجماع قلبك ، أو بكل قلبك .

(المدبِّر) : إن ممارسة القيادة فى الكنيسة هى حقا موهبة روحية كغيرها من المواهب التى أسلفنا ذكرها .

(الرّاحم) : وفى ترجمة أخرى (إذا ما قدمت عونا للغير فى محنتهم) .

(٣) ناموس المسيح (١٢ : ٩ ــ ٢١)

إن النصائح والوصايا التى فى هذا القسم بتعميق المحبة العملية الصادقة

تذكرنا بالموعظة على الجبل ، فالحب المتبادل والتعاطف والكرامة فى مجتمع الإخوة المؤمنين أمر متوقع ، إلا أن هناك ما هو أكثر من ذلك ، هنا المحبة والمغفرة لأولئك الذين خارج الشركة وأيضاً لأولئك الذين يضطهدونهم ويسيئون إليهم .

عدد ٩ : (المحبة فلتكن بلا رياء) (بكل أمانة) .

عدد ١٠ : (مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة) : قارن فيلبى ٢ : ٣ ليحسب كل واحد الآخر أفضل من نفسه .

عدد ١١ : (حارين فى الروح) : استخدم نفس التعبير فى أعمال ١٨ : ٢٥ .

وحول ما إذا كان لهذا التعبير نفس القوة فى الموضعين هو أمر محل جدل ، وقد تكون الترجمة التى فسرت هذا التعبير بالقول (توهجوا فى الروح) على حق باعتبار أن الروح القدس هو المشار إليه هنا .

(عابدين الرب) : وقد ترجمت فى ترجمة أخرى (خدمة المناسبة) ، وهى تمثل القراءة الغربية التى استبدلت المفعول به المنصوب (الرب) بالكلمة التى معناها (المناسبة) .

عدد ١٤ : (باركوا على الذين يضطهدونكم . باركوا ، ولا تلعنوا) قارن لوقا ٦ : ٢٨ (باركوا لاعنيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم) : ولكن هناك دليل قديم جيد لإلغاء ضمير المخاطبين (كم) بعد يضطهدون ، وفى هذه الحالة ، فإنه يطلب من المسيحيين استمطار الرحمة على المضطهدين سواء أكانوا هم ضحايا الاضطهاد أم لم يكونوا . وللوقوف على خبرة بولس العملية فى هذا المجال .. قارن ١ كورنثوس ٤ : ١٢ ب ـــ ١٣ أ ؛ أعمال ٢٨ : ١٩ ب .

عدد ١٥ : (فرحاً مع الفرحين وبكاءً مع الباكين) : هذا عكس التعليم الرواقى الذى يطلب من الفرد أن يكون فى حالة جمود وانفصال ، كضرورة للحياة الصالحة ، وأياً كان الأمر ، فهو يتفق مع طريق المسيح .

عدد ١٦ : (مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً) : (قارن ١٥ :٥ ر٦) انظر أيضاً فيلبى ٢ : ٣ ـــ ٤ ، حيث يوصى المسيحيين بأن

يكونوا (على فكر واحد) (وهو ليس نفس الأمر كرؤية عين لعين) . ثم يتبعه بتعبير عن الطريق الوحيد الذى بمقتضاه يكون هذا الأمر ممكننا فى الحياة المسيحية : (فليكن فيكم الفكر الذى فى المسيح يسوع) .

(**غير مهتمين بالأمور العالية**) : قارن الآية ٣ ، وأيضاً ١١ : ٢٠ لا تستكبر (منقادين إلى المتضعين) : (سيروا مع المتواضعين) .

لا تكونوا حكماء عند أنفسكم .. وهو اقتباس من الأمثال ٣ : ٧ أ .

عدد ١٧ : (**لا تجازوا أحداً عن شر بشر**) : قارن متى ٥ : ٤٤ « أحبوا أعداءكم » (انظر أيضاً ١ بطرس ٣ : ٩) (معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس) : (إجعلوا أهدافكم على مثال ما يحسبه كل الناس أمورا شريفة) . وهو اقتباس من الأمثال ٣ : ٤ .

عدد ١٩ : (**أعطوا مكانا للغضب**) : افسحوا مجالاً لكى يعمل الناموس الإلهى للمجازاة سواء أكان الآن أم فى يوم الغضب (رومية ٢ : ٥) .

(**لى النقمة أنا أجازى**) :اقتباس من التثنية ٣٢ : ٣٥ : (لى النقمة والجزاء) ، وأيضاً النسخة الماسورية MT والسبعينية (فى يوم الانتقام أنا أجازى) .

إن هذه الصيغة من النص وُجدت أيضاً فى العبرانيين ١٠ : ٣٠ ، كما تظهر فى الترجوم الأرامى ، ومن المحتمل أن استعمالها كان متداولاً فى ترجمة يونانية لا وجود لها الآن . إن النقطة الأساسية فى الاقتباس هو أنه طالما كانت النقمة والمجازاة هى من اختصاصات الله ، فإن علينا أن ندعها له . وعلى هذا فلقد كان الانتقام الشخصى محظوراً فى مجتمع قمران على هذا الأساس ، وبحسب ناحوم ١ : ٢ (الرب منتقم من مبغضيه وحافظ غضبه على أعدائه) .

عدد ٢٠ : (**فإن جاع عدوك فأطعمه . وإن عطش فاسقه . لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه**) : اقتباس من الأمثال ٢٥ : ٢١ و ٢٢ . ويحذف بولس الجملة الختامية : والرب يجازيك ؛ إن القوة الأصلية لهذا التحذير والإنذار ربما تكون : (عامل عدوَّك بشفقة ، لأن ذلك سوف يزيد من خطيته ، ومن هنا فإنك سوف تذخر له عقاباً مرعباً ، ولنفسك جزاءً أفضل من عند الله) . وهناك رأى بديل يقول إن المثل يشير إلى طقس دينى مصرى

يقدم فيه الرجل دليلاً عاماً على توبته ، بأن يحمل فوق رأسه قدراً به جمر متوهج . وعلى أى حال فإنه يوضع هذا المثل فى هذه القرينة مع حذف باقى الجملة ، يضفى عليه بولس معنى أكثر نبلاً : « عامل عدوك بشفقة ، فإن ذلك قد يدعوه إلى أن يخجل ، ويكون ذلك مدعاة لتوبته . وفى كلمات أخرى ، فإن أفضل طريقة للتخلص من العدو هى تحويله إلى صديق ، وبذلك تغلب الشر بالخير (الآية ٢١) .

الأصحاح الثالث عشر

(٤) المسيحى والدولة (١٣ : ١ ــ ٧)

إن علاقة المسيحيين كرعايا بصفتهم الفردية ، أو كأعضاء متحدين فى جماعة ذات حياة مشتركة فى الكنيسة ــ بالسلطات الحاكمة ، كان مقدَّراً لها أن تكون بصورة خاصة على درجة من القسوة والعنف خلال العقد الذى جاء فى أعقاب كتابة هذه الرسالة .

وطالما كانت الكنيسة يهودية فى تكوينها بصفة رئيسية ، فلم تكن تنقصها المشاكل من هذا النوع ، وإن كانت بدرجة أقل قسوة مما سيصير إليه الحال فيما بعد .

كان ينظم وضع اليهود فى داخل الإمبراطورية الرومانية سلسلة من المراسيم الإمبراطورية المتعاقبة . والواقع أن وضع اليهود كأمة خاضعة لسلطان الإمبراطورية ، جعلهم يتمتعون ببعض الامتيازات الاستثنائية .. وقد سجلت ديانتهم كإحدى الديانات الشرعية ، كما تثبتت لهم ممارساتهم الدينية المتنوعة والتى كانت تميزهم عن الأمم الوثنية . ولقد كانت تبدو هذه الممارسات حمقاء وخرافية فى نظر الرومان ، ولكنهم كانوا آمنين على أية حال فى ظل القانون الرومانى ، ومن بين هذه المراسم الدينية المرعية منهم ، كانت شريعة السبت ، والشرائع المنظمة لأنواع أطعمتهم ، وتحريم الصور والتماثيل المنحوتة .

ولقد حرّمت السياسة الإمبراطورية على الولاة المتعاقبين على اليهودية من استقدام الرايات العسكرية والتماثيل أو الصور الإمبراطورية المتصلة بها وإدخالها فى حرم أسوار المدينة المقدسة أورشليم ، حيث أن ذلك يعتبر مواجهة لمشاعر اليهود الدينية . ولما كان الناموس اليهودى يُحّرم على الأممى دخول الساحات الداخلية لهيكل أورشليم ويعتبر هذا الأمر انتهاكا لحرمة الأماكن المقدسة ، عقوبتها الموت ، فقد أقرت روما الناموس اليهودى فى هذه الأمور إلى درجة التصديق على عقوبة الموت حتى إذا كان المتعدى مواطناً رومانياً .

وبالنسبة للجيل الأول للمسيحيين والذى جاء فى أعقاب موت المسيح ، فإن القانون الرومانى اعتبر المسيحية كإحدى الشيع اليهودية . وعندما اتهم يهود

كورنثوس بولس فى سنة ٥١ ميلادية أمام غاليون ، فإن هذا الوالى الجديد لأخائية لم يستمع لشكوى اليهود فى أمورهم الدينية التى تعداها بولس ، وطردهم من أمام مجلس حكمه ، كما لم يعر التفاتا إلى اعتداء الغوغاء على رئيس مجمع اليهود بالضرب (أعمال ١٨ : ١٢ — ١٤) . أما بالنسبة لبولس ، فحيث أنه كان فى نظر الوالى يهودياً مثله فى ذلك مثل متهميه ، فإن الاختلافات بينه وبين متهميه كانت فى نظر غاليون الوالى اختلافات فى تفسير أمور دينهم وناموسهم ، وهو لم يأت إلى أخائية كوال لكى يقضى فى مثل هذه الأمور ، ولقد شكل قرار غاليون سابقة هامة ، فلقد كفلت هذه السابقة الحماية لبولس على مدى عشر سنوات تالية ، مما أتاح له الفرصة للاستمرار فى خدمته الرسولية ، ومضى فى نشر الرسالة المسيحية ، ليس فقط فى ولايات الإمبراطورية الرومانية ، بل وفى روما نفسها عاصمة الإمبراطورية (أعمال ٢٨ : ٣٠ و٣١) .

ولقد انعكست سعادته بالعدالة الرومانية التى اختبرها شخصياً ، على إصراره فى هذا الموضع من رسالته على اعتبار الولاة الرومانيين خداماً لله (الآية ٦) ، وأنهم : « ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل للأعمال الشريرة » .

ولقد بقيت هذه المبادىء التى وضعت موضع التنفيذ فى حقل العدالة الرومانية سارية المفعول ، حتى عندما كانت السلطات العليا غير صالحة ولا خيرة مثل غاليون والى أخائية الذى اختبر بولس بنفسه عدالة القانون الرومانى على يديه فى حادثة كورنثوس .

وهناك جانب آخر لصورة علاقة المسيحية بالدولة . لقد استهلت المسيحية علاقتها مع القانون الرومانى بعقبة خطيرة ، بسبب أن مؤسسها قد أدين ونفذ فيه حكم الموت الذى أصدره عليه الوالى الرومانى . وقد لُخصت التهمة التى وجهت إليه فى الكتابة التى علقت فوق رأسه على الصليب « ملك اليهود » . وأيا كان ما قاله يسوع عن مملكته لبيلاطس ، فإن الرواية الوحيدة المعروفة بالنسبة للقانون الرومانى هى أنه قد قاد حركة تحدى لسلطان قيصر الرومانى . وعندما رغب المؤرخ الرومانى تاسيتوس أن يعرِّف قراءه أى نوع من القوم كان المسيحيون ، وذلك بعد مضى سنوات عديدة على صلب المسيح ... فإنه

رأى أن يكتفى بالقول : (إنهم أخذوا اسمهم عن المسيح ، الذى أعدم فى عهد الوالى الرومانى بيلاطس البنطى ، عندما كان طيباريوس إمبراطوراً) . وكان هذا كافيا فى نظره للدلالة على صفتهم .

وعندما أراد المقاومون لبولس فى تسالونيكى أن يثيروا فتنة وشغبا كثيراً ضده وضد رفاقه المحليين ، كان أقصى ما فى استطاعتهم أن يفعلوه ، أنهم مضوا إلى السلطات المدنية وقالوا عنهم : « إن هؤلاء الذين فتنوا المسكونة حضروا إلى ههنا أيضاً .. وهؤلاء كلهم يعملون ضد أحكام قيصر قائلين إنه يوجد ملك آخر (يسوع) » (أعمال ١٧ : ٦ و ٧) .

ولقد كان ذلك سوء تصوير ماكر للحقيقة ، وإن كان قد بدا أكثر زيفاً لحقيقة أن يسوع ذاته قد حوكم أمام بيلاطس البنطى وأدين وحكم عليه بالموت ، ونفذ فيه الحكم ، باعتباره مثير فتنة ، وقائداً لشغب ، ومطالباً بالملك لنفسه . فكيف يقول أتباعه إنه ملك ؟

ولم تكن تسالونيكى وحدها هى المكان الوحيد الذى ثار فيه هذا الشغب ، بل وفى نفس الوقت أيضاً أثيرت اضطرابات وأحداث فتنة وشغب فى روما ، بتحريض من كريستوس .

وربما كانت الإسكندرية أيضاً مسرحا لمثل هذا الاضطرابات ، لو كان فى إمكاننا التعرف على كل حقائق الموقف . بل إن أخلص أصدقاء بولس ورفاقه لم يكن فى مقدورهم إلا أن يقرروا بأن مجرد مجىء بولس إلى مدينة كان فى أغلب الأحوال علامة على نقض حالة السلام السائدة . ومن المسلّم به أن بولس لم يكن مسئولاً عن هذه الأحداث ، إلا أن حفظة القانون والنظام كان من الطبيعى أن تكون مثل هذه الأمور موضع نظر منهم ، ويستنتجون منها ما يشاءون . وعلى هذا فلقد كان من الضرورى أن يأخذ المسيحيون حذرهم واحتياطهم فى سلوكهم العام فى هذه المجتمعات التى يعيشون فيها ، وأن لا يعطوا من يهاجمهم أى مأخذ يأخذونه عليهم ، ويستغلونه ضدهم ، بل بالحرى يقدمون كل الإكرام والطاعة الواجبة للسلطات الحاكمة . وفى الحقيقة ، فإن يسوع نفسه قد قدم لهم سابقة عن هذا الأمر كما فى أشياء أخرى كثيرة ، ذلك أنه بالرغم من كلماته التى قيلت فى مناسبة دفع الضرائب : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (مرقس ١٢ :١٧) . إلا أنها تعبر عن مبدأ

عام قابل للتطبيق فى مجالات عديدة . ويضع بولس هذه المشكلة برمتها فى أعلى مستوى من الوضوح . إن الله نفسه مصدر كل سلطان ، وهؤلاء الذين يمارسون السلطان على الأرض إنما يمارسون سلطانهم الذى يستمدونه من الله ، وبتفويض منه ، وعلى هذا فإن عصيانهم هو عصيان لله . إن الحكومات البشرية هى تعيين إلهى ، وإن سلطاتها التى تمارسها فى الأمر والنهى إنما قد أوكلت إليها من الله ، للحد من انتشار الجريمة وللتشجيع على الأعمال الصالحة . وعلى هذا ، فإن على المسيحيين من كل الشعوب إطاعة القوانين ، ودفع الضرائب ، واحترام السلطات ليس بسبب ما سينجم عن مخالفتها من أضرار ، بل لكونها إحدى طرق خدمة الله .

ولكن ما هو الموقف إذا كانت الحكومات ذاتها فاسدة وشريرة ؟ وما هو الموقف إذا لم يطلب قيصر الأمور الخاصة به فقط ، بل تلك التى تخص الله أيضا ؟ إن بولس لم يعالج هذه المشكلة هنا ، ولكنها كانت مشكلة مزعجة فى روما بالنسبة لأجيال المستقبل . لقد كان فى استطاعة قيصر إن يتعدّى حدود التفويض الممنوح له فى ممارسته لسلطانه ، وذلك بطلبه إسباغ شرف الألوهية على ذاته، وإعلانه الحرب على القديسين . هل يمكننا أن نعتبر ما قاله بولس عن الحاكم بأنه خادم الله ، للثواب والعقاب مماثلاً لما جاء فى رؤيا يوحنا عن (الوحش الذى خرج من الهاوية) ، والذى يأخذ سلطانه من التنين الأحمر الكبير ، ويستخدمه لغرض عبادة عالمية لذاته ، ولإبادة أولئك الذين يرفضون عبادته . فى الواقع إن بولس ذاته قد ارتأى ذلك مسبقاً فى ذلك التطور الذى حدث عندما أفلت زمام العدالة ولم يعد هناك من ضابط على القانون (٢ تسالونيكى ٢ : ٦ — ٨) .

ويقول أغسطينوس : بدون العدالة ، لن تكون المملكة سوى عصابة كبيرة من اللصوص . إلا أن الدليل يرينا كيف أنه فى مواجهة مظاهر الاستفزازات العنيفة ، بقى المسيحيون على ولائهم الصحيح للدولة ، وعلى الأقل فى روما ذاتها .

لقد أرهق إيمان وصبر القديسين ، اهتياج وثورة المضطهدين . فعندما كانت تتعارض مراسيم السلطة المدنية مع وصايا الله ، ففى هذه الحالة كان المسيحيون يقولون : ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس (أعمال ٥ : ٢٩) . وحينما

كان قيصر يطالب بشرف الألوهية كانت إجابة المسيحيين عليه (لا) .. لأن قيصر (سواء كان يحكم حكماً دكتاتورياً أو حكما ديمقراطياً) كان حينئذ يتعدى حدود سلطاته المفوضة إليه من الله ، ويقتحم التخوم التى ليست له . أما المسيحيون فسيتمكنون من إعلان معارضتهم له ، ولمطالبه غير المشروعة ، بفاعلية أكثر لو أنهم كانوا متجاوبين مع كل مطالبه المشروعة .

وهكذا ، فإنه بعد ذلك بعدة سنوات ، وفى وثيقة مكتوبة من روما فى أعقاب اضطهاد عنيف وقع على المسيحيين ، نسمع صدى عبارات بولس هذه فيما كتبه الرسول بطرس فى رسالته الأولى : « اخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب إن كان للملك فكمن هو فوق الكل أو للولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير .. فلا يتألم أحدكم كقاتل أو سارق أو فاعل شر أو متداخل فى أمور غيره ، ولكن إن كان كمسيحى فلا يخجل بل يمجد الله من هذا القبيل » (١ بطرس ٢ : ١٣و١٤ ، ٤ : ١٥ و١٦) .

وفيما بعد ونحو نهاية القرن الأول الميلادى ، قام أحد القادة فى الكنيسة الرومانية ، والذى كانت ماتزال ذكرى وحشية الاضطهادات النيرونية التى حدثت قبل ذلك بثلاثين عاماً محفورة فى ذاكرته ، والذى اختبر حديثاً حقد وضغينة دوميتيان ، نجده يصلى هذه الصلاة : [إهد خطواتنا لنسلك فى البر والقداسة ، وبالقلب الموحد ، وأن نفعل الأشياء الصالحة والمقبولة أمامك ، وأمام حكامنا . نعم يارب ، ليشرق وجهك علينا بالسلام لخيرنا ، حتى نحتمى فى ظل يدك القوية ونخلص من كل إثم وخطية بذراعك الممدوة . أنقذنا من أولئك الذين يكرهوننا بلا سبب . أعط الوفاق والسلام لنا ولكل الساكنين على الأرض ، كما فعلت لآبائنا عندما صرخوا إليك بالإيمان فى الحق والقداسة ، فى الوقت الذى نقدم فيه لاسمك العظيم الذى يعلو على كل اسم ، الطاعة ، وأيضاً لرؤسائنا وحكامنا الأرضيين . أنت ، أيها الرب والسيد ، قد منحتهم سلطان السيادة من خلال قدرتك العظيمة والمهوبة ، بحيث أننا نحن العارفون بالمجد والكرامة التى وهبتها لهم ، نخضع ذواتنا لهم ، فى ما لا يتعارض مع إرادتك . وعلى هذا ، امنحهم أيها الرب الصحة والسلام ، والوفاق والاستقرار ، حتى يتسنى لهم أن يمارسوا سلطان الحكم الذى وهبته إياهم فى غير قصور أو تقصير . لأنك أنت أيها السيد السماوى ملك الدهور تعطى

أبناء البشر المجد والكرامة والقوة والسلطان على كل الأشياء التى على الأرض . فلتوجه أيها الرب مشورتهم لكل ما هو صالح ومقبول أمامك ، ليمارسوا بالسلام واللطف والتقوى السلطان الذى أوكلته إليهم ، حتى ينالوا محبتك. (رسالة أكليمندس الأولى ٦٠ : ٢ — ٢٦١) .

وسواء كانت هذه الصلاة التى أخذنا منها هذه التضرعات والتوسلات من تعبير أكليمندس نفسه ، أو أنها صلاة عامة كانت مستخدمة فى الكنيسة الرومانية ، فإنهامع ذلك تدلنا على مدى الأثر الذى أحدثته فى هذه الكنيسة أوامر ووصايا بولس عن واجبات المسيحيين نحو السلطات التى تتولى مقاليد أمورهم .

عدد ١ : (لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة) (إن الأصحاح الثالث عشر فى رسالة رومية) كما يقول (ج . و .ألين) ، (يضم أعظم الكلمات التى ربما لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الفكر السياسى المكتوب ، وإنه من قبيل الخطأ الجسيم أن نظن أن البشر فى أى زمان ، قد أخذوا فكرهم السياسى عن القديس بولس ، إلا أن البعض منهم ، أياً كان أمرهم ، قد قاموا بمجهود واضح وصريح فى هذا المجال أكثر من غيرهم) .

(كل نفس) تعنى ببساطة (كل شخص) . ولكن ماذا عن (السلاطين الفائقة ؟) هل هى السلطات والقوات الملائكية ؟ أو السلطات البشرية ، أو السلطات والقوى الملائكية والبشرية معا ؟ كما يقول بذلك أوسكار كولمان .

إن الرأى الكتابى العام ينصرف إلى أن السلطة الزمنية يُدبِّر أمورها جند القوات العلوية التى فى السماء ، وأيضاً الملوك الأرضيين الذين على الأرض (إشعياء ٢٤ : ٢١) . وصحيح كذلك أن صيغة الجمع يستخدمها بولس صراحة بمعنى (الرئاسات الملائكية) .. الصالح منها والشرير (قارن رومية ٨ : ٣٨ ؛ كولوسى ١ : ١٦ ؛ ٢ : ١٠ و١٥ ؛ أفسس ١ : ٢١ ؛ ٣ : ١٠ ؛ ٦ : ١٢) . ويمكننا أن نقارن بين ما يقوله فى ١ كورنثوس ٢ : ٨ عن (رؤساء هذا الدهر) والذين يشملون على الأرجح الرياسات الملائكية المعادية ، وأيضاً الرياسات البشرية . إلا أنه فى القرينة الحالية ، يبدو أن المقصود بهم هم (الحكام من البشر) الذين يحملون السيف لعقاب الأشرار وحماية الصالحين ، والذين إذ يأمرون يتحتم علينا أن نطيعهم ، وهم من تدفع لهم

الضرائب وغير ذلك من الاستحقاقات المالية المفروضة لتسير دفة الأداة الحكومية مع كل ما يحق لهم من الإجلال والتكريم . إن إشارات بولس فى مواضع أخرى إلى القوى الملائكية أبعد من أن تجعلنا نظن أنه يتحتم على المسيحيين أن يخضعوا لها بأى وجه من الوجوه ، بل على العكس إن المسيحيين متحررون من ولايتهم ، باتحادهم مع الله ، لأنه هو الخالق ، ورأس كل هذه القوات والسلاطين (كولوسى ١ : ١٦ ؛ ٢ : ١٠) وهو الذى قهر أولئك الذين اتخذوا موقف العداوة منه ومن شعبه (كولوسى ٢ : ١٥) . (والسلاطين القائمة هى مرتبة من الله) ليس هناك أى تناقض بين هذا المبدأ والمحاجة التى فى ١ كورنثوس ٦ : ١ ــ ٣ ، حيث نُصح المسيحيون بالعدول عن التقاضى أمام المحاكم الزمنية التى أقامها البشر لإجراء العدالة . إن الاعتراف بالسلطات المدنية ليس فيه أى تعارض مع المبدأ القائل بأنه لا يليق على المسيحيين أن ينشروا مشكلاتهم على الملأ ، بمعنى أنه لا يجوز لهم أن يظهروا الخلافات التى قد تنشأ بينهم على الملأ بالتجائهم إلى محاكمة بعضهم بعضاً فى دور العدالة التى أقامتها السلطات المدنية . ومن حيث أن القضاة المدنيين قد أقيموا فى مناصبهم بترتيب إلهى ، فإن سلطانهم الزمنى لا يرتب لهم مكانة خاصة فى الكنيسة ، حتى ولو كانوا مسيحيين (انظر الملاحظة على الآية ١٣ : ٤ فى مابعد) .

عدد ٢ : (حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله) . إن عدداً قليلاً من أقوال العهد الجديد قد عانى من سوء الاستخدام ، كما عانى هذا القول كما يقول أوسكار كولمان ، وقد يكون تفكيره منحصراً بصفة خاصة حول سوء استخدامها فى تبرير الخضوع الذى لا مبرر له لإملاءات الحكومة الشمولية . ومن الواضح من القرينة المباشرة ، كما من السياق العام للكتابات الرسولية ، أن من حق الحكومة أن تأمر رعاياها بالطاعة فقط فى حدود الأغراض التى أقامها الله من أجلها ــ وبالذات فإنه يمكن ــ بل يجب مقاومة الحكومة عندما تطلب من رعاياها الولاء لها فى ما هو واجب لله وحده دون سواه . إن الطاعة التى يدين بها المسيحى للدولة ليست مطلقة على أية حال ولكن هى فى الأغلب جزئية ومشروطة . ويتبع ذلك أن المسيحى يعيش على الدوام فى شد وجذب بين المطالب المتعارضة ، حتى أنه فى بعض الظروف الخاصة تكون مخالفة أوامر الدولة ليست فقط حقاً بل وواجباً يتحتم على

المسيحيين القيام به . ولقد ظلت هذه هى العقيدة التقليدية والتعليم الصحيح الذى يسير عليه المسيحيون منذ أن أعلن الرسل صراحة أنه (ينبغى أن يُطاع الله أكثر من الناس) .

(سيأخذون لأنفسهم دينونة) (قارن ٣ : ٨ ؛ وانظر أيضاً ١٤ : ٢٣) (والدينونة) تعنى هنا (الإدانة) أو (العقاب) .

عدد ٣ : (فإن الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل للشريرة) . وبالنسبة لصيغة الجمع (الأعمال الصالحة) ، نجد أن أهمية الدليل فى صالح صيغة المفرد (العمل الصالح) ؛ السلوك الحسن .

وتجى ترجمة (موفات) على النحو التالى : (فإن الحكام ليسوا خوفاً للرجل الأمين) ؛ مؤسسة على قراءة ليس لها سوى التأييد الضئيل وإن كانت قراءة لها جاذبيتها وسحرها . (أفعل الصلاح فيكون له مدح منه) (قارن ١ بطرس ٣ : ١٣) (فمن يؤذيكم إن كنتم متمثلين بالخير) .

عدد ٤ : (**منتقم للغضب من الذى يفعل الشر**) : إن الدولة هنا مكلفة بالقيام بمهمة محرم على المسيحيين بوضوح ممارستها (١٢ : ١٧ أ و ١٩) . وبالطبع ، فإننا نجد أن الدولة المسيحية فى الأيام التى تلت ، وخارج نطاق تحذيرات بولس وإنذاراته ، لم يكن هناك أى توجيه واضح ودقيق يستطيع به الحاكم المسيحى أن يحاول التوفيق بين واجبه كمسيحى : أن يعطى مكاناً للغضب ، وبين واجبه كحاكم : أن ينتقم للغضب ، أو أن يمارس الغضب . إن هذا القول ليس معناه أنه من هذه الفقرة وغيرها من الفقرات المماثلة ، أنه لم يكن فى مقدور الحاكم أن يستخلص لنفسه مبادىء يهتدى بها فى عمله ، ولكن من الواضح أن بولس كان يرى أن هناك مجالين واضحين تقدم من خلالهما العبادة لله . وأولهما موافقة الكتاب المقدس فى مواضع كثيرة منه وتصديقه على الإجراءات العنيفة القسرية التى يجب ممارستها لقمع الشر وعدم السماح بانتشاره ، وهو الأمر الذى يحير الكثيرين من المسيحيين فى أيامنا الحالية ، لما يتبدى لهم من تناقضه مع أسلوب المسيح فى المحبة ومفهومه عن عدم مقاومة الشر . ولكن هذا لا يحدث إلا نتيجة قصورنا عن التمييز ما بين ضرورة الحفاظ على كيان العالم الذى نعيش فيه ، وبين المفهوم الخلاصى للعالم . والحقيقة أن الكتاب المقدس يؤكد على أهمية كلا من الناموس الذى

ينشىء غضباً (رومية ٤ : ١٥) ، والإيمان العامل بالمحبة (غل ٥ : ٦) .

عدد ٦ : (لأجل هذا توفون الجزية أيضاً) : وفى الترجمة Av كما فى اليونانية يمكن أن تفهم إما على أساس أنها مجرد بسط أو عرض للموضوع ، وإما على أنها أمر ، ومن المحتمل أنها تفسر على المحمل الأول : « هذا هو تبرير كم لدفع الضرائب للأمم الوثنية (وهو أمر كان يحز فى ضمائر اليهود ، وربما أيضاً بالنسبة لبعض المسيحيين بسبب أنهم عبيد الله .. » .

ويقول أيريناوس مقتبساً الآية للتدليل على أن بولس فى هذه الفقرة لا يشير إلى الكائنات الملائكية ، أو الرؤساء غير المؤمنين ، كما يزعم البعض (ومن المحتمل من الغنوسيين Gnostics) فى تفسيرهم المتجاسر لهذه الفقرة ، بل إنما يشير إلى السلطات البشرية .

(إذ هم خدام الله) ، والكلمة اليونانية التى ترجمت (خدام) استخدمت فى الأدب المسيحى المبكر للدلالة بصفة خاصة على الخدمة الدينية .

عدد ٧ : (فاعطوا الجميع حقوقهم) : من الممكن أن تكون صدى لكلمات يسوع : « أعطوا ما لقيصر لقيصر .. » (مر ١٢ : ١٧) . (أعطوا) وهى صيغة تماثل ما هى عليه هنا . ولكن الفقرات التالية تجعل واجب الطاعة للسلطات الزمنية كواجب مؤقت ، أى فى فترة من (الليل) (الآية ١٢) ، أما فى ذلك (النهار) الذى تقارب والذى سيجىء بنظام جديد للحكومة ، حينما (يدين القديسون العالم) (١ كورنثوس ٦ : ٢) . إن الدولة سوف تذوى (وفى هذه النقطة يتفق بولس مع كارل ماركسى : وتبقى مدينة الله .

(الجزية) أى (الضرائب) .. (الجباية) ، أو الرسم ، أو الضريبة . (الخوف) أو (الاحترام) أو (التوقير) أو (التبجيل) .

(٥) الحب والواجب : (١٣ : ٨ — ١٠)

لا تكونوا مديونين لأحد بشىء ، إلا بأن يحب بعضكم بعضاً .

إن الفرد الذى يوفى هذا الدين قد أكمل الناموس . وهو اقتباس من اللاويين ١٩ : ١٨ (تحب قريبك كنفسك) وهو خلاصة للوصايا مما يضع عن حق

ضمن تقليد يسوع الذى جعل من هذه الكلمات الوصية الثانية العظمى جنباً إلى جنب مع وصية : « تحب الرب إلهك » (تثنية ٦ : ٥) ، الوصية الأولى والعظمى ، ويضيف قائلاً : بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء « مت ٢٢ : ٣٧ ــ ٤٠ » قارن مرقس ١٢ : ٢٨ ــ ٣٤) .

وهنا يذكر بولس الوصية الثانية ولا يذكر الأولى لأن الموضوع يتعلق مباشرة بواجب المسيحى نحو قريبه ــ هو موضوع الوصايا الواردة فى الجدول الثانى للوصايا العشر . إن هذه الوصايا تمنعنا من إيقاع الضرر بقريبنا بأية وسيلة ، حيث أن المحبة لا تؤذى أحداً بل إنها تكميل للناموس .

عدد ٨ : (**لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس**) : (غيره) هى حرفياً (الغير) (أى قريبه) . ومن الممكن ترجمة هذه الجملة : (إن الذى يحب قد أكمل الناموس الآخر) . وبذلك يكون (الناموس الآخر) هو نفسه فى هذه الحالة (الثانى) فى متى ٢٢ : ٣٩ ؛ مرقس ١٢ : ٣١ (تحب قريبك كنفسك) . وأيا كان الأمر فإن النص العربى هو الترجمة الأفضل ، كما أن الإشارة على أى حال هى إلى الوصية التى اقتبسها يسوع كالوصية الثانية والتى كانت (مثل) الوصية الأولى .

عدد ٩ : (**لا تزن ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تشته**) : إن الوصايا السادسة والسابعة ، والثامنة ، والتاسعة والعاشرة هى من الوصايا العشر (خروج ٢٠ : ١٣ ــ ١٧ ، تثنية ٥ : ١٧ ــ ٢١) . وأيا كان الأمر ، فالوصية التاسعة (لا تشهد بالزور) لا وجود لها فى أفضل المصادر فى النص الحالى هنا (تحب قريبك كنفسك) قارن غلاطية ٥ : ١٤ (لأن كل الناموس فى كلمة واحدة يُكْمَلُ . تحب قريبك كنفسك) . وتدعى هذه الوصية فى يعقوب ٢ : ٨ (الناموس الملوكى) أو (القانون الرئيسى المعلن فى الكتاب) . المحبة هى تكميل الناموس ــ تكميل ــ فى اليونانية كلمة ذات نطاق متسع من المعانى (وقد ترجمت فى موضع آخر فى هذه الرسالة : « ملء » قارن ١١ : ١٢و٢٥ ؛ ١٥ : ٢٩) .

(٦) حياة المسيحيين فى أزمنة الضيق (١٣ : ١١ ــ ١٤)

كان بولس يدرك جيداً طبيعة الأيام الحرجة المتفجرة بالأزمات . ولم يكن خاضعاً لأية أوهام بخصوص دوام فرصته الحالية للكرازة بالإنجيل دون أية

موانع أو عقبات ، إلا أنه كان عاقداً العزم على استغلالها طالما ظلت الفرصة سانحة . وبينما لم يبد بولس استخدام تصوره الرؤوى كما كان الأمر فى ٢ تسالونيكى ٢ : ١ — ١٢ ، فإنه يعرف أن القيود التى تكبح جماح الظلمة الخفية والفوضى يمكن أن تزول فى أى وقت ، فإن على المسيحيين أن يكونوا على الدوام متيقظين ومحترسين من الأخطار ، ولكن التطلع إلى المستقبل يجب أن يملأهم بالرجاء والتشجيع ، وليس بالإحباط والتثبيط . لقد سبق أن قال يسوع : (انتصبوا وارفعوا رؤوسكم ، لأن نجاتكم تقترب) (لوقا ٢١ : ٢٨) . ويرد بولس أصداء كلمات سيده : (فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا) .

إن أحداث السنوات ٦٤ و٦٥ ميلادية — وهى ابتداء الاضطهادات الإمبراطورية للمسيحيين وانفجار الثورة اليهودية ، والتى انتهت بأفول نجم (تجمع الدولة اليهودية الثانية) — كانت قد سبقت وألقت بظلالها الكئيبة على مسرح الأحداث . ولم يكن فى مقدور بولس أن يتوقع أن تكون هذه الأحداث هى التمهيد المباشر للمجىء الثانى للمسيح ، والخلاص النهائى للمؤمنين . وإذا كانت معرفة ذلك اليوم وتلك الساعة محجوبة عن ابن الإنسان نفسه ، فكم تكون بالأحرى أكثر خفاء على واحد من خدامه . ولكن كلمات يسوع : (ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص) (مرقس ١٣ : ١٣) قد اثبتت صحتها فى اختبارات شعبه الذين اجتازوا عبر هذه الأزمات كما قد فعلوا فى غيرها من الأزمات التى مرت بهم منذ ذلك الحين . فمع الآلام والضيقات يأتى طريق الخلاص : (هنا صبر وإيمان القديسين) .

وفى نفس الوقت فإن على أبناء النهار أن يعيشوا مستعدين لأيام الافتقاد . وأن يخلعوا كل أعمال الظلمة . ويتحدث بولس فى مكان آخر بأن علينا أن (نلبس الإنسان الجديد) (أف ٤ : ٢٤ ، كو ٣ : ١٠) ، ويدعو هنا قراءه مباشرة لأن (يلبسوا الرب يسوع المسيح) . إن النعم المسيحية أو أسلحة النور والتى يعظ بولس المسيحيين بأن يلبسوها بديلاً عن إشباع رغبات الطبيعة الدنيا ، ما هى إلا تلك النعم التى تمثلت فى كمالها المنسجم فى يسوع المسيح . إن معرفة بولس بالمسيح التاريخى واهتمامه به هو أكثر كثيراً مما أتيح لأولئك الذين أساءوا تفسير كلماته عن [عدم معرفته للمسيح بعد (فى الجسد)] بإنكارهم معرفة بولس بالمسيح أو اهتمامه به . ذلك أنه عندما يأتى إلى تعداد

تفصيلى دقيق للنعم التى يود لرفاقه فى روما وفى غيرها من الأماكن أن (يلبسوا) ، نجد أنها نفس تلك النعم التى ميزت حياة المسيح على الأرض .

عدد ١١ : (إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم) : إن واجب اليقظة الروحية كانت على الدوام لصيقة بالتعليم الرسولى ، قارن ١ تسالونيكى ٥ : ٤ — ٦ .

(فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا) . إن (الخلاص) هنا يُرى من منظور كماله فى المستقبل ، (متوقعين التبنى فداء أجسادنا) (رومية ٨ : ٢٣) ؛ قارن (الخلاص المستعد أن يُعلن فى الزمان الأخير) . والذين هم (بقوة الله محروسون بإيمان) بحسب ما جاء فى ١ بطرس ١ : ٥ . إن إتمام هذا الخلاص واكتماله يتزامن مع ظهور المسيح فى المجد (قارن العبرانيين ٩ : ٢٨) .

عدد ١٢ : (أعمال الظلمة .. أسلحة النور) : وفى ترجمة أخرى (لنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحتنا كجنود النور) . إن المقابلة بين الظلمة والنور تتكرر فى كتابات بولس (قارن ٢ كو ٦ : ١٤ ، أف ٥ : ٨ ، كو ١ : ١٢ و١٣ ، ١ تس ٥ : ٤ و٥) . وأيضاً فى كتابات يوحنا .. إنها واحدة من النقاط التى تبين فى جلاء ووضوح الالتقاء ما بين العهد الجديد ونصوص قمران ، حيث نجد جميع البشر (محكومين) إما بأمير النور ، أو تحت سلطان ملاك الظلمة ، والصراع العظيم فى الزمن الأخير يُطلق عليه : حرب أبناء النور ضد أبناء الظلمة ، (سلاح النور) ، موضح بتفصيل دقيق فى ١ تسالونيكى ٥ : ٨ ، أفسس ٦ : ١٣ — ١٧ .

عدد ١٣ : (لا بالمضاجع والعهر) : أو (لا بالفسوق والرذيلة) .

عدد ١٤ : (بل البسوا الرب يسوع المسيح) : يبدو أن التعليم الفعلى الذى قدم المتهودين للمسيحية فى أيامها الأولى . كان تعليماً منظماً ، لسهولة التذكير تحت شعارات متنوعة . وكانت كلمة (البسوا) واحدة من هذه الشعارات . إن بولس يعظ المسيحيين أن (يلبسوا) الفضائل المسيحية ، كما يلبسون ملابسهم (قارن كو ٣ : ١٢) ، وحيث أن هذه الفضائل كانت مظاهر للشخصية المسيحية الجديدة التى نالوها عند اهتدائهم إلى المسيحية ، فإنه يتحتم أن يقال لهم (البسوا الإنسان الجديد) (أفسس ٤ : ٢٤) أو

أن يعيشوا كما يليق بذلك الذى قيل عنه (إذ لبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة ..) (كولوسى ٣ : ١٠) . ومن حيث أن الإنسان الجديد هو شخص يسوع المسيح الذى تمثل فى حياة شعبه ، ومن ثم كان ميسورا أن يُعبّر بولس عن هذا التحول بقوله : (لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح) (غلاطية ٣ : ٢٧) ، أو كما قال لهم هنا أن (يلبسوا المسيح) ، بمعنى أن يظهروا على الملأ ما سبق أن اختبروه فى داخلهم . ومما يستلفت النظر ، أن يطلب بولس من قرائه أن يتحلوا بالصفات التى نسبها الإنجيليون إلى ربنا ، ويطلب منهم ذلك قائلاً لهم أن يلبسوا الرب يسوع المسيح ، وذلك فى الوقت الذى لم يكن بولس يعرف شيئاً عن الأناجيل المكتوبة والموجودة الآن فى العهد الجديد الذى بين أيدينا .

(ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات) (قارن ٦ : ١٢) كانت كلمات الآيات ١٣ و١٤ التى أشعلت نار المحبة الإلهية فى قلب اغسطينوس .

الأصحاح الرابع عشر

(٧) الحرية المسيحية والمحبة المسيحية (رومية ١٤ : ١ ــ ١٥ : ٦)

(أ) الحرية المسيحية (١٤ : ١ ــ ١٢)

استمتع بولس بحريته المسيحية بكل ملئها . إذ لم يكن هناك على الإطلاق مثيل له فى تحرره التام المطلق من كل المحرمات والمحظورات غير المسيحية . كما كان متحرراً تحرراً تاماً مطلقاً من العبودية الروحية ، بل إنه لم يكن أيضاً مستعبداً حتى من حريته . لقد كان متوافقاً مع طريقة الحياة اليهودية عندما كان يعيش فى المجتمع اليهودى ، كما كيّف نفسه لطرق الأمم عندما كان يعيش بينهم . لقد كان اهتمامه الأسمى بالإنجيل ، وكان الصالح العام للرجال والنساء فى القمة من اهتماماته ، والتى من أجلها أخضع كل شىء ، إلا أنه كان يعلم أيضاً أن كثيرين من المسيحيين لم يصلوا مثله إلى الحرية الكاملة التى يفىء هو إلى ظلالها . وكان يصر على الدوام على ضرورة الرفق بهم ، فقد يكون الإيمان المسيحى ضعيفاً عند البعض ، وغير ناضج ، وغير موجه ، ولكن يجب ألا نجتنبهم ، بل يجب علينا إحاطتهم بالرعاية الحانية ، وألا ندخل معهم فى مجادلة حول نواحى حياتهم التى لم تتحرر بعد من ربقة الأفكار الجاهلية العتيقة .

وهنا يذكر بولس مجالين من مجالات الحياة التى يمكن أن تخضع لمثل هذه الأمور ، ثم يتوسع فى واحد منهما : المجال الأول هو الطعام ، والمجال الثانى هو اعتبارهم لبعض الأيام الدينية والاحتفال بقدومها . وبعض المسيحيين (مثل بولس نفسه) لا يخشون أى وخز للضمير من تناول أى نوع من الطعام ، وآخرون لديهم شكوك حول أطعمة معينة . وآخرون (ومرة أخرى مثل بولس) لا يميزون كثيراً بين الأيام المقدسة وغيرها ، ويعتبرون أن كل الأيام (قدس للرب) ، وآخرون يحسون بأن بعض الأيام أكثر قداسة من غيرها . فما الذى يمكن عمله عندما يجد المسيحيون ذوو القناعات المتنوعة أنفسهم فى شركة واحدة مع بعضهم البعض . هل يجب عليهم أن يقلّبوا الرأى فى

الموضوع ، ويحاول جانب منهم إقناع الجانب الآخر ؟ يقول بولس ، لا يجب أن نفعل ذلك ، بل لندع كل واحد على قناعته العقلية وارتياح ضميره . إن الذى ينعم بقدر أكبر من الحرية المسيحية ، لا يجب عليه أن يحتقر الآخر لكونه ليس لديه النضج الروحى ، وكذلك فإن على الشخص ذى الضمير المتشكك حول بعض الأمور ، لا يجب عليه أن ينتقد رفيقه المسيحى الذى يفعل هذه الأمور التى لا يريد هو نفسه أن يفعلها . إن كل مسيحى هو عبد للمسيح ، وسيعطى حساباً عن عمله أمام كرسى المسيح ، هنا فى هذه الحياة ، وهناك فى الحياة الأخرى . إن المسيح مات ، فهو سيد الأموات ، والمسيح يحيا لذا فهو سيد الأحياء . ليس لمسيحى أن يدين آخر — هل نسمع هنا صدى كلمات ربنا يسوع المسيح : لا تدينوا لكى لا تدانوا ؟ — ذلك أننا سنظهر جميعاً أمام محكمة العدل الإلهى لنعطى حساباً عن أعمالنا ، وننال استحقاقنا الواجب لنا .

وبهذه الكلمات يصر بولس على عدم قبول الحلول الوسط فيما يتعلق بالحرية المسيحية . (إن الإنسان المسيحى هو السيد على كل شيء ، ينعم بأعظم قدر من الحرية ، ولا يخضع فى حريته المسيحية لأى كائن من كان) (لوثر) .

عدد ١ : (لا للمجادلات حول الأمور التى محل الارتياب والحيرة) : وفى الترجمة العربية (لا لمحاكمة الأفكار) ، وفى ترجمة أخرى (بدون أدنى محاولة لحسم الموضوعات محل الشك أو الحيرة) .

عدد ٢ : (أما الضعيف فيأكل بقولاً) : إما لكونه نباتياً ، أو — وهو الأرجح — لكى يتحاشى أكل لحوم الحيوانات المقدسة ، كذبائح للآلهة الوثنية ، أو التى لم تذبح بحسب المعايير اليهودية (قارن دان ١ : ٨ و١٢) .

عدد ٤ : (من أنت الذى تدين عبد غيرك؟ هو لمولاه يثبت أو يسقط) : قارن متى ٧ : ١ ، لوقا ٦ : ٣٧ ، وكلمات بولس نفسه فى ١ كورنثوس ٤ : ٣ — ٥ (وأمّا أنا فأقل شيء عندى أن يحكم فىّ منكم ، أو من يوم بشر ، بل لست أحكم فى نفسى أيضاً . ولكن الذى يحكم فىّ هو الرب . إذاً لا تحكموا فى شيء قبل الوقت ، حتى يأتى الرب ..) . إن الكلمة المترجمة (عبد) هنا هى الكلمة اليونانية oiketes التى تعنى (الخادم فى المنزل) ، وليست هى الكلمة اليونانية Doules التى تعنى (العبد الرقيق) .

وليست هى الكلمة اليونانية Doules التى تعنى (لعبد الرقيق) .

عدد ٥ : (وآخر يعتبر كل يوم) : ليست هناك فى اليونانية كلمة تتوافق مع alike (على السواء) ، على الرغم من أنها أضيفت فى بعض الترجمات لتكملة المعنى ، لا يلزم أن يكون المقصود بهذه العبارة (أن الإنسان الآخر يعامل كل يوم كيوم مقدس) ، إنما قد تعنى أنه يعتبر كل يوم مكرساً لعبادة الله كباقى الأيام ، ولا شك أن هذا هو اتجاه بولس فى تفكيره .

عدد ٦ : (الذى يهتم باليوم فللرب يهتم .. والذى يأكل فللرب يأكل) : وعلى ذلك « فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت » (كو ٢ : ١٦) .

(والذى لا يهتم باليوم فللرب لا يهتم) . هذه الكلمات وإن كانت من نفس روح سياق الجملة ، إلا أنها ليست جزءاً من النص الأصلى ، وإنما وجدت طريقها إلى النص فى بعض المخطوطات المتأخرة ، وفى النص المسلّم من أجل إحداث الموازنة مع الفقرة التى ستأتى بعد ذلك فى الآية (والذى لا يأكل فللرب لا يأكل) .

عدد ٧ : (لأن ليس أحد منا يعيش لذاته) : إن الذى يعنيه بولس ، كما يتضح من الآية ٨ ، هو أن كل مسيحى إنما يعيش حياته قدّام المسيح ، وكعبد له ؛ ولكن المعنى العادى الذى أُعطى للكلمات ، حين تقتبس بعيداً عن سياق الكلام فى الجملة يجىء كنتيجة طبيعية .

إن حياة كل مسيحى تؤثر فى حياة زملائه المسيحيين وباقى الناس الآخرين أيضاً ، وعلى هذا فإنه يتحتم عليه أن يدرك مسئوليته نحوهم ، ولا يكتفى بأن يسير وفق ما تمليه عليه اهتماماته الخاصة فقط .

عدد ٩ : (لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش) : إن أفضل قراءة محققة : (مات المسيح وعاش) .. (أى عاش مرة أخرى) . وبفضل موته أصبح سيد الأموات ، وبفضل قيامته أصبح سيد الأحياء .

عدد ١٠ : (أما أنت فلماذا تدين أخاك ؟) : ليست هناك خطية يتعرض لها المسيحيون وبصفة خاصة الغيورون منهم أكثر من الميل إلى انتقاد غيرهم . إن كلمات الرسول حاسمة فى هدفها . (ألا يجب على الإنسان أن

يضع يده على فمه قبل أن ينتقد إخوته ؟ عندما نصدر فى تسرع أحكامنا القاسية التى ليس لها سند من المعرفة ، ولا تحمل الشعور بالمحبة والتعاطف والسخاء على الفقير ، فمن المؤكد أننا قد نسينا أننا إذا تكلمنا بالشر عليهم ، فإننا بذلك نكون متكلمين بالشر على الرب الذى يحملون اسمه (هـ . سانت جون) (فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً) (الآية ١٣) . (لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسى المحاكمة الذى للمسيح) .

والقراءة الأكثر تحقيقا (كرسى المحاكمة) أو (المحكمة التى لله) . وهناك ترجمة أخرى (من الواضح أنها ظهرت تحت تأثير ٢ كورنثوس ٥ : ١٠) وهى ترجع إلى النصف الأول من القرن الثانى الميلادى ، والمحققة من بوليكاربوس ومارقيون : لأننا جميعا سوف نقف أمام كرسى المسيح . كما فى الترجمة العربية .

عدد ١١ : (أنا حى يقول الرب ، إنه لى ستجثو كل ركبة ، وكل لسان) وهو اقتباس من إشعياء ٤٥ : ٢٣ : (بذاتى أقسمت .. إنه لى تجثو كل ركبة ، يحلف كل لسان . ويطبق بولس نفس الفقرة على المسيح فى فيلبى ٢ : ١٠ و١١ .

(ب) المحبة المسيحية (١٤ : ١٣ ــ ٢٣)

إن مارتن لوثر الذى يستهل بحثه (عن حرية الإنسان المسيحى) ، بالكلمات المقتبسة سابقاً (الإنسان المسيحى هو السيد على كل شيء والذى ينعم بأكبر قدر من الحرية ولا يخضع فى حريته المسيحية لأى كان من كان) ، ما يلبث أن يقول فى الجملة التالية : (الإنسان المسيحى هو أكثر العبيد طاعة وهو عبد للجميع) .

ومن هنا كان مارتن لوثر من أعظم المشايعين لفكر بولس ، التابعين لخطى سيده وسيد بولس ، وهذا يتضح من تجاور هاتين العبارتين .

الآن وقد أكد بولس حرية الإنسان المسيحى فى حسم لا يقبل المساومة أو الحلول الوسط ، فإنه يمضى الآن إلى بيان كيف يمكن بل كيف يجب وضع الحدود الإرادية الطوعية التى تحد هذه الحرية ، وهو فى عمله هذا يوسع نطاق واحد من الموضوعات التى سبق له أن استخدمها للتأكيد على الحرية المسيحية ،

وهو موضوع الأطعمة .. ولقد كان موضوع (أى نوع من الأطعمة يجب أن نتناولها ، وأيها نمتنع عنه) ، قد أثار الكنيسة الأولى من نواحٍ عديدة . وكانت ناحية منها شديدة الأثر على المسيحيين من أصل يهودى بصفة خاصة . إن الشرائع اليهودية للأطعمة ، والتى حافظت عليها الأمة اليهودية منذ أيامها الأولى ، كانت واحدة من السمات الرئيسية التى تميز اليهود عن جيرانهم من الأمم . فلم يكن لحم بعض الحيوانات محرماً تحريماً مطلقاً فحسب ، بل أيضاً كان أكل دم جميع الحيوانات محرماً عليهم بصفة قاطعة ، وكانت الحيوانات الطاهرة التى تذبح لتناول لحومها ، تذبح بطريقة خاصة تقتضى تصفية دمها بالكامل . ومن حيث أنه ليس هناك وسيلة للتأكد من أن اللحوم التى يأكلها غير اليهود ، خالية من أى ريبة فى شرعيتها من أية ناحية من النواحى ، فإنه كان من المستحيل على اليهود المتزمتين أن يشاركوا الأمم فى طعامهم . وفى الواقع كان من الصعب على اليهودى المتشدد أن يشترك فى طعام أحد رفاقه من اليهود لو تطرق إليه أدنى شك فى تساهل رفيقه فى أمر من هذه الأمور الشرعية .

وفى إحدى المناسبات البارزة والجديرة بالذكر ، أبطل يسوع شرائع الأطعمة حين قال إن جميع الأطعمة (طاهرة) (مرقس ٧ : ١٩) . كما أن بطرس فى رؤياه على سطح بيت سمعان الدباغ فى يافا تعلم أن لا يقول عن أى شيء أو أى إنسان إنه نجس طالما أن الله قد طهره ، وبفضل هذا الدرس وافق فوراً على القيام بزيارة القائد الأممى كرنيليوس فى قيصرية ، وأن يقبل ضيافته له فى منزله . ولكن مضى وقت طويل قبل أن تفكر غالبية المسيحيين الذين مثله من أصل يهودى أن ينسجوا على منواله . وقد حدث فى إحدى المناسبات ، عندما كان بطرس مقيماً فى أنطاكية أن شارك فى غير تحفظ إخوته من مسيحيى الأمم ، وإذا بواحد أو أكثر من الوافدين من كنيسة أورشليم يدعوه إليه ويحضه على الانسحاب من المشاركة فى مائدة الطعام مع الأمميين ، وأن يأكل فقط مع اليهود . وقد بدأت قدوته هذه فى إحداث أثرها المدمر ، حتى أن رجلاً واسع الأفق ومتحرر الفكر مثل برنابا قد أضطر هو الآخر أن يجارى بطرس فى منهجه وأن يفرز نفسه مثله عن رفاقه من مسيحيى الأمم . وهنا ينبرى بولس ويتهم بطرس علانية بالرياء وأنه يلعب دوراً لا يتوافق مع معتقداته وقناعاته الداخلية (غلاطية ٢ : ١١ ــ ١٤) . وحين انعقد بعد وقت قصير

من هذه الحادثة ، مجمع أورشليم ، تمت الموافقة على أن للأمم الحق فى شركة الكنيسة ، مثلهم فى هذا الأمر مثل اليهود ، على أساس الإيمان بالمسيح ، وأضيف شرط يفيد أن على المسيحيين من الأمم أن يمتنعوا عن الأطعمة المحرّمة على إخوتهم من اليهود المسيحيين ، وأن يتبعوا شرائع الزواج اليهودية (أعمال ١٥ : ٢٠و٢٩) . ولقد كان هناك اعتقاد شائع على نطاق واسع ، على أن بولس لا يمكن أن يكون قد شارك فى هذا القرار الذى استقر عليه الرأى فى مجمع أورشليم (كما جاء فى رواية سفر الأعمال) ، وذلك لتعارضه مع مبادئه عن الحرية المسيحية ، وبصفة خاصة حرية المؤمنين من الأمم من الخضوع لالتزامات الناموس اليهودى . إلا أن هذا الأمر ليس مؤكدا على وجه اليقين . ذلك أن بولس كان لا يؤمن بالحلول الوسط أو المساومة إذا كانت المبادىء التى يعدها أساسية معرضة للخطر ، ولكن حيث تكون هذه فى مأمن ، فإن بولس يكون فى هذا الموقف أكثر الناس مسالمة وميلا للمصالحة ،وفى هذه الحالة وحيث قد تمت الموافقة على المبدأ ، وأصبح المؤمنون من الأمم بمقتضى هذا الاتفاق أعضاء شرعيين فى الكنيسة على أساس واحد هو الإيمان بالمسيح . فقد أصبح بولس فى مقدمة من يذكِّر إخوته المؤمنين من الأمم بحكمة وضع بعض القيود الإرادية التطوعية على حريتهم من أجل الحفاظ على عضويتهم الكاملة فى الكنيسة شركتهم مع إخوتهم المسيحيين من أصل يهودى الذين لا ينتظر أن يكونوا جميعاً ذوى عقول متحررة مثل بولس . فإذا ما امتنع الإخوة المؤمنون وخصوصاً من يعيشون منهم جنباً إلى جنب مع مسيحيين ذوى أصل يهودى عن تناول الأطعمة التى يراها إخوتهم المؤمنون من اليهود كراهة لهم ، فإنهم بذلك يعملون على تقوية رباط الأخوة والشركة . الروحية بين طائفتى المؤمنين ، ولقد بقيت تحفظات مجمع أورشليم عن الأطعمة سارية المفعول وشرعية فى بعض قطاعات الكنيسة ، ولعدة أجيال [فى آسيا الصغرى حوالى ٦٩ ــ ٩٦ ميلادية (رؤيا ٢ : ١٤ و١٥ و٢٠) ؛ فى وادى الرون بفرنسا فى سنة ١٧٧ ميلادية (يوسابيوس .. تاريخ الكنيسة) ؛ فى شمال أفريقية حوالى سنة ٢٠٠ ميلادية (ترتليان دفاع ٩) . وفى إنجلترا ضمنها الملك الفريد الكبير فى مدونته القانونية .. بنهاية القرن التاسع الميلادى] .

ولقد تضمن أحد قرارات مجمع أورشليم الامتناع عن تناول لحوم الحيوانات المقدمة كذبائح للأصنام . وقد أثيرت هذه المسألة فى الأوساط الوثنية المحيطة

بالمسيحيين ، وقد تناولها بولس ببعض التفصيل فى الرسائل المتبادلة بينه وبين أعضاء كنيسة كورنثوس الذين طلبوا منه إعطاءهم نظاما يسيرون وفقاً له فى هذا الموضوع (١ كورنثوس ٨ : ١ ــ ١٣ ، ١ كورنثوس ١٠ : ١٩ ــ ٢٣) .

ولقد كان شراء اللحوم من محلات بيع اللحوم فى كورنثوس وروميه مشكلة حساسة بالنسبة للمسيحيين . فإن كثيراً من اللحوم المعروضة للبيع فى السوق مصدرها الحيوانات التى قدمت أصلاً كذبائح للآلهة الوثنية . وكان الإله الوثنى يأخذ نصيبه المقرر له من الذبيحة ، ويباع باقى لحم الذبيحة بواسطة سلطات الهيكل لتجار التجزئة ، وكان كثير من المشترين الوثنيين يرون أن يدفعوا ثمناً أكثر قليلاً من غيرهم لهذه اللحوم حيث أنها من الذبائح المكرسة لبعض آلهتهم . وكان هناك من بين المسيحيين جماعة من ذوى الضمير القوى والذين علموا أن هذه اللحوم ليست أحسن ولا أردأ من غيرها بسبب علاقتها بالإله الوثنى ، وكانوا سعداء بالإقبال على تناولها فى غير ما حرج ، فى حين أن غيرهم لم يكونوا مثلهم سعداء بهذا الأمر ، وكانوا يحسون فى قرارة نفوسهم أن هذه اللحوم قد تنجست من حيث ارتباطاتها الوثنية .

وفى تقديم بولس لحكمة للإخوة المسيحيين فى كورنثوس ، فإنه يضع نفسه فى صف أولئك الذين يدركون أنه ليس هناك مادة ما تخص ما يسمى بالآلهة الوثنية ، وأن للمسيحى مطلق الحرية فى أن يأكل أى نوع من اللحوم . إلا أن المعرفة لم تكن هى كل شيء ، بل إن مقتضيات المحبة يجب أن توضع موضع الاعتبار . إنه هو نفسه على استعداد أن يتخلى عن حريته إذا كان فى تمسكه بها سيقيم من نفسه قدوة سيئة لواحد من رفاقه المسيحيين ذوى الضمير الضعيف . فلو كان تفكير المسيحى أن أكل اللحم المخصص للأوثان خطية ، وتشدد قلبه بالمثال الخاطىء من أخيه ذى الضمير القوى وتناول من هذه اللحوم ، فإن نتيجة هذا العمل ستكون مدمرة على ضميره ، وهذا يقع وزره على انعدام محبة وتقدير رفيقه .

إلا أن هناك مظهر آخر أكثر خطراً للمشكلة (التى ثارت فى كورنثوس) ، من مجرد شراء وأكل لحوم الحيوانات المكرسة كذبائح للأوثان إنها تتبدى لنا من ١ كورنثوس ٨ : ١٠ وتتلخص فى قبول بعض مسيحيى

كورنثوس الدعوات من أصدقائهم الوثنيين لحضور المآدب التى تقام فى الهياكل الوثنية . وفى هذه المآدب لا توجد فقط لحوم الحيوانات المقدمة كذبائح للآلهة الكذبة ، بل إن المناسبة نفسها منظمة تحت رعاية ذلك الإله وتكريما له . فهل يستطيع المسيحى الذى جلس إلى مائدة الرب أن يحس بالراحة لو جلس أيضاً إلى مائدة الوثن ، والذى لا يمثل أى شيء أكثر من كونه يمثل الشيطان ؟ إن المتطرفين فى نظرتهم إلى الحرية قد يجادلون قائلين إن كل شيء أصبح شرعياً ، إلا أن بولس يُذكرهم أن كل الأشياء تحل له ، ولكن ليس كل الأشياء توافق ، من حيث أنها لا تساعد على البنيان للشخصية المسيحية الصحيحة ، سواء شخصيته هو نفسه أو أولئك الذين تتأثر حياتهم بمثاله . ومن الناحية الأخرى ، إذا كانت الدعوة إلى طعام فى منزل خاص ، فإن الأمر يختلف : إن المسيحى حر فى أن يذهب إلى أى مكان يشاء ، وله الحرية أيضاً فى أن يأكل أى شيء يريد أن يأكله ، بدون أن يتوجه بأية أسئلة إلى مضيفه . ولكن إذا رأى فى موقفه من الطعام المكرس للأوثان اختباراً لسلامة عقيدته المسيحية ، فإن من الأفضل له أن يمتنع عن أكله . إن مجد الله وتحقيق الصالح الروحى للآخرين يجب أن يكون له المقام الأول فى توجهات المسيحيين ، سواء فى الطعام أو الشراب ، أو فى أى شيء آخر .

إن الأسئلة المتصلة بالضمير كان من المحتم أن تثور فى روما كما نادت فى كورنثوس . إن الكنيسة المسيحية فى روما كانت تتألف من المسيحيين سواء من أصل يهودى أو من أصل أممى ، وكان من الممكن أن تتعرض للانحلال السريع لو أن بعض أقسامها أصرت على ممارسة حريتها المسيحية إلى النهاية ، بصرف النظر عما قد يثيره من الريب والشكوك فى قلوب إخوتهم الآخرين من أعضاء الكنيسة ، ومن الناحية الأخرى فلو أن الآخرين الذين تحررت ضمائرهم بالكامل من هذا المنطلق ، قد قبلوا طواعية ومن وحى ضمائرهم الحية أن يقيموا حدوداً وضوابط على حريتهم المسيحية لصالح إخوتهم المسيحيين ضعاف الإيمان ، والذين لم يصلوا مثلهم إلى مرحلة النضوج الروحى ، فإن الكنيسة فى هذه الحالة تصبح مدرسة كاملة للمحبة المسيحية . وهذا هو الذى حض بولس المسيحيين فى روما على اتباعه ، وشهادة التاريخ توضح أنهم قد تعلموا هذا الدرس ووعوه جيداً .

ولابد أن مثال بولس الشهير فى هذا الشأن ، كان له وزنه وتأثيره على هذه الموعظة : (فإنى إذ كنت حرا من الجميع ، استعبدت للجميع لأربح الأكثرين) (١ كورنثوس ٩ : ١٩) . فمع أنه كان له مطلق الحرية فى مثل هذه المسائل ، إلا أنه كان مستعدا للحد من حريته وبلا حساب من أجل رفاقه المسيحيين ضعاف الإيمان حتى يساعدهم فى هذا المجال . إنه كان يعتبر جميع أنواع الأطعمة محللة له ، ولكن إذا كان الاقتداء به فى أكل أنواع معينة من الأطعمة يكون سبباً فى إعثار غيره ، فإنه كان على أتم استعداد لأن يمتنع عن تناولها . إن الطعام وسيلة لغاية ، وليس غاية فى حد ذاته ، إن أى نوع من الأطعمة يؤدى الغرض ، ومما يرثى له أن نعوِّق النمو الطبيعى للروح ، وتقدم عمل الله ، من أجل شيء قليل القيمة فى ذاته ، كبعض أنواع الأطعمة ، (لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً . بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس) . ومن ثم فإن علينا أن نجعل من هذا الطعام والشراب أمراً نافعاً مساعداً على تحقيق هذه الأمور ذات الأهمية الحقيقية ، إنه جيد أن تكون قوى الإيمان ، وجيد أن تكون حى الضمير ، ولكن المسيحيين ليسوا شخصيات منعزلة فى المجتمع ، يعيش كل لنفسه ، ولكنهم أعضاء فى شركة روحية ، والكل مسئولون (بصفة خاصة أقوياء الإيمان ، والأكثر نضوجاً من الناحية الروحية) ، أن يعملوا فى توافق وانسجام وترابط على تقدم الشركة المسيحية .

عدد ١٣ : (فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً ، بل بالحرى احكموا بهذا) :
إن (نحاكم) فى الجملة الأولى تعنى (ننتقد) ، وهى فى الجملة الأخيرة تعنى : نحكم (يفصل فى دعوى قضائية) مثلاً أى (يصدر حكماً) . وفى اليونانية كما فى اللغة العربية والإنجليزية فإن نفس الكلمة تؤدى كلا المعنيين .

(أن لا يضع إنسان مصدمة أو أن يتيح فرصة لمعثرة فى طريق أخيه) . وفى الترجمة العربية : (أن لا توضع للأخ مصدمة أو معثرة) . إن نوع المصدمة أو العائق والتى فى ذهن بولس هو أن نجعل أمام الأخ الضعيف الإيمان مثالاً أو قدوة تقوده إلى الوقوع فى الخطية .

إن المسيحى (يصطدم) (قارن الآية ٢١) ، إذا ما سار على مثال أخ مؤمن أكثر منه تحررا . إذ يقوم بعمل لا يرضى عنه ضميره . ونتيجة لهذا فإن حياته الروحية تصاب بأذى بالغ . ويكون من الأفضل للمسيحى المتحرر

أن يساعد الأخ الأضعف فى الإيمان لكى يكون له ضمير أكثر استنارة ، ولكن هذه عملية لا يمكن أن يحمل إليها فى عجلة .

عدد ١٤ : (إنى عالم ومتيقن فى الرب يسوع أن ليس شيئاً نجساً بذاته) : من المحتمل أن يكون بولس على علم بكلمات الرب عن هذا الموضوع والمسجلة لنا فى مرقس ٧ : ١٤ — ١٩ .

(إلا من يحسب شيئاً نجساً ، فله هو نجس) : إن هذا التبصر متفق تماماً مع تعليم المسيح (قارن مرقس ٧ : ٢٠ — ٢٣) ، وله تضمينات بعيدة المدى . فإن الخطية. والنجاسة الأخلاقية والانهماك فى الدنيويات والأرضيات على حساب الأمور الروحية ، وهلم جرا ، كلها متمركزة فى أذهان البشر ، وليست فى أشياء مادية ملموسة (قارن تيطس ١ : ١٥) .

عدد ١٥ : (فإن كان أخوك بسبب طعامك يُحزن) : كانت كلمة لحم فى اللغة الإنجليزية القديمة (اصطلاحاً لغوياً عاماً عن (الطعام) (لا تهلك بطعامك) ، أو (لا تجعل ما تأكله يكون سبباً فى هلاك أحد) ، أو (لا تجلب بما تأكله الهلاك لإنسان) .. (ذلك الذى مات المسيح لأجله) هذا هو المعيار الإلهى لقيمة الكائن البشرى .

عدد ١٦ : (فلا يُفترى على صلاحكم) : أو (لا يجب أن يكون ما هو صالح فى نظركم فرصة للافتراء عليكم) .

عدد ١٧ : (لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً ، بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس) : قارن متى ٦ : ٣١ (فلا تهتموا قائلين : ماذا نأكل ، أو ماذا نشرب ؟) ، وقارن أيضاً متى ٥ : ٦ و٩و١٠و١٢ « طوبى للجياع والعطاش إلى البر .. طوبى لصانعى السلام .. طوبى للمضطهدين (للمطرودين) من أجل البر ، لأن لهم ملكوت السموات .. افرحوا وتهللوا » وهناك تماثل ملحوظ بين البنية اللغوية لهذه الآية من رومية ، وبين ١ كورنثوس ٤ : ٢٠ .. (لأن ملكوت الله ليس بكلام بل بقوة) (إن القوة هى بلا شك قوه الروح القدس) .

(فى الروح القدس) : إن الروح القدس هنا كما فى الأصحاح الثامن يأتى بالمؤمنين هنا والآن إلى صلاحهم الذى فى الميراث الذى سيكون لهم فى

المستقبل . وفى نظر بطرس فإن (ملكون الله) (تمييزاً له عن ملكوت المسيح الحالى الذى هو ميراث المستقبل لشعب الله) (قارن ١ كورنثوس ٦ : ٩ و١٠، ١٥ : ٥٠ ؛ غلاطية ٥ : ٢١ ، أفسس ٥ : ٥ ، ١ تسالونيكى ٢ : ١٢ ، ٢ تسالونيكى ١ : ٥) . وسيكون لهم هذا الميراث (فى الروح القدس) والتى يتمتعون به حالياً وينعمون ببركاته .

عدد ١٩ : (وما هو للبنيان بعضنا لبعض) : لبنيان بعضنا لبعض .. أى أن نبنى له شخصية مسيحية مستقرة . وهكذا (عندما ينهمك الجميع فى هذا النشاط) نبنى الحياة المشتركة .

عدد ٢٠ : (إنه شر لذلك الإنسان الذى يأكل بحيث يؤذى مشاعر الآخرين) : وفى الترجمة العربية (لكنه شر للإنسان الذى يأكل بعثرة) . وفى ترجمة أخرى (إنه لأمر ردىء للإنسان الذى بأكله يعثر آخر) . إن هذا أمر مختلف تماماً عما تعنيه عبارة (يسىء أو يؤذى أو يهين) .

عدد ٢١ : (أو يعثر أو يضعف) : هذه الكلمات لا وجود لها فى أفضل النسخ المحققة ، ومن المحتمل أن تكون حاشية هامشية على الفعل السابق (يصطدم) فى النص الأصلى .

عدد ٢٢ : (ألك إيمان ؟) : إن (إيمان) فى هذا المعنى هو الاقتناع الواعى والفاهم من جانب المؤمن أمام الله أنه إنما يفعل الصلاح ، وهو على الضد من الإحساس بالذنب .. أى إدانته لذاته ، فى الأمور التى سمح لنفسه أن يفعلها .

عدد ٢٣ : (أما الذى يرتاب فإن أكل يدان) : هذا مثال طيب للمعنى الأضعف الذى كان للفعل المترجم (يدين) وذلك بخلاف معناه الحالى .. الهلاك الروحى الأبدى الذى لا ينسخ ولا يلغى . وهو يعنى هنا أن الإنسان الذى يفعل شيئاً لا يرتاح إليه ضميره يدينه قلبه ، ويجعله يحس بعقدة الذنب ، أما ما يفعله الإنسان وهو يشعر بأن ما يعمله أمر مسموح به وصحيح فإنه يفعله بالإيمان . وهناك ما يعدو أنه رجع الصدى فى الحادثة الأبوكريفية المدرجة فى قانون بيزا للأسفار القانونية للكتاب المقدس ، والتى وردت بعد لوقا ٦ : ٤ والتى تخبرنا كيف أن ربنا رأى رجلاً يعمل فى السبت فقال له : « إذا ما كنت حقا تعرف ماذا أنت فاعله ، فطوبى لك ، أما إذا كنت لا تعرف ،

فأنت ملعون ومتعدٍّ على الناموس .

(وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية) : لأن عمله ليس صادراً عن إيمانه الراسخ .

وللتدليل على أن رسالة رومية الأصلية تنتهى عند هذا الحد .. انظر المقدمة .

(ج) المسيح مثالنا (١٥ : ١ ــ ٦)

يختتم بولس أقواله عن الحرية المسيحية والمحبة المسيحية بالحديث عن الاقتداء بالمسيح . هل هناك من يتفوق عليه فى تحرره من المحرمات والكبت ، وتفرده بلا لوم ولا دنس ولا خطية ؟ وهل هناك من يبزه فى احتمال ضعفات الآخرين ؟ .

إن من أيسر الأمور على الإنسان الذى يعتقد بصفاء ضميره ونقائه من جهة عمل ما .. أن يرفع أصابعه فى وجه نقاده ويقول : (إننى أرضى نفسى) . إن له كل الحق فى أن يفعل هذا الأمر ، إلا أن هذا ليس طريق المسيح ، بل طريقه أن يضع الآخرين فى المقام الأول من اعتباره ، وأن يعتنى بمصالحهم ، ويساعدهم بكل وسيلة متاحة (إن المسيح أيضاً لم يرض ذاته) . ولو فعل ذلك فلا يمكن تصور أى طريق مختلف كان يمكن أن تسير فيه خدمته وحياته ــ عما حدث فعلاً . ولكن الحقيقة أن المسيح لم تكن لاهتماماته أو مصالحه الشخصية المقام الأول فى مسار حياته على الأرض أو فى خدمته (قارن فيلبى ٢ : ٥ ــ ٧) . إن المسيح أولى اهتمامات الآخرين المكانة الأولى فى حياته على الأرض وطوال خدمته ، وربما يعنى بولس فى هذا المقام أن المسيح قد وضع إرادة الله فوق كل شىء وقبل كل شىء فى حياته وخدمته ، وهو ما يوصى به اقتباسه من المزمور ٦٩ : ٩ (وتعييرات معيريك وقعت على) .

وتجسد الكلمات التالية للاقتباس مبدأ يمكن أن نقتفى مساره على امتداد صفحات العهد الجديد ، حيثما استشهد بالعهد القديم أو اقتبس منه . إن دروس الصبر والاحتمال التى تغرسها كتابات العهد القديم فى قلوبنا ، والتشجيع الذى يحضنا به على الأمانة ، هى الدوافع القوية للإبقاء على الرجاء المسيحى .. ويقدمها بولس أيضاً لنا كدوافع لتقوية الوحدة الأخوية ، وهو يصلى أن يهبهم الله ــ الذى يعلم شعبه الاحتمال والصبر ، ويمدهم بالتشجيع من خلال

كتاباته .. وحدة الفكر حتى يمكنهم أن يمجدوا الله من خلال شهاداتهم المتحدة .

عدد ١ : (فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء) : قارن غلاطية ٦ : ١ و ٢ (إن انسبق إنسان فأُخذ فى ذلة ما فأصلحوا انتم الروحانيين مثل هذا .. احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح) .

عدد ٢ : (للخير لأجل البنيان) : أو (فكروا فى ما هو للخير ولبنيان الحياة المشتركة) (قارن رومية ١٤ : ١٩ ، فيلبى ٢ : ٣و٤) .

عدد ٣ : (تعييرات معيريك وقعت على) : اقتباس من المزمور ٦٩ : ٩ . إن هذا هو مزمور الآلام ، كما سبق أن رأينا (قارن الملاحظة على ١١ : ٩ و١٠ . وقد فسرته الكنيسة قديما على أنه نبوة عن آلام المسيح ، والمجازاة التى سوف تحل بمضطهديه ، حيث أن الخطاب فيه موجه إلى الله ، وهذه الكلمات تتضمن أن يسوع احتمل التعييرات والشتائم لأمانته مع الله . والتى كان فى إمكان يسوع أن يتجنبها فيما لو اختار الطريق الأسهل .

عدد ٤ : (لأن كل ما سبق فكتب كتب لأجل تعليمنا) : قارن العبارة المماثلة عن رئيس المبدأ فى ١ كورنثوس ١٠ : ٦ و١١ . إن الأسفار المقدسة (وهى هنا بالطبع أسفار العهد القديم) تقدم لنا دليلاً كافيا على أمانة الله ، وبصفة خاصة عندما نقرأها فى ضوء إتمام المسيح لها ، وعلى هذا فإن قراءها يتشجعون على وضع ثقتهم واتكالهم على الرب وأن ينتظروا فى صبر وأناة .

عدد ٥ : أن (تهتموا اهتماماً واحداً فيما بينكم بحسب المسيح يسوع) : انظر الملاحظة على ١٢ : ١٦

(٨) المسيح والأمم (١٥ : ٧ ــ ١٣)

يقول بولس لمسيحيي رومية فى رسالته إليهم لذلك اقتدوا بالمسيح الذى قبلنا بدون أى تمييز أو تفرقة ، لذلك اقبلوا بعضكم بعضاً على غرار ما فعله المسيح معنا . ويستمر بولس فى حديثه قائلاً إن هذا هو ما أعنيه : إن المسيح قد جاء لا لِيُخدم بل لَيخدم البشرية جمعاء ، اليهود أولا لكى يتم الوعود التى

قطعها الله مع أبائهم ، ثم للأمم حتى يكون فى استطاعتهم أن يمجدوا الله على رحمته لهم .. ولكن إذا كانت الكرازة بالإنجيل لليهود قد حققت وعود العهد القديم ، وكذلك أيضاً فعلت البشارة به للأمم وإيمانهم ، وهنا يستشهد بولس بسلسلة من شواهد العهد القديم ودلالاته على أن الأمم كانوا يحمدون إله إسرائيل ويمجدونه وأنهم بدورهم كانوا يضعون رجاءهم فى مسيّا إسرائيل .

إن كيفية وكمية البركات التى سوف يفيضها الله على الأمم إدماجهم مع المؤمنين من اليهود فى مجتمع شعب الله — قد يكون سرًّا مكتوماً منذ الأجيال القديمة حتى أصبح حقيقة واقعة بخدمة بولس (كولوسى ١ : ٢٥ — ٢٧ ، أفسس ٣ : ٢ — ٤) ، ويرى بولس أن حقيقة مباركة الله للأمم هى موضوع نبوات واضحة المعالم فى أزمنة العهد القديم . وهذا يعنى أنه يعتبر خدمته ذاتها هى الواسطة التى من خلالها يحقق الله وعوده للأمم .

ويختتم بولس هذا القسم من رسالته التى قدّم فيها أسلوب الحياة المسيحية ومناهجها ، بالصلاة إلى الله أن نزداد فى الفرح والسلام ، والإيمان والرجاء .

عدد ٧ : (لذلك اقبلوا بعضكم بعضاً) : وتجىء فى ترجمة أخرى (تقبلوا بسرور بعضكم بعضاً) . أى افسحوا مكاناً فى قلوبكم لرفاقكم المسيحيين ، وتقبلوهم بسرور ورحبوا بهم أيضاً فى بيوتكم . فلو اتبعوا مثل المسيح على النحو الذى أوضحه بولس فى رسالته ، فإن هذا الترحيب سيكون بلا تحفظ ، وسيتمجد الله بالحب والرأفة المتبادلة بين أفراد شعبه (بصفة خاصة وإن لم تكن قاطعة عملية الشركة بين المؤمنين اليهود والأمم بدون أى تحفظات (كما أن المسيح أيضاً قبلنا) . هناك دليل قوى من النص يؤيد استخدام ضمير المخاطب . (قبلكم) بدلاً من ضمير المتكلم (قبلنا) ، ويقول كالفن : (هذا هو السبب فى أنه من الصواب وجوب استمرار توحّدهم معا ، وأن لا يزدرى الواحد بالآخر ، لأن المسيح لم يحتقر أحداً منهم) .. أى لا اليهود ولا الأمم .

عدد ٨ : (يسوع المسيح) : جاءت فى بعض الترجمات (المسيح) فقط (كان خادم الختان) . وفى الترجمة العربية : (قد صار خادم الختان) ، أى (صار خادماً للشعب اليهودى) ، وبشهادته أثناء خدمته الأرضية (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) (متى ١٥ : ٢٤) .

ويمكننا هنا عقد مقارنة مع كلمات يسوع : (لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليُخدم بل ليَخدم) (مرقس ١٠ : ٤٥) .

وما جاء فى لوقا (٢٢ : ٢٧) : (ولكنى أنا بينكم كالذى يخدم) (من أجل صدق الله) .

إن هذا يعنى (للحفاظ على صدق الله بجعل وعوده للآباء صالحة للتنفيذ) .

عدد ٩ : (**لهذا السبب سأحمدك فى الأمم ، وأرتل لاسمك**) وهى فى الترجمة العربية : (من أجل ذلك سأحمدك فى الأمم وأرتل لاسمك) . وهو اقتباس من المزمور ١٨ : ٤٩ حيث اعتبر داود ـــ بعد نجاحه فى ضم الأمم غير الإسرائيلية إلى إمبراطوريته ـــ أنهم أصبحوا ينتمون إلى ميراث إله إسرائيل . وبالنسبة للتطبيق المسيحى لهذه الفكرة قارن اقتباس يعقوب من عاموس ٩ : ١١ و١٢ فى مجمع أورشليم (أعمال ١٥ : ١٦ و١٧) .

عدد ١٠ : (**تهللوا أيها الأمم مع شعبه**) : اقتباس من نشيد موسى ، التثنية ٣٢ : ٤٣ (قارن الاقتباسات السالفة من هذا النشيد فى ١٠ : ١٩ ، ١١ : ١١ ، ١٢ : ١٩) .

عدد ١١ : (**سبحوا الرب ياجميع الأمم وامدحوه ياجميع الشعوب**) : لاحظ أن الكلمة الأخيرة فى صيغة الجمع (الشعوب ، وهذا اقتباس من المزمور ١١٧ : ١ ، حيث أن العالم جميعه مدعو لتسبيح إله إسرائيل لمحبته وأمانته الثابتة .

عدد ١٢ : (**سيكون أصل يسى والقائم ليسود على الأمم عليه سيكون رجاء الأمم**) : اقتباس من إشعياء حيث نجد أنه (ينبت غصن من أصل يسى) (إشعياء ١١ : ١) أى المسيا الذى يأتى من نسل داود : (القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم) (إشعياء ١١ : ١٠) .

عدد ١٣ : (**وليملأكم إله الرجاء كلَّ سرور وسلام فى الإيمان**) : إن اسم (إله الرجاء) ربما توحى به كلمات إشعياء ١١ : ١٠ والسالف اقتباسها (قارن ١٤ : ١٧) حيث نجد أن السلام والسرور هى بركات ملكوت الله . ولأن الله هو إله الرجاء ـــ الإله الذى يهبنا الرجاء فى ذاته ، ففى مقدور

المؤمنين أن ينعموا بهذه البركات حالياً .

(لتزدادوا فى الرجاء بقوة الروح القدس) . ومرة أخرى ، فإن الروح القدس هو الذى يمكّن المؤمنين من أن يختبروا فى حياتهم الحاضرة بركات الحياة العتيدة . إن الهدف العظيم لرجائهم هو مجد الله (رومية ٥ : ٢) .

خاتمة الرسالة (١٥ : ١٤ ــ ١٦ : ٢٧)

الأصحاح الخامس عشر

(أ) رواية شخصية (١٥ : ١٤ ــ ٣٣)

يؤكد بولس لمسيحيي رومية أن التعليم الذى تتضمنه هذه الرسالة لم يدونه لتصوره أنهم غير قادرين على تعليم بعضهم البعض . فهو على وعى كامل بأهليتهم أخلاقياً وذهنياً ، وأن ما كتبه إنما هو على سبيل التذكير بما سبق لهم أن عرفوه أكثر من كونه درساً فى عناصر المسيحية ، وعلى الرغم من أنه ليس المؤسس لكنيستهم ، إلا أنه رسول الأمم ، وأنه من خلال هذه الأهلية قد كتبت هذه الرسالة إليهم ، وهو يرى أن خدمته الرسولية هى (خدمة كهنوتية) ، وأن المؤمنين من الأمم بواسطته هم بمثابة التقدمة المقبولة التى يقدمها لله .

ولقد أمضى بولس حتى الآن أكثر من عشرين عاما مارس خلالها خدمته الرسولية ، وعلى الرغم من أن مهمته لم تكتمل بعد ، فإنه عندما ينظر إلى الوراء إلى هذه السنوات ، لا يجد سبباً يجعله غير قانع بالعمل الذى أنجزه المسيح من خلاله . فلقد جال كارزاً ومبشراً بالإنجيل من أورشليم إلى تخوم الليريكون ، وذلك فى المدن الرئيسية على طول الطرق الرئيسية فى ولايات سورية ، وكيليكية ، وقبرس ، وغلاطية ، وآسيا ، ومكدونية ، وأخائية ، والتى تأسست فيها على يديه مجتمعات المؤمنين بالمسيح ، والذين هم بمثابة الشهادة الحية على النشاط الرسولى لبولس . ولقد كان هدفه خلال هذه الرحلات التبشيرية أن يكرز بالإنجيل فى الموضع الذى لم يسبق فيه التبشير ، لأنه لا يريد أن يبنى على أساس لغيره ، والآن وقد أتم عمله فى الشرق ، فإنه تطلع بنظره إلى الغرب ، واقترح أن ينقل التبشير بالإنجيل إلى أسبانيا ، ذلك أن رحلته إلى أسبانيا قد تتيح له الفرصة لتحقيق الأمل الذى طالما راوده وتمنى تحقيقه ، وهو أن يرى رومية ، متطلعاً إلى لقاء المسيحيين فى عاصمة الإمبراطورية ليتجدد نشاطه بشركتهم .

ومهما يكن الأمر ، فإن كان عليه أولاً أن يقوم بزيارة لكنيسة أورشليم التى نظم ــ منذ بضع سنوات ــ عملية جمع المساعدات من أجل فقراء

المسيحيين فيها ، من كنائس الأمم . وقد تمت الآن هذه العملية ولم يبق سوى تسليمها إليهم ، واقترح بولس أن يمضى فى صحبة المندوبين الذين عينتهم هذه الكنائس لحمل هذه العطايا إلى كنيسة أورشليم .

والآن وقد اختتم خدمته فى مناطق (بحر إيجه) ، فقد أصبح فى مقدوره أن يقوم برحلته إلى أسبانيا ، ويزور روما فى طريقه . ولقد سبق له أن أخبر مسيحيى روما برغبته المتلهفة لأن يكرز بالإنجيل فى مدينتهم ، وأن يرى بعض ثمار خدمته الرسولية هناك ، وهو الآن يتكلم عن ثقته بأن زيارته لهم ستكون مصحوبة ببركة عظيمة من جراء كرازته بالإنجيل . أما الآن فهو يطلب منهم أن يصلُّوا من أجله .

ولم يكن بولس واهماً عن المتاعب والضيقات التى سوف يصادفها فى أورشليم ، وكيف أنه فى حاجة ماسة إلى صلواتهم : لكى (أنقذ من غير المؤمنين فى اليهودية) . وهو أمر واضح من رواية أعمال الرسل ٢١ : ٢٧ — ٢٩ . ولقد ساورته الظنون وأوجس خيفة مما سوف يقابل به هو ورفاقه من الأمم فى كنيسة أورشليم ، والكيفية التى سيقبلون بها العطية التى يحملونها إليها من كنائس الأمم ، وعلى أى حال فلقد طلب من الإخوة المسيحيين فى روما أن يصلوا حتى تقبل عطيتهم . وهنا فإن رواية أعمال الرسل ٢١ : ١٧ — ١٩ تقدم لنا صورة واضحة عن هذا الموقف ، وخاصة لأننا الآن نتعامل مع قسم من السفر يتخلله ضمير المتكلم الجمع (نحن) . وهذا يعنى أن بولس ورفاقه قد قوبلوا مقابلة ودية حميمة من يعقوب ورفاقه من شيوخ الكنيسة .

ولكن من الواضح أيضاً وبدرجة متساوية ، أن يعقوب ورفاقه من شيوخ الكنيسة . كانوا قلقين من رد الفعل المتوقع من الأعضاء العاديين فى كنيستهم — وهم ألوف عديدة من المؤمنين الأقوياء والمتحمسين للناموس — والذين بلغتهم تقارير عن كرازة بولس وتعليمه فى بلاد الشتات . ولتلهفهم على تهدئة جمهور العامة ، اقترحوا على بولس نوعاً من العمل يتبين فيما بعد أنه ما أن قام به حتى أدى إلى القبض عليه ، واضطهاده ، ومحاكمته ، واستئناف بولس لدعواه إلى القيصر فى روما ، ثم مجيئه فى آخر الأمر إلى روما ، فى ظروف مختلفة تماماً عما توقعه عندما كتب هذه الرسالة .

عدد ١٥ : ولكن أيها الإخوة كتبت إليكم بجسارة على نحو ما كَمذكِّر لكم) :(قد كتبت إليكم لإنعاش ذاكرتكم ، كما كتبت بجسارة بعض الشيء فى بعض الأوقات) .

وفى الترجمة العربية : (ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم أيها الإخوة كمذكِّر لكم) .

وهنا يتحدث بولس إليهم بهذا الأسلوب بالنظر إلى أنه لم يكن هو مؤسس كنيسة روما .

عدد ١٦ : (حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم ، مباشراً الخدمة لإنجيل الله ليكون قربان الأمم مقبولاً) : أما الترجمة العربية (حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً) . هذه الجمل مملوءة بلغة العبادة . إن بولس هنا خادم دينى ، ذلك أن إعلانه ومناداته بالإنجيل ينظر إليها على أنها (خدمة كهنوتية) ، وأن المؤمنين من الأمم هم (القربان) المقدم إلى الله [قارن رومية ٨ : ٦] . إن كلمة Leitourgia اليونانية هى كلمة تستعمل دائماً فى العهد الجديد للدلالة على الخدمة الدينية ، وأحياناً الخدمة الكهنوتية ، كما وُصف بها المسيح فى العبرانيين ٨ : ٢ (خادماً للأقداس) و (السكن الحقيقى) (قارن رومية ١٥ : ٢٧) .

(مقدّساً بالروح القدس) بلا شك كان هناك البعض الذى يعتقد بأن المسيحيين من الأمم ليسوا أطهاراً وأنهم (نجسون) لأنهم لم يختتنوا . ولمثل هؤلاء المعترضين ، تأتى إجابة بولس بأن هؤلاء الذين آمنوا على يديه هم أطهار ، ذلك لأنهم قد تقدسوا بالروح القدس الذى سكن فيهم (قارن الآية ١٩ : بقوة روح الله) .

ولقد قال بولس فى موضع آخر : « نحن الختان (الحقيقى) الذين نعبد الله بالروح ، ونفتخر فى المسيح يسوع ، ولا نتكل على الجسد (فيلبى ٣ : ٣) . إن التهوديين الذين يفتخرون فى الجسد (بمعنى الامتيازات المرتبطة بالميلاد اليهودى والناموس) ، هم أقل تقديساً من الأمم الذين تعلموا أن يفتخروا فى المسيح فقط (قارن رومية ٨ : ٨) . وبالمثل يذكِّر بطرس (فى مجمع أورشليم) رفاقه من اليهود المؤمنين ، كيف أن الأمم حينما سمعوا الإنجيل ،

أعطاهم الله الروح القدس ، كما لنا أيضاً ، ولم يميز بيننا وبينهم بشيء إذ طهَّر بالإيمان قلوبهم (أعمال ١٥ : ٨ و٩) .

عدد ١٩ : (من أورشليم) : بدأ بولس حياته ككارز مسيحى فى دمشق والمنطقة المتاخمة لعرب (الأنباط) (أعمال ٩ : ١٩ ـــ ٢١ ، غلاطية ١ : ١٧) . أما خدمته الممتدة كرسول للأمم فكانت قاعدتها أنطاكية (أعمال ١١ : ٢٥ ـــ ٢٧ ، ١٣ : ١ ـــ ٣) . فلماذا يذكر بولس هنا أورشليم كنقطة بداية لخدمته ؟ربما كان يدور فى ذهنه فكر معين عن مناسبة خاصة ، مثل رؤياه التى وصفها بنفسه فى أعمال ٢٢ : ١٧ ـــ ٢١ والأقل احتمالاً ، مقابلة التعارف مع قادة أورشليم والتى يذكرها فى غلاطية ٢ : ١ ـــ ١٠ ، ولكن الأرجح أنه يذكر أورشليم كنقطة البداية وعاصمة الحركة المسيحية ككل (قارن لوقا ١٤ : ٤٧ ، أع ١ : ٤ و٨ ، ٨ : ١٤ ، ١١ : ٢٢ ، ١٥ : ٢) .

(وما حولها إلى الليريكون) . لم يرد ذكر لولاية الليريكون (وهى الولاية التى تتاخم الساحل الشرق لبحر الأدرياتيك فى أعمال الرسل ، ولا فى أية رسالة من الرسائل البولسية حتى هذا الوقت . ولكن هناك الفترة الواقعة ما بين نهاية خدمة بولس فى أفسس ، وابتداء قيامه برحلته الأخيرة إلى أورشليم ، وهى أكبر بمراحل من أن نستنتجها من قراءة عابرة لأعمال الرسل والتى اقتصر ذكرها على ست آيات (أعمال ٢٠ : ١ ـــ ٦) . وهناك ما يدعونا إلى الظن بأن بولس قد عبر إلى مكدونية فى صيف أو خريف عام ٥٥ للميلاد (قارن ٢ كورنثوس ٢ : ١٢ و١٣) ، وأمضى الخمسة عشر أو الثمانية عشر شهراً فى مكدونية وأخائية ، وقد يكون قد اجتاز خلال هذه الفترة مكدونية من الشرق إلى الغرب على امتداد طريق أغناطية ، إلى مقربة من الليريكون ، ومن الممكن جداً أن يكون قد عبره إلى داخل الليريكون حيث كرز بالإنجيل هناك ، ذلك أن مثل هذه الرحلة لا يمكن أن تكون متوافقة مع أى نقط أخرى فى خط رحلته .

(قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح) ، وحرفياً (قد أتممت « حققت » إنجيل المسيح) .

(لقد أتممت التبشير بإنجيل المسيح) . لقد حقق بولس ذلك بالتبشير به فى كل الولايات الرومانية فى نطاق الحدود المذكورة (وليس لكل شخص) ، وبذلك يكون قد قام بوكالته الرسولية كاملة فى ذلك الجزء من العالم الوثنى .

عدد ٢٠ : (**لئلا أبنى على أساس لآخر**) : إن عمله كما أوضحه فى (١ كورنثوس ٣ : ١٠) (كبنّاء حكيم) . قد وضعت أساساً ، وآخر يبنى عليه .

عدد ٢١ : (الذين لم يخبروا به سيبصرون ، الذين لم يسمعوا سيفهمون) ، اقتباس من إشعياء ٥٢ : ١٥ . وقد ترجم النص العبرانى لهذا الاقتباس فى ترجمة أخرى على النحو التالى : (لأجل ذلك الذين لم يُخبروا به سيبصرون ، وذلك الذى لم يسمعوا به سوف يفهمونه) . وهو يشير بذلك إلى الدهشة التى اعترت الأمم وملوكها عندما رأوا تمجيد العبد المتألم الذى سبق لهم أن ازدروا به وأهانوه واحتقروه . وأياً كان الأمر ، فإن الترجمة اليونانية هى الأقرب إلى عبارة بولس الحالية التى عبّر فيها عن سياسته الرائدة فى التبشير بالإنجيل .

ولقد سبق لنا أن رأينا دليلاً واضحاً على الكيفية التى صار فيها هذا القسم برمته من سفر إشعياء مصدراً للأدلة والبراهين للشهادة عن الإنجيل .

عدد ٢٤ : (**سآتى إليكم**) : هذه الجملة إضافة متأخرة ، قصد بها بلا شك التخفيف من الانقطاع المفاجىء للبنية اللغوية للنص الأصلى .

عدد ٢٥ : (**لأخدم القديسين**) : إن أعضاء كنيسة أورشليم هم (القديسون) بحكم مراكزهم أو أولوياتهم .. (قارن الآية ٣١ ، ١ كورنثوس ١٦ : ١ ، ٢ كورنثوس ٨ : ٤ ، ٩ : ١ و١٢) . ولكن الذين آمنوا على يد بولس من مسيحيى الأمم أصبح يُطلق عليهم رعية مع القديسين وأهل بيت الله (أفسس ٢ : ١٩) ، لذلك يشير إليهم أيضاً بصفة منتظمة على أنهم (قديسين) و (شعب الله المقدس) .

وهناك تفصيلات أخرى عن عملية الجمع نجدها فى مواضع أخرى من رسائل بولس ، ومنها بصفة خاصة ما جاء فى ١ كورنثوس ١٦ : ١ — ٤ ، ٢ كورنثوس ٨ و٩ . وهى عملية كان بولس يُعلق عليها أهمية كبيرة .

وكما يقول بولس لأهل روما ، إن هذا الجمع كان من أحد أغراضه إشعار المسيحيين من الأمم بمديونيتهم لكنيسة أورشليم . لقد أخذ الإنجيل فى الانتشار فى أول عهده من أورشليم ، ومنها انتقل إلى الولايات المتاخمة لليهودية (مثل سورية وعاصمتها أنطاكية على نهر العاصى) ، ثم إلى الأقاليم الأخرى النائية (مثل تلك التى نادى فيها بولس ببشارة الإنجيل فى السنوات العشرة السابقة) . وإنه عائد ضئيل ذلك الذى دعيت الكنائس الأممية لتقديمه كعطايا إرادية تطوعية اعترافاً بمديونيتهم ، للإسهام فى سد إعواز الكنيسة المسيحية الأم .

وهناك غرض آخر ارتآه بولس وهو تقوية أواصر الشركة والتى يجب أن تستمر قائمة وراسخة بين أورشليم وكنائس الأمم فقد كان يعى جيداً أن كثيرين من الإخوة الأكثر تشدداً وتزمتاً فى أورشليم ينظرون بارتياب وشك إلى إرساليته الخاصة للأمم ، فى حين ذهب البعض الآخر إلى أن من واجبهم أن يكسبوا ولاء هؤلاء الذين آمنوا على يديه ، وأن يضموهم إلى صفوفهم بدلاً من استمرارهم على الولاء لبولس ، حتى ينتقلوا بهم إلى منظور الإيمان المسيحى والحياة المسيحية ، على النهج الذى حققوه بين عامة المسيحيين فى أورشليم . والواقع أن حدوث مثل هذه الفجوة بين مسيحيى أورشليم وبين مسيحيى الأمم ، وحتى وإن لم يكن قد وصل إلى مرحلة خطيرة .. إلا أنه لا يخدم بأى حال من الأحوال قضية المسيح ، ولا شيء يمكن أن يتغلب على هذا الخطر الماثل فى الأفق إلا بلفتة سخية من المحبة الأخوية . إن مسألة الجمع من أجل أورشليم لم يكن بدعة من جانب بولس ، بل إنه مع برنابا قبل إحدى عشر سنة ونصف قدما يحملان عطية مماثلة من المسيحيين فى أنطاكية سورية إلى كنيسة أورشليم فى زمن المجاعة (أع ١١ : ٣٠ ، ١٢ : ٢٥) . وعندما اجتمع الاثنان فى هذه المناسبة مع أعمدة كنيسة أورشليم ، فإن هؤلاء اعترفوا بأن كلاً من برنابا وبولس قد دعيا للعمل التبشيرى للأمم ، وطُلب منهما أن يستمرا فى ذكرهما (للفقراء) (انظر الشرح على الآية ٢٦) . وكما يقول بولس ، عندما يذكر هذه الحادثة (وهذا عينه كنت اعتنيت أن أفعله) (غلاطية ٢ : ١٠) .

إن هذا يجعلنا نتساءل هل كانت وجهة نظر قادة كنيسة أورشليم فيـ

موضوع جمع الإعانات لسد احتياجات القديسين الفقراء فى أورشليم تتفق مع وجهة نظر بولس من حيث الشكل والمضمون . لقد كان ذلك بالنسبة لبولس لفتة تلقائية من المحبة الأخوية ، ورمزاً للاستجابة الشاكرة من جانب المؤمنين من الأمم ، لنعمة الله التى أفاضت عليهم بالخلاص . أما من وجهة نظر قادة أورشليم ، فربما كانت عملية الجمع هذه بمثابة الضريبة الواجبة على الكنائس الأممية الوليدة نحو الكنيسة الأم فى أورشليم ، على غرار ضريبة نصف الشاقل التى كان يدفعها اليهود سنوياً للهيكل من جميع أرجاء المسكونة وحيث يقيم اليهود ، من أجل الحفاظ على هيكل أورشليم وضمان استمرار الخدمات اللازمة للعبادة .

ومهما يكن الأمر ، فإن مسألة جمع الإعانات من وجهة نظر بولس ، تعنى كل ما قيل فيها وأكثر . إن الأمر لم يكن قاصراً على مجرد اعتراف المسيحيين من الأمم بدينهم الروحى لأورشليم ، كما أنها لم تكن مجرد رباط الشركة والمحبة الأخوية ، لقد كانت الأوج والذروة لخدمة بولس فى منطقة بحر (إيجه) ، وعملاً من أعمال العبادة والتكريس لله ، قبل أن يشق طريقه متجهاً إلى الغرب . لقد كانت حقاً المظهر الخارجى والمرئى لقربان الأمم ، والتى توجت خدمته الكهنوتية كرسول ليسوع المسيح .

وهذا هو السبب الذى جعله يعلق أهمية كبيرة على مرافقته الشخصية لمندوبى كنائس الأمم إلى أورشليم ، حيث يقدِّمون قربان الأمم مقدساً مقبولاً بالروح القدس إلى الله ، وربما فعلوا هذا الأمر من خلال عمل من أعمال العبادة فى ذات المكان الذى ظهر له فيه المسيح ليرسله إلى الأمم بعيداً (أعمال ٢٢ : ٢١) .

عدد ٢٦ : (لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا) : ربما يذكر بولس المسيحيين فى هاتين الولايتين ، ذلك لأنه كان هناك لعدة شهور مضت فى علاقة وثيقة معهم . ولكن لدينا شهادته فى ١ كورنثوس ١٦ : ١ على أنه قد نظم عملية جمع مماثلة فى كنائس غلاطية ، ووجود تيخيكس وتروفيمس هناك فى هذا الوقت (أعمال ٢٠ : ٤ ، قارن ٢١ : ٢٩) ، مما يدل على أن كنائس أفسس وغيرها من المدن كان لها نصيب فى هذه الخدمة .

(لفقراء القديسين الذين فى أورشليم) ، وحرفياً (الفقراء من

القديسين) . ويبدو أن مؤمنى أورشليم كان من عادتهم أن يشيروا إلى أنفسهم بأنهم (الفقراء) ـــ قارن غلاطية ٢ : ١٠ ـــ أن نذكر الفقراء ـــ والتسمية فى صيغتها العبرانية قد بقيت مستعملة بين هؤلاء اليهود المسيحيين الذين عُرفوا باسم الأبيونيين . وليس من الضرورى أن نفترض مع (ك . هول) ، أن بولس يستخدم هذا التعبير ليخفى حرجه من أن عملية الجمع كانت تهدف إلى معاونة كنيسة أورشليم فى مجموعها ولكن تكرار ذكره فى كلامه عن الجمع لأجل القديسين لا يوحى بأن بولس كان يحس حرجاً من هذا الموضوع .

عدد ٢٧ : (استحسنوا ذلك وإنهم لهم مديونون) : لقد كان الإسهام فى تقديم العطايا فى حقيقة الأمر اختيارياً وتطوعياً من جانب كنائس الأمم ، وفى الوقت نفسه كان اعترافاً ضمنياً منهم بمديونيتهم للكنيسة الأم فى أورشليم ، وهو دين أخلاق ، وليس ديناً قانونياً على أى حال من الأحوال . (يجب عليهم أن يخدموهم فى الجسديات أيضاً) . إن الرأى القائل بأن عملية الجمع لم تكن ببساطة صادرة عن مشاعر المحبة المسيحية ، ولكن بمثابة ضريبة للكنيسة الأم ، لها كل الحق فى أن تتوقع تقاضيها من كنائس الأمم . يمكن أن يمثل الموقف بالنسبة لكنيسة أورشليم ، ولكنه على أى حال لم يكن موقف بولس . وهذا واضح من التعبيرات اللغوية التى يتكلم بها للكنائس المساهمة فى عملية الجمع . إنها عمل من أعمال النعمة وليست فرضاً إجبارياً ملزماً لهم (قارن ٢ كورنثوس ٨ : ٦ ـــ ٩) . وقد تكون كذلك أيضاً ، وعن طريق هذا الرمز المادى لنعمة الله بين الأمم ، وسيلة يرجو من ورائها بصفة خاصة إثارة الغيرة فى أنسبائه من ترحيب كنائس الأمم بمد يد العون إلى الكنيسة التى فى اليهودية ، وهى تلك الغيرة التى تحدث عنها فى رومية ١١ : ١٤ . وقد أطلق على عملية الجمع فى ٢ كورنثوس ٩ : ١٢ كلمة (خدمة) leitourgia . ومن هذه الكلمة اليونانية اشتقت الكلمة الإنجليزية Liturgy نظام العبادة .

عدد ٢٨ : (وختمت لهم هذا الثمر) : أو (وسلمتهم العائدات مختومة بخاتمى) . وإن بولس ليستخدم هنا تعبيراً من لغة المعاملات التجارية الرسمية . وأياً كان الأمر ، فربما لا يكون خاتم بولس نفسه هو الذى يجب أن نفكر فيه ، ولكن ختم الروح ، وهذا يكون بمثابة التثبيت الحاسم لعمله بين الأمم (قارن الآية ١٦) .

عدد ٢٩ : (ملء بركة إنجيل المسيح) : أو (ملء بركة المسيح) .

عدد ٣٠ : (الآن أطلب إليكم أيها الإخوة) : أو (فأطلب إليكم أيها الإخوة) . ومن المحتمل أن نحذف (الإخوة) تمشيا مع مخطوطة «B» (وبمحبة الروح) ، أى المحبة التى يفيضها الروح القدس ويبقى عليها (قارن الآية ٥) .

عدد ٣٣ : (والآن إله السلام يكون معكم أجمعين . آمين) : إن اسم إله السلام يرد أيضاً فى ١٦ : ٢٠ (قارن ١ تسالونيكى ٥ : ٢٣) . وللتدليل على أن الرسالة الأصلية تنتهى عند هذه المباركة ..اقرأ المقدمة .

الأصحاح السادس عشر

(ب) تحيات إلى أصدقاء عديدين (١٦ : ١ — ١٦)

من الواضح أنه بمجرد أن انتهى بولس من رسالته ، أرسلها إلى الجهة المرسلة إليها على يد (فيبى) ، وهى سيدة مسيحية ، كانت ذاهبة فى رحلة إلى ذلك المكان ، وينتهز بولس الفرصة ليوصى الإخوة المسيحيين بها لكى يحسنوا استقبالها ويرجعوا بها ويقوموا لها بكل واجبات الضيافة . ولقد أتبع كلمة التوصية هذه بقائمة من التحيات الشخصية إلى الذين ذكرهم بالاسم . وهناك اتجاه واسع المدى إلى الاعتقاد فى أن هذا الأصحاح الأخير من الرسالة كان موجها إلى أفسس وليس إلى روما ، وذلك لأن فيبى كانت على صلة بأفسس . وأن الإخوة الذين يرسل بولس تحياته إليهم كانوا يعيشون فى أفسس .

ومن غير المحتمل أن يكون خطاباً منفصلاً لكنيسة أفسس قد ألحق بطريقة ما بخطاب موجه إلى روما . ويقول هانزليتزمان (إن خطاباً يشتمل بصورة تكاد تكون شاملة على تحيات من المعقول أن يصدر فى عصر بطاقات البريد المصوّرة ، ولكن بالنسبة لعصر سابق عنه فإن الأمر يبدو شيئاً شاذا للغاية) . ولكن هذا الاعتراض لا يوجه ضد الرأى القائل بأن بولس قد أرسل نسخة من هذه الرسالة إلى أصدقائه فى أفسس (كما قد فعل مع المجتمعات المسيحية الأخرى) . وألحق بها عدداً من تحياته الشخصية ، ولكن (الملكية تسعة أعشار القانون) : حيث أن هذا الأصحاح يجىء فى خاتمة خطاب كان القصد الواضح منه أنه مرسل إلى مسيحيى رومية ، فمن الطبيعى أن نقول إن هذا الأصحاح أيضاً مقصود توجيهه إليهم ، ما لم تكن هناك أسباب لها وزنها تثبت العكس . فما هى إلا الحجج الرئيسية لافتراض أن هذا الأصحاح كان القصد منه هو توجيهه إلى أفسس ؟

(١) يرسل بولس فى هذا الأصحاح تحياته الشخصية إلى ٢٦ فرداً ، وإلى أهل خمسة بيوت ، أو خمسة كنائس منزلية . هل من المعقول أن تكون له معرفة بهذا العدد الكبير من القوم فى مدينة لم يقم بزيارتها على الإطلاق ؟

ربما نفكر فى واحدة من المدن التى عرفها جيداً ، ولا تبدو كورنثوس فى الصورة ، ذلك لأن هذا الخطاب قد كتب فى كورنثوس ، ولكن أفسس (التى

أمضى فيها حديثاً عامين ونصف عام) تبرز هنا بوضوح ، وخاصة للسببين التاليين :

(أ) إن أول شخصين يرسل إليهما بولس بتحياته إليهما هنا هما أصدقاؤه بريسكلا وأكيلا . وقد سمعنا عنهما آخر مرة ، إما فى الأعمال ١٨ : ٢٦ ، أو فى مراسلات بولس (١ كورنثوس ١٦ : ١٩) حيث كانا يقيمان فى أفسس [١] ، حيث كان لهما كنيسة فى بيتهما ، كما هو الحال بالنسبة لهما هنا . وفى عدم وجود أية إشارة إلى ما يناقض هذا الأمر فإنه يمكننا الزعم بأنهما ما يزالان فى أفسس .

(ب) أما الشخص الثانى الذى تُوجه إليه التحية فهو (أبينتوس) باكورة آسيا (وليس أخائية) . ومن الطبيعى أن نبحث عن مثل هذا الشخص (الذى هو باكورة المؤمنين على يد بولس فى ولاية آسيا) ، فى أفسس وليس فى روما .

(٢) هناك محاجة أخرى تستند إلى التحذيرات والتوجيهات الواردة فى الآيات ١٧ ــ ٢٠ ، والتى سنعرض لها فى ما بعد .

والآن ما الذى يمكن أن نقوله تأييداً لكون هذا الأصحاح موجها إلى روما ، بالإضافة إلى الافتراض المبدئ بأنه مرسل إلى نفس القوم الذين أرسلت لهم بقية الرسالة ؟

الحجج هى :

(١) إن مثل هذه التحيات قد تكون أمراً استثنائيا فى رسالة مكتوبة إلى كنيسة معروفة جيداً لبولس . فإذا قصد توجيه هذا الأصحاح إلى أفسس ، فإنه يمكننا أن نتصور المناسبة التى قرأ فيها جهراً فى اجتماع للكنيسة . إن هؤلاء الحاضرين فى إمكانهم فى هذه الحالة أن يسمعوا تحيات بولس وهى تتلى على مسامعهم والموجهة إلى ستة وعشرين فرداً فقط من العدد المجتمع منهم فى الكنيسة.

ولكن من المؤكد أن بولس كان يعرف أكثر من ٢٦ فرداً من أعضاء الكنيسة الذين أمضى فى وسطهم مثل هذا الوقت الطويل . فما الذى يمكن أن يفكر فيه الآخرون ؟ من المؤكد أن كل فرد منهم سوف يسأل (لماذا لم

(١) قد يكون أنهما كانا فى أفسس أيضاً عندما كتب بولس رسالته الثانية إلى تيموثاوس (٢ تيمو ٤ : ١٩) . ولكن هذا الأمر غير مؤكد .

يذكرنى ؟) . ولكن فى رسالة مكتوبة إلى كنيسة غير معروف فيها شخصياً فإنه من الطبيعى أن يرسل بولس تحياته إلى أشخاص كان قد التقى بهم فى أماكن أخرى خلال رحلاته التبشيرية وخدمته الرسولية ، والذين يقيمون الآن فى رومية . فإذا ما ذكر هؤلاء الأشخاص بالاسم ، فإن بقية الأعضاء فى الكنيسة لا يحزنون لكونه قد حذف أسماءهم ، حيث أنهم لم يكونوا متوقعين أن يذكرهم . وفى رسالته إلى كولوسى ، وهى بدورها رسالة قد كتبت إلى كنيسة لم يقم بولس بزيارتها على الإطلاق ، فإنه بالمثل يُرسل تحيات قليلة إلى بعض الأشخاص — قلة منهم فحسب ، ذلك لأن كولوسى كانت بعيدة عن الطريق المألوف ، كما أنها لم تكن فى حقيقة أمرها مكاناً هاماً مثل روما . ولكن روما كانت عاصمة العالم ، وكل الطرق تؤدى إلى روما ، وليس هناك ما يدعو إلى الدهشة فى أن عدداً كبيراً من القوم الذين عرفهم بولس فى أماكن أخرى ، كانوا قد مضوا فى غضون ذلك إلى روما ، خاصة أن موت الإمبراطور كلوديوس فى اكتوبر سنة ٥٤ ميلادية كان يعنى بكل الاعتبارات العملية انتهاء العمل بمرسومه الذى سبق له أن أصدره من خمس سنوات ، والذى قضى بطرد اليهود من روما . فإذا كانت هناك عودة عامة لليهود فى ذلك الوقت فلابد أن المسيحيين الذين من أصل يهودى كانوا من ضمن العائدين . إن بريسكلا وأكيلا اللذين اضطرا إلى ترك روما بسبب مرسوم عام ٤٩ ميلادية (أعمال ١٨ : ٢) يحتمل أن يكونا قد رجعا إلى روما فى سنة ٥٤ ميلادية ، أو بعد ذلك بوقت قصير ، تاركين وكلاء للإشراف على الفروع التى لهم لصناعة الخيام فى كورنثوس وأفسس (وربما فعلا مثل هذا الأمر حين أسندوا إلى شخص أمين من مهنتهم رعاية فرعهم فى روما عند خروجهم منها . إن أصحاب المتاجر من أمثال بريسكلا وأكيلا كانوا يحيون حياة تنقل نشطة فى تلك الأيام ، وليس هناك أى شيء غير محتمل أو غير طبيعى بالنسبة لتحركاتهم من مكان إلى آخر بهذا الأسلوب بين روما وكورنثوس وأفسس[1] .

(٢) هناك عدد من أسماء الأشخاص فى الآيات ٧ — ١٥ أمكن التثبيت

---

(١) لا يمكن الاعتماد على الحجة القائلة إن روما كانت المكان الذى قضى فيه بريسكلا وأكيلا أيامهما الأخيرة ، هذا القول الذى يؤسس أحيانا على (مقبرة بريسكلا) وهى مكان قديم لدفن المسيحيين فى روما يقع على طريق (سلاريا) .. ومن المفروض أن اسم المكان على اسم السيدة =

جيدا من وجودهم فى روما وليس فى أفسس . وهذا راجع إلى حد كبير إلى العدد الضخم من النقوش التى توافرت لنا من روما أكثر مما توافر لنا من أفسس ، وهى على أى حال ، وفى معظم الأحوال ، الأسماء ، وليست الأشخاص التى تأكدنا منها ، وقد أعطينا تفصيلات عن هذا الأمر فى الملاحظات التى ستجىء فى ما بعد . ويمكن للقارىء أن يقرر بنفسه قيمة الدليل الذى نذكره . وربما تكون أقوى حالة يمكن أن نتثبت منها من هم أهل بيت ناركيسوس فى الآية ١١ ، حيث نعرف أسرة كانت بهذا الاسم مقيمة فى روما فى هذا الوقت بعينه . وكان اسم « روفوس » (الآية ١٣) ، أكثر الأسماء انتشاراً فى روما أكثر منه فى أفسس ، ولكن إذا كان هو (روفوس) المذكور فى مرقس ١٥ : ٢١ ، فيحتمل أنه لم يأخذ اسمه هذا فى روما . ومع ذلك فإن روفوس المذكور فى مرقس ١٥ : ٢١ كان مشهوراً جداً فى كنيسة روما ، ولكننا لا نستطيع الجزم بأنه لم يكن هناك (روفوس) آخر فى كنيسة أفسس ، وفى نفس الوقت لا نعلم أنه كان هناك شخص بهذا الاسم هناك . وإجمالا ، فإن دراسة هذه الأسماء ترجح ميزان الاحتمالات فى صالح روما .

(٣) كنائس المسيح التى أرسلت تحياتها إلى القراء فى الآية ١٦ هى بالطبع كنائس الأمم الذين يشارك مندوبوها بولس فى حمل عطايا كنائسهم إلى كنيسة أورشليم . فلقد كان فكرا مناسباً أن ترسل هذه الكنائس تحياتها إلى روما . ويمكن أن يقال فى المقابل إنه يكون فكراً صالحاً أن ترسل هذه الكنائس تحياتها إلى (أفسس) . ولكن حيث أن أفسس كانت إحدى الكنائس الممثلة بواسطة مندوبها « تروفيمس » ، ومن الممكن أن يكون تيخيكس مندوبها أيضاً (أعمال ٢٠ : ٤) ، ومن ثم يستقيم الأمر أن يرسلوا بتحياتهم إلى أفسس .

= صاحبة الأرض ، ولكن ليس هناك أى دليل يحدد شخصيتها بما يتفق مع (بريسكلا العهد الجديد) وكل ما يمكن أن نقوله إن السيدتين يحتمل أن تكونا منتميتان لأسرة واحدة .. وهذه المقبرة تحتوى على سرداب يتصل بالأسرة الرومانية النبيلة التى يحمل أفرادها اسم (أكيلوس جلابريو) .. وليس هناك سبب معقول للربط بين (أكيُّوس) و (أكيلا) . وأكيلا التى نعنيها هى يهودية من بنطس بالمولد ، وبالتأكيد لم تكن من طبقة نبلاء روما .. وقد كان أحد أفراد عائلة (أكيلوس) ضمن الذين نفذ فيهم حكم الإعدام بواسطة الإمبراطور دومتيان عام ٩٥ م بتهمة (الربط بين الإلحاد وإدمان الطرق اليهودية) ؟؟ وهى التى كثيراً ما عرفت أنها تشير إلى المسيحية .

عدد ١ : (أختنا فيبى .. خادمة الكنيسة التى فى كنخزيا) ، ومن الواضح أنها كانت على وشك القيام برحلة إلى الموضع الذى كان بولس يقصد أن يرسل بتحياته إليه . ومن الممكن أن يكون قد عهد إليها بهذه الرسالة التى تضمنت هذه التحيات . كانت كنخريا أحد الميناءين البحريين لمدينة كورنثوس ، وهى تقع على الخليج السارونى (قارن أعمال ١٨ : ١٨) . وربما كانت كنيستها هى الكنيسة الوليدة ، كنيسة مدينة كورنثوس .

إن كلمة (خادمة) هى الكلمة اليونانية Diakonos ، أى (فرد مسيحى يشغل وظيفة فى أبرشية كنخريا) .

إن واجبات الخادم (الشماس) يمكن للرجل أو المرأة أن يمارسها (تمارسها) كما توحى بذلك (١ تيموثاوس ٣ : ١١) حيث أنه من الأنسب ترجمة (نساء) إلى (شماسات من النساء) .

عدد ٢ : (اقبلوها فى الرب) كأحد أعضاء الشركة المسيحية . إن المسيحيين الذين كانوا يسافرون فى أيام الكنيسة الأولى كانوا واثقين على الدوام من استضافة شركائهم فى المسيحية فى أى موضع توجد به كنيسة . (قارن ١٥ : ٧) (صارت مساعدة لكثيرين ، ولى أنا أيضاً) . ما هى نوع المساعدة التى قدمتها فيبى لبولس ؟ من المحتمل أن فيبى كانت فى كنخريا ، كما كانت ليدية فى فيلبى .

عدد ٣ : (**سلموا على بريسكلا وأكيلا**) : تقرأ (بريسكا) بديلاً عن (بريسكلا) كما كان بولس يدعوها (قارن ١ كورنثوس ١٦ : ١٩ ، ٢ تيموثاوس ٤ : ١٩) ، فى حين يدعوها لوقا بالصيغة المألوفة لاسمها (بريسكلا) (قارن أعمال ١٨ : ٢و١٨و٢٦) . ويقول (و .م . رمزى) : يستخدم لوقا بصورة منتظمة لغة المحادثة ، والتى فيها الصيغ التصغيرية للأسماء ، وهى الصيغ المألوفة ، وعلى هذا فإنه يتحدث عن بريسكلا ، وسوباتريس ، وسيلا دائما ، فى حين أن بولس يتحدث عن بريسكا وسوباتريس وسلوانس ، وبصفة عامة ، فإن كلا من لوقا وبولس يضعان اسم بريسكا (بريسكلا) بصفة عامة قبل أكيلا زوجها . وربما كان ذلك بسبب كونها الشخصية الأكثر تأثيراً بين الاثنين ، على الرغم من أن البعض يذكر أن هذا مرجعه أن طبقتها الاجتماعية كانت أعلى مرتبة من زوجها ،

وربما كانت تنتمى (من حيث المولد) إلى عائلة نبيلة رومانية ، بينما هى يهودية من بنطس فى شمال آسيا الصغرى .

عدد ٤ : (الذين وضعا عنقيهما من أجل حياتى) : أى « خاطرا بحياتهما » ، وربما يكون هذا الأمر قد حدث خلال إحدى المراحل العصيبة من خدمة بولس فى أفسس (وهذا على سبيل التخمين) .

عدد ٥ : (باكورة أخائية للمسيح) : وتقرأ « آسيا » بدلا من « أخائية » . وهى القراءة الأكثر تحقيقا . ولقد تأثر (النص المعترف بصحته) هنا بما جاء فى ١ كورنثوس ١٦ : ١٥ ، حيث نجد أن بيت استفانوس ، العائلة الكورنثية ، هو باكورة أخائية .

عدد ٦ : (سلموا على مريم التى تعبت لأجلنا كثيراً) : إن القراءة الأكثر تحقيقا هى : التى تعبت لأجلكم كثيراً .

كان السبب فى هذا الفكر هو الاعتقاد أنها تشير إلى كنيسة افسس باعتبارها الكنيسة التى يتوجه إليها بولس بتحياته فى هذا الأصحاح . إن بولس كان لابد يعلم من هو الذى قدّم تلك الخدمات المتميزة فى تلك الكنيسة ، ولكن أنّى له أن يعرف من الذى تعب كثيراً من أجل المسيحيين فى العاصمة ؟ من المؤكد أنه قد توافرت له بعض مصادر المعلومات عن كنيسة روما (قارن ١ : ٨و٩) ، فلو كانت خدمات مريم لتلك الكنيسة ترجع إلى أيامها الأولى ، فلابد أن بريسكلا وأكيلا كانا يعرفانها ، ولكن كل ما نستطيع أن نفعله هو أن نخمن ، ذلك أنه ليس لدينا سوى هذه الإشارة عن مريم (وهى واحدة من ست يحملن هذا الاسم فى العهد الجديد) .

عدد ٧ : (أندرونيكوس ويونياس) : من الصعب علينا أن نقرر فيما إذا كان الاسم الثانى مؤنثا (يونيا) أو مذكرا (يونياس) . ونحن لا نعرف شيئا عن هذين الاسمين سوى ما جاء عنهما من إشارة بولس إليهما فى هذا الأصحاح ، ولكن هذه الإشارة تجعلنا نرغب فى أن نعرف عنهما شيئا أكثر من ذلك . ومن الواضح أنهما من اليهود المسيحيين (ولا يقصد من القول « أنسبائى » أكثر من هذا) . وقد شاركاه فى واحدة من المرات الكثيرة التى سجن فيها (٢ كورنثوس ١١ : ٢٣) ، ولسنا نعرف أين كان ذلك . ولكن بالتأكيد ليس فى فيلبى ، ومن الممكن جداً أن يكون فى أفسس . وعلاوة على

ذلك فلقد كانا مشهورين بين الرسل . ومن المحتمل أن بولس يعنى بهذه العبارة أنهما لم يكونا فحسب معروفان للرسل جيداً ، بل إنهما كانا مشهورين كرسل (وهذا بالمعنى المتسع للكلمة) ، وأنهما كانا من الشخصيات البارزة الهامة ، فضلاً عن سبقهما لبولس فى اعتناقهما للمسيحية . وفى هذه الحالة ربما كانا من ضمن اليونانيين فى أعمال ٦ : ١ (وذلك لأن أسماءهما توحى بأنهما من الهيلبينيين أكثر من كونهما من العبرانيين) . وربما يكون السبب فى إضفاء لقب الرسولية عليهما كان على أساس أنهما رأيا المسيح المقام من بين الأموات

عدد ٨ : (**أمبلياس**) : صيغة مختصرة من أمبلياتس ، وهى فى الواقع أفضل قراءة محققة ، والاسم شائع الاستعمال فى النقوش الرومانية التى ترجع بتاريخها إلى هذه الفترة ، وقد وُجد بصورة متكررة حيث حمله أعضاء من البيت الإمبراطورى ، كما أن فرعا من سلسلة نسب أوريليا كان يحمل اسم الأسرة هذا . وقد دفن أفراد مسيحيون من فرع هذه الأسرة فى أحد المدافن المسيحية القديمة فى روما ، وهى مقبرة دوميتيلا ، والتى ترجع بدايتها إلى نهاية القرن الأول الميلادى (انظر الملاحظة على الآية ١٥) . وكان أحد المدافن فى هذه المقبرة مزيناً بصور زيتية من أسلوب فنى قديم ، وتحمل نقش أمبليطة AMPLIT بنوع من الحروف اللاتينية القديمة يرجع بتاريخه إلى القرن الأول ، أو أوائل القرن الثانى للميلاد .

عدد ٩ : (**أوريانوس**) : ينتمى إلى (المدينة) أى (روما) ، وهو اسم كان شائعاً فى روما .

(استاخيس) ، هذا الاسم يعنى سنبلة (من الحبوب) ، وهو اسم غير شائع الاستعمال فى روما ، وقد ذكر هذا الاسم مرة أو مرتين مرتبطاً بالبيت الإمبراطورى .

عدد ١٠ : أبليس ، وهو اسم شائع بدرجة كبيرة بين يهود روما ، وقد استعمله الشاعر هوراس كاسم يهودى نموذجى . ومن المشهورين الذين حملوا هذا الاسم (أبلس) الممثل التراجيدى من اشقلون .

والذى أظهر له الإمبراطور (غايس) بعض آيات المحبة فى وقت ما . ولقد وُجد هذا الاسم فى النقوش الرومانية مرتبطاً بالاسم الإمبراطورى أو غير مرتبط .

(الذين هم أهل أرستوبولوس) . ونحن لا نستطيع أن نجزم من يكون أرستوبولوس هذا . ويقترح (لايتفوت) أنه يمكن أن يكون هناك تماثل بينه وبين أخ لهيرودس أغريباس الأول . كان يعيش فى روما كمواطن خاص ليس له منصب أو عمل معين ، وهو مثل أخيه كان يحظى بصداقة الإمبراطور كلوديوس . وإذا كان قد أوصى بممتلكاته للإمبراطور ، فإن عبيده والمحرَّرين منهم لابد أنهم كانوا متميزين عن غيرهم من أهل البيت الإمبراطورى باعتبارهم (أريستوبولويين) ، المرادف اللاتينى الذى يعنى (يخص بولس) .

وفى ضوء هذا التمييز لشخصية اريستوتولوبوس كأحد أعضاء أسرة هيرودس أيكون هذا من قبيل التزامن أن يكون الاسم الثانى فى قائمة بولس هو (هيروديون) .

عدد ١١ : (هيروديون) : ربما يكون أحد أفراد العائلة الأريستوبولانية المعروفين لبولس (نسيبى) (قارن الآية ٧) . وهذا يعنى ببساطة إفرازه على أنه يهودى المولد . (أهل بيت ناركيسوس) . وقد جعل كالفن وآخرون تماثلاً بين ناركيسوس هذا مع طيبريوس كلوديوس ناركيسوس ، المعتوق الغنى للإمبراطور طيبريوس ، والذى كان له نفوذ كبير فى عهد كلوديوس ، ولكنه أعدم بأمر من (أجريبنيا) أم الإمبراطور نيرون ، بعد اعتلاء نيرون للعرش مباشرة فى سنة ٥٤ للميلاد ، وصودرت ممتلكاته . ومن هنا فلابد أن عبيده صاروا ملكية إمبراطورية ، وبذلك أصبحوا متميزين عن غيرهم من الجماعات التى فى البيت الإمبراطورى باسم (ناركيسيين) .

فإذا ما سلمنا بصحة تحديد هويتهم هذه ، فإن تحية بولس تكون موجهة إلى هؤلاء المسيحيين من أهل بيت ناركيسوس . ولكن كيف يتسنى لبولس أن يعرف مثل هؤلاء ، أو يعرف شيئاً عنهم ، هذا أمر لا يمكننا أن نجزم برأى فى شأنه .

عدد ١٢ : (تريفينا وتريفوسا) : من المحتمل أنهما قريبتان أو أختان ، ومن الممكن جداً أن تكونا توأمتين ، وأعطيتا اسمين مشتقين من أصل واحد .

ومن بين الاسمين يتكرر اسم (تريفوسا) بصورة أكثر من (تريفينا) . وإن كان كلا الاسمين موجودين فى النقوش الرومانية الخاصة بالبيت الإمبراطورى أو غيره . وأيا كان الأمر ، فإن للاسمين ارتباط بأصل (أنا

ضولى) . تريفينا (أو تريفاينا) : هذا الاسم يظهر فى الكتابات الزائفة التى ترجع إلى القرن الثانى الميلادى فى سفر (أعمال الرسل) ، كاسم للملكة التى أظهرت تعاطفاً على تكلا فى أنطاكية بيسيدية (وهذه الملكة كانت شخصية تاريخية ، وهى حفيدة أخ أو أخت الإمبراطور كلوديوس) .

(برسيس) : يعنى الاسم (امرأة فارسية) ، وهو يظهر فى النقوش اليونانية واللاتينية فى روما ، وفى أماكن أخرى كأَمَة أو معتوقة . ولكن لا صلة لها بأهل البيت الإمبراطورى .

عدد ١٣ : (روفس) : يعنى هذا الاسم (أحمر) أو (أحمر الشعر) (وهى كلمة من أصل إيطالى أكثر من كونها من أصل لاتينى) ، وكان اسماً منتشراً فى روما وإيطاليا ، بحيث أن دراسته تُعد أمراً قليل الأهمية ، لولا عاملين اثنين : أولهما ذكر اسم روفس فى مرقس ١٥ : ٢١ كواحد من ابنى سمعان القيروانى ، والثانى الإشارة المثيرة للاهتمام إلى (أم روفس) هذا على أنها أم بولس أيضاً (أمه أمى) . إن مرقس فى كتابته لإنجيله كان فى المقام الأول (بحسب تقليد القرن الثانى الميلادى) لأجل المسيحيين فى روما ، يحدد شخصية سمعان القيروانى لقرائه ، بعد ثلاثين سنة من الحدث الذى يظهر فيه سمعان بقوله : (ستعرفون أى سمعان أعنيه إذا قلت لكم إنه كان أب اسكندر وروفس) .

إذا كان هناك روفس مشهور فى روما حوالى سنة ٦٠ ميلادية ، وهناك ما يدفعنا إلى أن نحدد شخصيته على أنه الرجل الذى يصفه بولس بأنه (المختار فى الرب) ، أو (التابع البارز للرب) . والكلمة اليونانية (المختار) .. من الطبيعى أن تحمل معنى الاختيار . إذن فهى تحمل أيضاً معنى (بارز) .

ولكن إذا كان روفس هذا هو ابن سمعان القيروانى ، فمتى برهنت أمه على أنها بمثابة أم لبولس ؟ لسنا متأكدين من هذا الأمر ، ولكن قد نجازف ونخمن أن هذا الأمر حدث فى الوقت الذى ذهب فيه برنابا إلى طرسوس يطلب بولس ليصبح رفيقه فى الخدمة فى أنطاكية سورية (أعمال ١١ : ٢٥ و٢٦) .

كما أن (سمعان Simeon الملقب ينجر) (الأسود البشرة) كان هو الآخر أحد المعلمين فى كنيسة أنطاكية أيضاً (أعمال ١٣ : ١) . وقد شُخِّص على أنه (سمعان القيروانى) . ولو كان بولس مقيماً معه لكنا نستطيع أن نتصور

أن امرأة سمعان كانت تقوم بدور الأم للضيف المحروم ، لكن (أيمكن أن أبا أسود البشرة ينجب ابنا أحمر الشعر ؟ إن هذا ليس بالأمر المستحيل) .

عدد ١٤ : (هرماس) : هو اختصار لبعض الأسماء مثل (هوماجوراس) أو (هرموجينس) أو (هرمودورس) ، وهو أيضا اسم شائع . وبعد مضى جيلين حمل هذا الاسم كلمة (عبد) .. كتب كتاب (الراعى) .

(**بتروباس**) : اختصار للاسم (بتروبيوس) . كان يحمل هذا الاسم أحد سراة المعتوقين للإمبراطور .. نيرون ، ويقترح (لايتفوت) بتروباس هذا الذى يذكره بولس يمكن أن يكون من أتباع ذلك المعتوق الغنى القوى النفوذ) .

عدد ١٥ : (فيلولوغس وجوليا) : ربما كانا رجلا وامرأته (والأقل احتمالا أخ وأخته) . ويوحى الاسم جوليابوجود صلة مع البيت الإمبراطورى . كما يظهر اسم (فيلولوغس) أكثر من مرة مرتبطا بالبيت الإمبراطورى .

(**نيريوس**) : يربط التقليد الكنسى الرومانى الذى يرجع بتاريخه إلى القرن الرابع الميلادى بين (نيريوس) (ورفيق له يُدعى أخيليوس) وبين (فلافيا دوميتيلا) ، وهى سيدة مسيحية من البيت الإمبراطورى ، وقد نفيت إلى جزيرة باندا تيريا على مبعدة من شاطىء كامبانيا . وقد نفاها إليها عمها الإمبراطور دوميتيان فى سنة ٩٥ ميلادية ، ثم أُطلق سراحها بعد موته فى السنة التالية ، وقد خُلدٌ اسمها فى مقبرة دوميتيلا (انظر الملاحظة على الآية ٨) .

(**أولمباس**) : مختصر من الاسم أوليميودورس .

عدد ١٦ : (سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة) : (قارن ١ كورنثوس ١٦ : ٢٠ ، ٢ كورنثوس ١٣ : ١٢ ، تسالونيكى ٥ : ٢٦ ، ١ بطرس ٥ : ١٤) . تلعب قبلة السلام دوراً هاماً إلى يومنا هذا فى طقس الكنيسة الشرقية الدينى . وقد ذُكرت أدلة لأول مرة كسمة منتظمة فى العبادة المسيحية بواسطة جستين مارتر (عندما ننتهى من صلواتنا ، يحيى بعضنا بعضاً بقبلة) .

ومن الواضح إغفال ذكر اسم بطرس ، فى قائمة الأسماء التى أرسل بولس

تحياته إليهم . وإذا أخذنا بالرأى القائل إن هذه التحيات موجهة إلى روما ، فإن عدم ذكر اسم بطرس يوحى بأنه لم يكن موجوداً فى روما فى ذلك الوقت .

(كنائس المسيح تسلم عليكم) : وتُقرأ جميع كنائس المسيح ..

ولقد قيل إن هذه الجملة دليل قوى على أن هذه التحيات موجهة إلى روما .

فلماذا يرسل بولس بتحياته من جميع الكنائس إلى كنيسة أخرى .. كان يكتب إليها رسالة عادية ؟ ولكن فى زمن ختام مرحلة هامة جداً من خدمته ، فإن الأمر كان يقتضى حتماً أن يرسل بتحياته من جميع الكنائس التى على صلة بتلك المرحلة إلى كنيسة لا تحتل فحسب موقعاً فريداً فى العالم (وهو الوضع الذى كانت عليه كنيسة روما آنذاك) . ولكن أيضاً بسبب أنها كانت فى تفكير بولس وقصده سوف تقوم بدور هام فى استهلال مرحلة جديدة من خدمته .

(جـ) عظة ختامية (رومية ١٦ : ١٧ ــ ٢٠)

إن هذه الفقرة التذكيرية تختلف عن بقية الرسالة فى المادة أو الأسلوب على حد سواء . ويبدو أن بولس قد تخلى هنا عن سياسته فى عدم مخاطبته لكنيسة روما من منطلق سلطانه الرسولى الذى استخدمه عندما كان يكتب لكنائس كان قد قام هو نفسه بتأسيسها ، كما أن الشقاقات التى يُشير إليها فى هذه الفقرة لا علاقة لها بأى شيء فى حياة كنيسة روما مما يمكن التوصل إليه فى أماكن أخرى من الرسالة ، وفى باقى الرسالة ليست هناك سوى إمكانة وحيدة لحدوث مثل هذا التوتر وهى التلميح بما يمكن أن ينشأ لو أن أعضاء الكنيسة من المسيحيين الذين من أصل وثنى تعالوا على إخوتهم المسيحيين الذين من أصل يهودى (١١ : ١٣ ــ ١٥) . ومن ناحية أخرى فإن التذكرة فى هذه الفقرة فيها نقاط ذات صلة بكلمات موعظته التى تحدث بها إلى قسوس كنيسة أفسس (أعمال ٢٠ : ٢٨ ــ ٣٠) .

ويمكننا أن نقارن الشقاقات والتعليم الكاذب فى أفسس المذكورة فى رسالتى بولس إلى تيموثاوس [ناهيك عن البدعة ، والتى (بحسب الرسالة إلى

كولوسى) قد وجدت طريقها للدخول بين صفوف المسيحيين فى إقليم آخر من ولاية آسيا] . هذه الأمور ، بالإضافة إلى المجادلات التى دارت حول التحيات السالفة ، تتجه بالفكر إلى أن هذه الفقرة مثل الأصحاح بجملته موجهة إلى أفسس .

وعلى صعيد آخر فإنه ليس هناك ما يدعو إلى العجب فى أن بولس بعد أن تمالك نفسه طويلا فى مخاطبة الكنيسة التى لم يؤسسها ، يتفجر أخيراً فى لهجة تحذيرية قاطعة منذراً أولئك الذين يثيرون المتاعب ، من طائفة معينة مألوفة لديه جداً فى كنائسه التى أسسها ، ومن وصفه لهم ، يتضح أنهم كانوا على شاكلة « فاعلى الإثم » الذين شجب أعمالهم فى فيلبى ٣ : ١٨و١٩ . إن تعليمهم ولا شك كان تعليما يتناقض مع القوانين والمبادىء المسيحية ، ومن الممكن أن يكون متسربلاً بمبادىء غنوسية ، وهو يتناقض مع التعليم الذى تسلّمه المسيحيون فى روما من المعلمين والقادة السابقين ، والذى تسلموه من بولس أيضاً . وكان يمكن أن تؤدى بدورها إلى بذر بذور الشقاق والنزاع ، وفى أى مكان تتسرب إليه . ولقد سبق لبولس أن أكد فى موضع متقدم من هذه الرسالة على المتطلبات الأخلاقية للإنجيل ، وبأسلوب لغوى يمكن لنا أن نوجهه ضد أمثال أولئك المعلمين الكذبة (قارن رومية ٣ : ٨ ، ٤ : ١ — ٣ ؛ ٨ : ٥ — ٨ ، ١٢ : ١ — ٣) . ولو كان بولس يعتقد أن كنيسة روما يمكن أن تعير مثل هؤلاء المعلمين الكذبة أذناً صاغية ، كما حدث من كنائسه ، فإنه كان ولابد يجد نفسه مدفوعاً (من إحساسه بالواحب) أن يوجه تحذيراً صريحا ضدهم . إن شهرة كنيسة روما بأمانتها للإنجيل ، كان يكفيها أن نوجه إليها تحذيراً موجزاً ضد أولئك الذين يبذرون بذور الشقاق والنزاع .

إن الشقاق عمل من أعمال الشيطان ولكن لو أن الرومانيين نأوا بأنفسهم عن صانعى المتاعب والشقاقات ، ولم يلتفتوا إلى تعاليمهم ، فإن الله وهو (إله سلام ، وليس إله تشويش) (قارن ١ كورنثوس ١٤ : ٣٣) سيسحق الشيطان تحت أرجلهم ويعطيهم النصرة والغلبة على أعماله .

عدد ١٨ : (ربنا يسوع المسيح) : ونقرأ (ربنا المسيح) أو (المسيح ربنا) .

(مثل هؤلاء .. يخدمون بطونهم) (قارن فيلبى ٣ : ١٩) حيث يحذر بولس مسيحيى فيلبى ضد أناس « إلههم بطنهم » . وفى الحالتين فإن الإشارة إلى هؤلاء المناقضين الذين جعلوا من الإنجيل تكئة يتكون عليها فى انغماسهم فى شهواتهم (قارن ٦ : ١) .

عدد ١٩ : (وأريد أن تكونوا حكماء للخير وبسطاء للشر) : (قارن متى ١٠ : ١٦ ب) . كونوا حكماء كالحيات ، وبسطاء كالحمام (وفى اليونانية تستخدم نفس الصفة « غير مؤذٍ » (فى الموضعين) . وهناك نصيحة أخرى لبولس تحذيرية للمؤمنين « كونوا أولاداً فى الشر ، أما فى الأذهان فكونوا كاملين » (١ كورنثوس ١٤ : ٢٠) أو « كونوا أولاداً فى الشر ، رجالاً فى الفهم) .

عدد ٢٠ : (إله السلام) : هذا الاسم تكرر من الصلاة الختامية فى ١٥ : ٣٣ (قارن أيضاً : الصلاة فى العبرانيين ١٣ : ٢٠) . وهى هنا ملائمة ، حيث أن الشيطان هو مصدر الشقاق .

(سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً) . هذه العبارة صدى لما جاء فى التكوين ٣ : ١٥ حيث يعلن الله أن نسل المرأة سيسحق رأس الحية . وسيكون لشعب المسيح نصيب فى هذه النصرة .

(نعمة ربنا يسوع المسيح تكون معكم) : ونقرأ (ربنا يسوع) فقط فى بعض الترجمات مع حذف الكلمة الطقسية (آمين)

(د) تحيات من رفاق بولس (١٦ : ٢١ ــ ٢٣ و ٢٤)

يرسل بولس تحيات من أصدقائه المتعددين والذين كانوا فى رفقته فى زمن كتابة هذه الرسالة ، ومن بينهم تيموثاوس (الابن الصريح فى الإيمان) وغايس مضيفه ، وترتيوس الكاتب الذى أملى عليه بولس الرسالة ، الذى يرسل بتحياته بضمير المتكلم المفرد .

عدد ٢١ : (تيموثاوس) : وهو مواطن من لسترة ، واعتنق المسيحية على يد بولس ، ثم اختاره كمساعد له ورفيق فى خدمته الرسولية (أعمال ١٦ : ١ ــ ٣) ، والذى وجد فيه زميلاً يتفق معه بصورة خاصة فى وحدة

الفكر والذى قال عنه بولس : (كولد مع أب خدم معى لأجل الإنجيل) (فى ٢ : ٢٠ ــ ٢٢) . وبحسب الأعمال ٢٠ : ٤ ، كان فى رفقة بولس مع آخرين فى بدء قيامه برحلته إلى أورشليم .

(**لوكيوس**) : إذا كانت كلمة (أنسبائى) تشير إلى جميع الأسماء الثلاثة السابقة ، حينئذ يكون لوكيوس يهودياً مسيحياً بذلك يكون من العسير أن نجد تماثلاً له مع لوكيوس القيروانى (أعمال ١٣ : ١) . والآن ماذا عن الافتراض بتماثله مع (لوقا) الطبيب الذى يقول به أ . ديسمان فى حين يرفضه هـ . ج كادبورى إن كاتب أعمال الرسل كان مع بولس فى هذا الوقت (أعمال ٢٠ : ٥ ــ ٧) ، ولكنه لا يذكر أى شيء عن شخص (بالاسم) لوكيوس فى قائمة المسافرين برفقة بولس (أعمال ٢٠ : ٤) . كان لوقا مسيحياً أممياً (وهذا يتضح من كولوسى ٤ : ١٤ ــ فى ضوء كولوسى ٤ : ١٠ و١١ ، وهو ما تحمله أيضاً الدلالات الداخلية لكتاباته) وهنا يمكن أن نضع نقطاً بعد لوكيوس بحيث نترك فقط ياسون وسوسيباتر ليصفهم بولس كأنسبائه . إن الأماكن الثلاثة التى يشير فيها بولس إلى لوقا (كو ٤ : ١٤ ، فليمون ٢٤ ، ٢ تيموثاوس ٤ : ١١) . فإنه يدعوه لوكاس ، ولكن هناك دليل قوى على أن لوكاس قد استخدمت كمرادف للاسم لوكيوس . ومع ذلك يبقى الموضوع بغير حسم .

(ياسون) ، ربما يكون ياسون هذا هو مضيف بولس فى زيارته الأولى إلى تسالونيكى (أعمال ١٧ : ٦ و٧و٩) ، ومهما يكن الأمر ، فلم يدوّن اسمه فى قائمة مندوبى الكنائس المرافقين لبولس فى أعمال ٢٠ : ٤ .

(سوسيباترس) ، من المحتمل أنه سوباترس البيرى ابن بيروس ، والذى بحسب أعمال ٢٠ : ٤ .. كان أيضاً مرافقاً لبولس فى هذا الوقت . [انظر الملاحظة على ١٦ : ٣ فى ما يتعلق بتفضيل بولس الأسماء الرسمية للأشخاص] .

عدد ٢٢ : **(أنا ترتيوس ، الذى كتبت هذه الرسالة)** : لا يرد اسم ترتيوس فى أى مكان آخر فى العهد الجديد . ويبدو أنه كان من عادة بولس أن يستخدم بصفة منتظمة كَتبة يملى عليهم رسائله ليكتبوها .

ولكن هذا هو الكاتب الوحيد المعروف لنا بالاسم . ولسنا نعلم عما إذا كان قد أرسل بتحياته بمبادرة شخصية منه ، أو بتكليف من بولس ، وبلا شك أن بولس قد وافقه على إرسال تحيته إليهم ، ومن المحتمل أن ترتيوس هذا كان كاتباً محترفاً ، حيث أن رسالة رومية أكثر رسمية مما هو عليه الحال بالنسبة للعديد من رسائل بولس ، ولكن من الواضح أنه مسيحى من حيث أنه يرسل لهم تحياته (فى الرب) . وفى مناسبات أخرى ، نجد أن أحد رفاق بولس (مثل تيموثاوس ، وهو الأمر الذى نستطيع أن نحكم عليه من تكرار إضافة اسمه إلى اسم بولس فى عنوان الرسالة) . كان يقوم بمهمة كتابة الرسالة التى يمليها بولس عليه .

عدد ٢٣ : (غايس مضيِّفى ، ومضيِّف الكنيسة كلها) : هناك كثير يمكن أن نقوله عن الشبه بين غايس وتيليموس يسطس المذكور فى أعمال ١٨ : ٧ الذى لم يكتف باستضافة بولس بل شمل باستضافة كنيسة كورنثوس الوليدة فى بيته ، عندما طردوا من المجمع الذى كان ملاصقاً لبيته ، وعلى هذا يكون اسمه بالكامل (غايس تيطس يسطس) . وهو مواطن رومانى من مستعمرة كورنثوس . (أراستس أمين خزانة المدينة) . أو (أراستس خازن المدينة) (مدينة كورنثوس) . وهناك تماثل بينه وبين موظف مسئول عن شئون المدينة ورد اسمه فى نقش لاتينى على كتلة من رخام الرصيف ، اكتشفها فى كورنثوس أعضاء المدرسة الأمريكية للدراسات الكلاسيكية فى أثينا سنة ١٩٢٩ . (أراستس الموظف المسئول عن الأشغال العامة ، قام بعمل هذا الرصيف على نفقته الخاصة) . ويرجع تاريخ هذا الرصيف إلى القرن الأول الميلادى ، ومن المحتمل أن يكون الذى أقامه هو صديق بولس . ومهما يكن الأمر ، فإن الموظفين العموميين لم يكونوا جميعاً متماثلين . ففى اليونانية كان المسئول عن الأعمال العامة يطلق عليه لقب (المحتسب) (وهو الموظف الرومانى المكلف بالإشراف على الأشغال العامة والألعاب والشرطة وشئون التموين) ، فى حين أن خازن المدينة (كما هو الحال هنا) ، هو شخص آخر ، وإذا أردنا أن يكون لنا شأن مع أراستس ، فمن المفروض أنه قد ارتقى إلى وظيفة خازن المدينة من الوظيفة الأدنى منها مستوى ، وهى وظيفة (المحتسب) وذلك فى الوقت الذى كتب فيه بولس رسالته (أما إذا أراد أحد أن يقول العكس وإنه قد

انزلت مرتبته من الأعلى إلى الأدنى ، أى من خازن المدينة إلى المحتسب ، بسبب إيمانه المسيحى ، فليس هناك أى دليل يضاد هذا الافتراض) . وليس هناك أيضاً دليل جيد على تماثل أراستس هذا مع أرسطوس المذكور فى أعمال ١٩ : ٢٢ ، أو أراستس فى ٢ تى ٤ : ٢٠ ، ذلك لشيوع هذا الاسم فى هذا الوقت بدرجة كبيرة .

(كوارتس الأخ) . وإنما هنا فى هذا التفسير (كوارتس أخ) ، ربما تعنى « أخ فى الرب » « أخ فى الشركة المسيحية » . ولكن فى هذه الحالة لماذا إذا أفرز هو بالذات لتطلق عليه هذه التسمية بينما هى الاسم العام لكل المسيحيين ؟

إذا كانت الكلمة تعنى « أخ فى الجسد » فمن هو أخوه ؟ فهل هو أراستس الذى جاء اسمه سابقاً عليه ؟ أو حيث أن (كوارتوس) تعنى فى اللاتينية « الرابع » وكلمة (ترتيوس) تعنى « الثالث » فهل يكون أمراً مستبعدا أن نفكر فى أنه هو أخو « ترتيوس » والذى وُلد بعده .

عدد ٢٤ : (نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم آمين) : من المحتمل أن هذه الدعوة بالبركة لم تكن جزءًا من النص الأصلى أن السلطات الغربية قد جعلتها فى هذا الموضع بدلاً من وضعها فى (١٦ : ٢٠ ب) .

أما النص البيزنطى فقد أخذ بالدعوة بالبركة هنا بالإضافة إلى وجود الدعوة بالبركة هناك فى الآية ٢٠ ب . وهناك مصادر قليلة فيها الدعوة بالبركة بنهاية تسبيحة الشكر لله (أى بعد الآية ٢٧) .

(هـ) تسبيحة شكر لله (١٦ : ٢٥ ــ ٢٧)

لقد ناقشنا المواضع المتنوعة لتسبيحة الشكر لله فى كلامنا عن رسالة رومية وذلك فى المدخل إلى دراسة هذه الرسالة . إلا أن موضعها الأصلى ليس هو السؤال الوحيد الذى أثير فى شأنها . ويقول (هارناك) [إن هذه التسبيحة بالوضع الذى هى عليه الآن توسعة تقليد مألوفة للتسبيحة المرسيونية . والآن للقادر أن يثبتكم حسب إنجيلى ، وبحسب إعلان السر الذى كان مكتوما فى الأزمنة الأزلية ولكن ظهر الآن ، حسب أمر الإله الأزلى وأُعلن لجميع الأمم لإطاعة الإيمان ، لله الحكيم وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد آمين ، وهو

يفترض ويتبعه فى هذا آخرون ، أن هذه كانت فقرة أضافها بعض أتباع مرسيون كختام للرسالة .

وفى الواقع أنه لا يوجد لدينا مخطوطة أو أى دليل موضوعى عن مثل هذا النص المختصر لتسبيحة الحمد والشكر لله هذه . ومهما يكن الأمر ، فلقد أشير إلى أن تلك العبارات (والتى هى على أساس افتراض هارناك) . إنما هى إضافات تقليدية إلى النص الأصلى ، تعوزها الرشاقة فى التعبير ومربكة من حيث ارتباط بين كلماتها ، وبصفة خاصة بإشارتها إلى (الكتب النبوية) (الآية ٢٦) . إن مثل هذه الإشارة يمكن أن نعترف بأنها إضافة تقليدية ، وذلك فى حالة ما إذا كانت هذه التسبيحة مارسيونية فى منشئها ، ولكن الكتب النبوية لم تلعب أى دور فى المخطط المارسيونى للأنباء . ولكن فى غيبة الدليل القائم بذاته عن النص الموجز للتسبيحة ، فإن عبء الإثبات يقع على الرأى القائل بأنها ليست جزءاً من النص الرسولى . فلو كانت هذه التسبيحة مارسيونية ، فإنها لا يمكن نسبتها إلى مارسيون نفسه ، فكما رأينا سالفاً فإن أوريجينوس ، يقول بوضوح إن نسخة مارسيون للرسالة تنقصها التسبيحة (مع كل ما جاء بعد الآية ١٤ : ٢٣) .

ومن الناحية الأخرى ، فإنه يتبين لنا من هذه التسبيحة صدى الاعتراف بالأفكار المهيمنة على التحية الاستهلالية : وبصفة خاصة ذكر (الكتب النبوية) وهى بذاتها تستدعى إلى ذاكرتنا ما جاء فى (فى ١ : ٢) (الذى سبق فوعد به بأنبيائه فى الكتب المقدسة) .

(وأعلم به جميع الأمم لإطاعة الإيمان) هى على وجه الخصوص تكرار لما جاء فى ١ : ٥ (لإطاعة الإيمان فى جميع الأمم) . إن هذا الختام للرسالة على نفس النغمة التى استهلت بها الرسالة يوحى بأنها بقلم كاتب واحد .

عدد ٢٥ : (**حسب إنجيلى**) : قارن ٢ :١٦ (٢ تى ٢ : ٨) .

والكرازة بيسوع المسيح : هذه العبارة مرادفة لعبارة (إنجيلى) . (الكرازة) تماثل الكلمة اليونانية التى تعنى (الرسالة المعلنة) (كما فى كورنثوس ١ : ٢١) ، وموضوعها الذى تتناوله هو يسوع المسيح .

(حسب إعلان السر) . إن (السر) فى العهد الجديد يدل بصورة منتظمة

على شيء كان سراً مكتوماً ومغلفاً بالظلام ، ثم أفشى الآن وكشف عنه القناع . قارن ١١ : ٢٥ ، ولكن (السر) هنا هو (سر المسيح) . فى كولوسى ٤ : ٣ ، حيث يتحدث بولس عن نفسه أنه (موثق من أجله) .

العددان ٢٥ و ٢٦ : (الذى كان سراًمكتوماً فى الأزمنة الأزلية . ولكن ظهر الآن وأعلم به جميع الأمم) : (قارن كولوسى ١ : ٢٦ و٢٧ ، أفسس ٣ : ٣ ــ ٥ حيث السر فيه إشارة خاصة إلى إرسالية بولس إلى الأمم ، والتى من خلالها يصبح المؤمنون من الأمم (شركاء فى الميراث مع اليهود المؤمنين) . ويتحدون بجسد المسيح ، وتنسكب عليهم بركات النعمة الإلهية بمعيار لم يدر بخلد أحد فى العهد القديم .

عدد ٢٦ : بالكتب النبوية : تعتبر هذه العبارة إضافة تقليدية فى نظر هارناك ، ألحقت بالتسبيحة المارقيونية وأنها إضافة غير ملائمة وفى غير موضعها ، فإذا كان السر مكتوماً فى الخفاء ، أو منذ الأزمنة الأزلية ، وقد كُشف الآن ، فكيف يتسنى أن يُعرف عن طريق الكتب النبوية ؟ لم يكن هارناك الوحيد الذى يعترف بوجود مثل هذه الصعوبة ، إلا أن حلّه لهذه المشكلة ليس هو الحل الممكن الوحيد (على الرغم من أن الأنبياء قد علّموا بجميع الذى فسره المسيح والرسل ، إلا أن غموضاً كبيراً كان يغلف تعليمهم ، بمقارنته بالنور الساطع الذى يشع من ثنايا الإنجيل ، بحيث لا يكون هناك مدعاة لدهشتنا إذا ما قيل عن هذه الأشياء التى تكشفت لنا الآن أنها كانت مختفية فى الماضى ، ومكتومة منذ الأزمنة الأزلية . (كالفن) . إن بولس ورفاقه الرسل استعملوا كتب الأنبياء بغزارة أثناء كرازتهم بالإنجيل ، ولكن كان كل ذلك فى نور الإعلان الجديد فى المسيح الذى فتح أذهانهم وقلوبهم وعيونهم وآذانهم لفهم الكتب المقدسة وتفسيرها (قارن ١ بطرس ١ : ١٠ ــ ١٢) .

عدد ٢٧ : (الله الحكيم وحده له المجد بيسوع المسيح إلى الأبد آمين) : إن أفضل قراءة محققة هى (لله الحكيم وحده ، بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد آمين) . وهى القراءة فى ترجمتنا العربية إن هذه القَراءة تتضمن ترك أحد التركيبات النحوية إلى تركيب آخر فى منتصف الجملة . وإن هذه البنية اللغوية تخدم جيداً بولس كتوقيع خاص له . لقد كان من عادة بولس للتأكيد على أصالة رسالته أن يوقع باسمه فى نهاية الرسالة (قارن ٢ تيموثاوس ٣ :

١٧ ، ١ كورنثوس ١٦ : ٢١ الخ) .

وإن كان لم يستعملها فى هذه الرسالة ، ذلك أنه ليس هناك من شك فى أن بولس هو كاتب هذه الرسالة إلى أهل رومية .

إن الملاحظة التى ذيلت بها الرسالة : كتبت إلى أهل رومية من كورنثوس ، ليست فى الواقع جزءاً من الرسالة الأصلية .

وتختتم مقدمة وليم تندال للرسالة إلى أهل رومية بالتذكرة التالية :

[والآن ، أيها القارىء ، تقدم ، وبحسب نظام كتابة بولس ، تقدم وافعل ذلك أنت أيضاً . وأول شىء تفعله هو أن تنظر إلى نفسك وتتفحصها بكل تدقيق فى ضوء ناموس الله ، لتتمكن من أن تتبين جيداً عدالة إدانتك . وثانياً اتجه بناظريك إلى المسيح ، وافتح عينيك جيداً وحينئذ تتبين الرحمة الفائقة التى لأبيك الذى لا حد لرأفته ومحبته .

تذكر ثالثا أن المسيح لم يقم بعمله الكفارى العدائى لكى تغضب الله مرة أخرى : إنه لم يمت من أجل خطاياك ، حتى تستمر أنت عائشاً فيها ، إنه لم يطهرك ، لكى ترجع (كخنزير) لتتمرغ من جديد من مستنقع أقذارك ، بل إن عليك أن تكون إنسانا جديدا . وأن تحيا حياة جديدة سالكاً فى طريق الله وليس فى طريق الجسد . ولتكن على وعى وحذر ، حتى لا يجرفك إهمالك وجحودك إلى أن تفقد محبة الله ورحمته مرة أخرى] .


ت : ٩٣٢٢٧٠٦

هـذا الكتـاب :

الهدف من اصدار هذه السلسلة « التفسير الحديث للكتاب المقدس » هو مساعدة قارىء الكتاب المقدس على فهم معنى النص الكتابى ودلالته .

ولكل سفر مقدمة خاصة مختصرة لكنها عبارة عن معالجة عميقة للتعرف على كاتب السفر وزمن كتابته . وهى معلومات تفيد القارىء حتى يعرف غرض السفر والجو العام له .

وهذا الكتاب تفسير قيم للدارسين والمدرسين الذين يبحثون عن معالجة علمية للموضوعات الأساسية التى تربط البحوث العلمية المتعمقة بالنص الكتابى .

وهذا المرجع يقدم تفسيراً لكل مقطع من مقاطع السفر على حدة مع تبويب هذه الأجزاء ووضع عناوين لكل جزء .

كما يقدم تفسيراً لكل آية ويواجه مشكلات التفسير ولا يتهرب منها . كما أنه يحتوى على مذكرات إضافية تقدم مناقشات أوفى لبعض المشكلات الهامة بهدف التعمق فى الدراسة للوصول إلى المعنى الحقيقى للنص الكتابى وتوضيح رسالته لنا .



١٠١٠٩١٥٩